٧

حكايات وذكريات الكاتب السيد حافظ

ذاكرة لا تصافح أحدا



قام بتفريغ ومراجعة الحلقات التليفزيونية

د. ياسر جابر الجمّال

الجزء السابع والأخير

2026

حكايات وذكريات الكاتب السيد حافظ
الجزء السابع والأخير

ذاكرة لا تصافح أحداً

قام بتفريغ ومراجعة الحلقات التليفزيونية

د. ياسر جابر الجمّال

٢٠٢٦م

الكتاب: ذاكرة لا تصافح أحداً – الجزء السابع والأخير من حكايات وذكريات الكاتب السيد حافظ
تفريغ ومراجعة: د. ياسر جابر الجمال – أستاذ الأدب والنقد
الناشر: مركز الوطن العربى "رؤيا"

رؤيا

البريد الإلكترونى:

Email: **sayedhafez948@gmail.com**
Justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com
http://sdhafez.blogspot.com
https://www.facebook.com/alsyd.hafz.7

تليفون: ٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠٢٥
رقم الإيداع: ٢٥١٤٧ / ٢٠٢٥
دار الكتب والوثائق القومية
إدارة الإيداع القانوني
الترقيم الدولي: I.S.B.N 401 – 01 – 2153 - 1
اعمال التنسيق والإخراج: خالد شعبان

مقدمة

ربما بلغنا الجزء الأخير والنهائي من مذكرات الكاتب الكبير السيد حافظ (وهو يمثل جزءًا أصيلًا من المشهد الثقافي والحياة الأدبية) سبر من خلاله أغوار الحياة الثقافية التي نعيشها ونشاهدها من خلال تلك الحلقات، وأعطى خلال تلك الحلقات جرعة كبيرة من الوعي حول حياتنا الثقافية.

وإنني في هذا التقديم أحاول الوقوف على بعض تلك النقاط لأهميتها محاولًا تقديم رؤية نقدية تؤسس على عدة محاور في هذا الصدد (نظرًا لأن هذه المذكرات تمثل مواقف متعددة حول شخصيات ومؤسسات فاعلة في الحقل الثقافي) كما أنها تسلط الضوء على نقاط معتمة وميتة - خارج بؤرة الضوء - حتى نستطيع قراءتها بصورة كاملة. ومن تلك النقاط التي رصدها الكاتب الكبير السيد الآتي:

أولا : المثقف بوصفه ذاتًا مأزومة لا سلطة أخلاقية مطلقة

المفارقة في هذا العنوان تأتي من بنية العلامات المنسدلة منه والمؤطرة من خلاله (حول النظرة الفوقية المتمركزة في بنية

العقل الباطن لدى المثقفين) باعتبارهم كيانات مغايرة عن جميع البشر، وفي حقيقة الأمر يمثلون شخصيات مأزومة في عديد من الجوانب.

يقول السيد حافظ: «إحنا بنقدّس المثقف كأنه ملاك، مع إن الحقيقة إن المثقف زيه زي أي بني آدم، بيغلط، وبيحقد، وبيغار، وممكن يخون نفسه قبل ما يخون غيره، والمصيبة إنه ما بيقبلش حد يحاسبه"(١)

ثانيا : من خطاب العدالة إلى ممارسة التمييز الثقافي

يقول الكاتب السيد حافظ :«يتكلموا طول النهار عن العدالة الاجتماعية، وعن حقوق الناس، وعن الثقافة للجميع، ولما تيجي تشوف التطبيق الحقيقي، تلاقي نفس الوجوه، ونفس الأسماء، ونفس المصالح، والعدالة واقفة بره الباب.» (٢)

ثالثًا : المذكرات بوصفها تفكيكًا للأسطورة لا تمجيدًا للذات:

يقول الكاتب السيد حافظ «أنا دايمًا أقول: اقرأوا المذكرات، مش عشان تتسلوا، لكن عشان تعرفوا اللي حصل بجد، تعرفوا

---

(١) - مذكرات السيد حافظ ج٦.
(٢) - مذكرات السيد حافظ ج٦.

الكواليس، تعرفوا إن المطبخ الثقافي مش نظيف زي ما متصورين.» [١]

رابعاً: التاريخ الثقافي كتاريخ صراعات لا مسيرة تنويرية

يقول الكاتب السيد حافظ «التاريخ اللي اتكتب لنا مش كله حقيقة، فيه مجاملات، وفيه تصفيات حسابات، وفيه ناس اتشالت وناس اتحطت، عشان كده بقول إن تاريخ الثقافة مليان خيانات بالمجان.»[٢]

خامساً: الشهادة بدل الإدانة: أخلاقيات السرد

يقول الكاتب السيد حافظ : «أنا مش قاضي، ومش جاي أحاكم حد، أنا بحكي اللي شوفته بعيني، واللي عشته بنفسي، واللي حصلي من غير زيادة ولا نقصان، واللي عايز يستنتج يستنتج» [٣]

سادساً: نزع القداسة عن الجوائز والتكريم.

يقول الكاتب السيد حافظ : «كرموني؟ آه كرموني، ادوني ميداليات حديد وشهادات، وبصراحة كنت باخدهم وأرميهم،

---

(١) - مذكرات السيد حافظ ج٦.
(٢) - مذكرات السيد حافظ ج٦.
(٣) - مذكرات السيد حافظ ج٦.

لأن الورق ده لا بيعالج، ولا بيأكل، ولا بيدي أمان حقيقي.»(١)

سابعًا: الحقوق المادية كشرط للكرامة الإبداعية

يقول الكاتب السيد حافظ : «الكاتب من حقه يعيش كويس، من حقه سكن، ومن حقه عربية معقولة، ومن حقه معاش محترم، ده مش تسول، ده حق، زي أي مواطن.» (٢)

ثامنًا: الجسد المبدع كضحية لنظام ثقافي قاسٍ.

يقول الكاتب السيد حافظ : «الكاتب لو مرض، ما يلاقيش فلوس للعلاج، لأن العلاج بقى بالأرقام الفلكية، والمستشفيات بقت بالأرقام الفلكية، والفلوس هي اللي بتحكم.» (٣)

تاسعًا: الثقافة كفعل تضحية وجودية

يقول الكاتب السيد حافظ : «أنا الحمد لله صرفت فلوسي كلها على الثقافة، استضفت ناس، عملت مركز، جبت وفود من العراق وسوريا والمغرب وتونس، كنت مؤمن إن ده دوري.»(٤)

---

(١) - مذكرات السيد حافظ ج٦.
(٢) - مذكرات السيد حافظ ج٦.
(٣) - مذكرات السيد حافظ ج٦.
(٤) - مذكرات السيد حافظ ج٦.

عاشراً. المشروع الإبداعى مقابل النص المنعزل

يقول الكاتب السيد حافظ : «مش إنك تعمل مسرحية وتمشي، لأ، لازم تعمل مشروع، مشروع متكامل، تشتغل عليه سنين، تطوره، تشوف نهايته فين.»

الحادي عشر. التجريب كاختيار صراعى

يقول الكاتب السيد حافظ : «لما قلت المسرح التجريبي سنة ٦٩ و٧٠، اتشتمت واتحاربت، لكن كنت مقتنع إن التجريب مش رفاهية، ده ضرورة.»

الثانى عشر. الذاكرة الثقافية بوصفها آلية إقصاء

يقول الكاتب السيد حافظ : «في مواهب كتير جدًا اتظلمت، ناس ما خدتش حقها، لأن الذاكرة الرسمية بتختار وتقصي وتنسى اللي ما يعجبهاش.»

الثالث عشر: تسمية الداعمين كفعل مقاومة للنسيان

يقول الكاتب السيد حافظ : «أنا فخور بكل باحث وباحثة كتبوا عني، في القاهرة، وفي الأقاليم، وفي الجامعات العربية، لأن ده اعتراف حقيقي مش مزيف.»

الرابع عشر : الثقافة كفضاء عابر للحدود

يقول الكاتب السيد حافظ : «اشتغلت في مصر، وكتبت في العراق، واتقريت في المغرب، وتناولت أعمالي جامعات من المحيط للخليج.»

الخامس عشر: غزارة الإنتاج بوصفها تراكمًا لا تفاخرًا

يقول الكاتب السيد حافظ : «الحمد لله اتكتب عني أكتر من ٣٠٠ بحث محكّم، مش علشان أتباهى، لكن علشان أعرف إن اللي عملته ما راحش هدر.»

السادس عشر: الاعتراف بالفشل كجزء من الصدق

يقول الكاتب السيد حافظ : «مش كل اللي عملته نجح، في حاجات نجحت وحاجات فشلت، وده طبيعي، المهم إنك تكمل.»

السابع عشر: المثقف بين الرسالة والخذلان

يقول الكاتب السيد حافظ : «أنا عملت اللي عليّ، وقدمت اللي أقدر عليه، والباقي على الزمن، لأن المكسب الحقيقي مش دايمًا بييجي في حياتك.»

الثامن عشر: الزمن كضغط وجود.

يقول الكاتب السيد حافظ : «دلوقتي كل اللي بطلبه الصحة

والقوة، علشان أكمّل المشاريع اللي لسه ما خلصتش.»

التاسع عشر: السخرية كقناع للألم

يقول الكاتب السيد حافظ : «النهارده أي حد يفتح النت يلاقي عشر شعراء في الدقيقة، مجاملات، ونفاق، وكلام فاضي، وده جزء من المأساة.»

العشرون : الإنسان قبل الأسطورة

يقول الكاتب السيد حافظ : «أنا في الآخر عبد فقير إلى الله، بطلب الصحة، وبطلب القوة، وبطلب إن ربنا يديني القدرة أكمل المشوار.»

الحادي والعشرون : النجاح بالقوة الوهمية أم بالفعل الحقيقى؟(٢)

ثمة مفارقات في الواقع الإنساني يرصدها الإنسان من خلال التجربة وليس العلم أو المعرفة، وهذا ما يمكن لنا أن نطلق عليه الخبرة الحياتية إزاء القضايا، ومن ذلك قضية النجاح أو التميز في أي مجال من المجالات، وفي أي أمة من الأمم، لا سيما الأمة العربية، وتحديدًا في مجال الأدب والنقد، أو المسار الإبداعي والثقافي عمومًا .

ولا شك أن الأمة الغربية لديها قدر من الشفافية، أو يمكن القول أنهم يعطون مساحة للنجاح، لكنها ليست بالصورة المثالية التي يستخدمونها في الترويج لتصورتهم. وما نحن فيه من صور النجاح بالقوة الوهمية إنما هو ناتج من الروافد الممتدة منهم إلينا .

هذا التقديم يضع لنا تأسيس مهم حول مسألة النجاح والتميز في بلاد العالم الثالث، وبلاد النص نص -أي نصف النجاح، ونصف التقدم، ونصف التميز- وهكذا؛ كما صورها يوسف أدريس. ولكي تتحقق هذه المعادلة في ظل مافيا الشلالية والكنتونات فلا بُد أن تُفهم القواعد المؤسسة لتلك القضايا، والتي تنهض من خلالها الأمم، والمنسدلة من الأعلى للأسفل. وهذا ما يجيب عليه الكاتب الكبير السيد حافظ في مذكراته، في الجزء السادس، وفي محاضرة رقم (٢٥١)، تحت عنوان "كيف تكون كاتبًا كبيرًا وتحصل علي جوائز؟"

كيف تصبح كاتبًا كبيراً في مصر وفي الوطن العربى؟ كيف تصبح كاتبًا كبيراً؟

من خلال النقاط الآتية:

النصيحة الأولى : لا تنتمِ إلي أي حزب، وكن مع جميع الأحزاب، وإن كنت ترغب في الانضمام إلي حزب، فادخل إليه لفترة قصيرة فقط، كما فعل أستاذنا الكبير نجيب محفوظ، إذ ًا فالنصيحة لا تنضم إلي أي حزب.

النصيحة الثانية ، لا تتورط في أي حزب يتخذ موقفًا معارضًا للحكومة، إلا إذا كنت مضطرًا، أي عندما تجد الجميع يسير في هذا الاتجاه، فلا تكن معارضًا للاتجاه العام، ويمكن الاستغناء عن هذه النصيحة إذا التزم الكاتب بالنصيحة الأولي وابتعد عن الانضمام للأحزاب بأنواعها، سواء التابعة للحكومة، أو المعارضة .

فالكاتب يجب أن يكون كيانًا مستقلًا، ولكنني أتحدث هنا عن كيفية أن يجعلك المجتمع نجمًا وكاتبًا كبيرًا، حيث ستجد أن اليمين واليسار والوسط جميعهم معك .

إذن، كما قلنا، لا تنتمي إلي أي حزب. وإذا اضطررت إلي الانتماء، فكن فيه لفترة قصيرة، ثم انسحب منه وقل: "لقد انسحبت لأنني اختلفت معهم"، بينما في الحقيقة لم تختلف معهم في شيء، ولكنك فقط لا تريد أن تُحسب عليهم، تمامًا كما فعل نجيب محفوظ . وهذا ليس عيبًا، بل هو الواقع الذي نعيشه .

النصيحة الثالثة: إذا أردت أن تصبح كاتبًا كبيرًا، فعليك أن تكون مهذبًا جدًا، وصوتك منخفض، وأن تتظاهر بعدم السماع أغلب الأوقات، وقل دومًا: "لم أسمع"، "لم أنتبه" . فالمجتمع، والسلطة، والأحزاب، والقيادات يريدون شخصًا صوته منخفض، شخصًا مهذبًا . انظر إلي نجيب محفوظ، فهو مثال مهم جدًا للكاتب الملتزم .

وقد ذكرتُ من قبل كيف أن سعد زغلول كان يحمل الحقيبة لأحد الباشوات، ويذهب إلي بيت محمد فريد، الزعيم الوطني، ويجلس مع العاملين في المطبخ ليأكل أو يتعشي، ويواصل طريقه حتي اشتغل في جريدة "الوقائع المصرية".

انتبه جيدًا! ففي مصر والعالم العربي، عليك أن تبدأ كخادم لشخصية كبيرة حتي ترضي عنك.

النصيحة الرابعة: ابحث بنفسك! فنجيب محفوظ قبل أن يتولي رئاسة هيئة السينما، كان يعمل بطريقة مشابهة . وهذا لا يعني أنك خالٍ من الموهبة، ولكن يجب أن تتبع هذا النهج حتي لا تثير التوتر في الوسط الأدبي والمجتمع.

الخلاصة: لتصبح كاتبًا كبيرًا، يجب أن تبدأ كخادم أو سكرتير لشخصية بارزة في أي وزارة . والأهم هو أن تكون مطيعًا، وتحمل الحقيبة، وتسمع الكلام .

إذن، لنلخص الموضوع بسرعة: لتصبح كاتبًا كبيرًا ومتميزًا، ويرضي عنك المجتمع، عليك أولًا ألا تنتمي إلي أي حزب.

لقد تلقيت اتصالًا من أحد الأصدقاء منذ قليل، وسألني: كيف يصبح الكاتب كبيرًا بالفعل؟

الكاتب الحقيقي هو ذلك المفكر الذي يمكنه انتقاد النظام علنًا، مثل "برنارد شو"، الذي هاجم حكومة لندن وإنجلترا

وتشرشل بشدة، دون أن يُقبض عليه، أو يُتهم بتشويه صورة الحكومة . بل أدت كتاباته إلي تغيير النظام الصحي في بلاده. كذلك، العقاد كان مستقلاً، رغم وقوعه في خطأين. الأول، عندما عرضت عليه "أخبار اليوم" في عهد جمال عبد الناصر راتبًا قدره ٥٠٠٠ جنيه شهريًا عام ١٩٥٢، وهو مبلغ ضخم جدًا . والثاني، عندما كان يكتب مقالات في مدح الملك، لكنه كان مفكرًا حقيقيًا، ورفض الرضوخ للضغوط.[١]

الثانى والعشرون : لا تجهد نفسك يكفيك أن تعرف الطريق

إن فكرة الاجتهاد في أي مجال من المجالات يتبعها غالبًا تتويج في هذا المجال ومكافأة على الجهد والاجتهاد، وهذا سبيل البشرية منذ القدم، إلا أننا أصبحنا في العصور المتأخرة لا يمكن لأي إنسان قطف ثمار جهده مهما بلغ من الاجتهاد والإبداع والتميز إذا لم يكن يدرك القواعد الحاكمة للمنح والفوز، كما هو الحال في شأن الحصول على الماجستير أو

---

(١) - مذكرات السيد حافظ ،تحقيق وتقديم ودراسة ، د. ياسر جابر الجمال أستاذ الأدب والنقد . ج٦/٢٥١

الدكتوراه، فكما يقولون هما يُمنحان ولا يؤخذان، فكذلك الشأن في الجوائز والتكريمات، ولا أدلُّ على ذلك مما ذكره الكاتب الكبير السيد حافظ في مذكراته عندما قال: أما الجزء الثاني الذي أود الحديث عنه فهو، كيف تحصل على الجوائز العالمية؟

وهناك ثلاث أو أربع نصائح رئيسية:

الأولى: أن تتضمن روايتك إساءة إلى الذات الإلهية والأديان.

فهناك أشخاص حصلوا على العديد من الجوائز بسبب ذلك . أما أنا شخصيًا فلا أؤمن بهذه الطريقة، ولكن هذا هو الواقع.

الثانية: الترويج للشذوذ الجنسي، أي أن تتحدث عن شخصية شاذة جنسيًا، أو تطرح قضية الشذوذ بطريقة تدافع فيها عن القضية.

الثالثة: الهجوم علي الرموز الدينية، سواء كان ذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو النبي عيسى (عليه

السلام)، أو النبي موسى (عليه السلام).

الرابعة: دعم التحول الجنسي، أي أن يكون هناك شخصية في روايتك تتحول من ذكر إلى أنثى أو العكس.

فإذا أردت الحصول علي جائزة عالمية، فعليك باتباع هذه الوصفة. اللهم إني قد بلغت، اللهم فاشهد.

فإذا لم تحصل على جائزة بعد كل هذا، فأنا لست مسؤولًا"[١]

الثالث والعشرون: النكسة الثقافية في العالم العربى.

يقول الكاتب السيد حافظ : " نحن أنفسنا سبب هذه الانتكاسة الثقافية. نحن من نختار قيادات ضعيفة، لا تمتلك رؤية حقيقية للنهوض بالثقافة. في الماضي، عندما أراد جمال عبد الناصر تطوير المشهد الثقافي، لجأ إلى أشخاص لديهم رؤية، مثل عبد القادر حاتم، الذي كان حريصًا على دعم الفرق المسرحية والتلفزيونية، فشهدت مصر حينها نهضة مسرحية غير مسبوقة.

---

(١) - مذكرات السيد حافظ ،تحقيق وتقديم ودراسة، د. ياسر جابر الجمال أستاذ الأدب والنقد. ج٦/٢٥١

أما اليوم، فلدينا عشرات القيادات الثقافية، لكن دون أي تأثير حقيقي. المسرح ينهار، والإنتاج الفني يضعف، والمجلات الثقافية تُغلق الواحدة تلو الأخرى. نحن بحاجة إلى استراتيجية واضحة لمحو الأمية الثقافية، وليس فقط إلى إنتاج أعمال سطحية دون هدف.

الفرق بيننا وبين الآخرين.

في إحدى المرات، قرأت مقالًا عن مسرح الطفل في إسرائيل، وتبيّن أنهم يستخدمون المسرح كوسيلة لغرس عقيدتهم في أذهان الأطفال منذ الصغر. لديهم رؤية واضحة واستراتيجية لبناء أجيال تؤمن بأفكارهم، بينما نحن في العالم العربي لا نمتلك أي خطة واضحة لتطوير ثقافة الأطفال.

إغلاق المجلات الثقافية خطر كبير

عندما تُغلق مجلة مثل الكواكب أو أي مجلة ثقافية أخرى، فهذا ليس مجرد حدث عابر، بل هو مؤشر على انهيار منظومة الثقافة في المجتمع. عندما تنطفئ هذه المنابر الثقافية، يفتح الباب أمام التفاهة والسذاجة والجهل. لا يمكن أن نبني

مجتمعات قوية بوجود شعب سطحي لا يفقه شيئًا عن تاريخه أو ثقافته.

هل أنا متفائل؟

نعم، ما زلت متفائلًا، لكن لا بد أن نقوم بتقييم الأوضاع بصدق. لا أريد الجوائز، ولا الأموال، لكنني أشعر بالألم عندما أرى المشهد الثقافي في حالة يرثى لها. سيأتي جيل في المستقبل يلعننا على ما فعلناه بثقافتنا، وربما يحفر قبورنا ويبصق على أسماء من تسببوا في هذا الانحدار"(١)

الرابع والعشرون: السرقات الأدبية، الشللية، والإقصاء المتعمد

لست بحاجة إلى كتابة مقال موسع أو تدبيج النقولات من هنا أو هناك حول تأكيد تلك القضايا ، فقد أصبحت ملء السمع والبصر ، ولكننى اعتمد طريقة جديدة في الكتابة النقدية تقوم على ايراد النقولات فقط بالإضافة وضع عناوين حول تلك القضايا ، فقضية السرقات الأدبية موجودة ، وكتب فيها

(١) - مذكرات السيد حافظ ،تحقيق وتقديم ودراسة، د. ياسر جابر الجمال أستاذ الأدب والنقد. ج٦/٢٥٢

مؤلفات متخصصة حول هذه النقطة تحديدة منها ، كتاب أستاذنا العلامة محمد مصطفى هدارة "السرقات الأدبية" ، وكتابات أخرى أوضحت الفرق بينها وبين التناص ، وتوارد الأفكار ، وغير ذلك من الأفكار ، الإشكالية لا تكمن الآن في وجود الظاهرة من عدمها ، إنما الإشكالية في التحايل المصاحب لتلك السرقة خصوصًا في عصر الذكاء الاصطناعي، واستخدام التقنية في الكتابة بديلا عن المبدع ، كل هذه الأمور أصبحت أورام في الحقل الثقافي ، والأسوء من ذلك سرقات الكبار ، لذلك يجب التأكيد على " إننا هدمنا الأصنام حول الكعبة، لكن كل واحد منا احتفظ بتمثال داخله، في حين يدّعي أنه يدافع عن القيم النبيلة. نحن بحاجة إلى وقفة مع النفس"(١)

هذا المحور الأول الذي كتبت عنه أما المحور الثاني فيتناول، قضية الشليلة ، ف " في الفترة الماضية، لاحظت أن الشباب

---

(١) - مذكرات السيد حافظ ،تحقيق وتقديم ودراسة، د. ياسر جابر الجمال أستاذ الأدب والنقد. ج٦/٢٥٤

الذي ظهر لم يتأمل عيوب الأجيال السابقة ويتجنبها. كان من المفترض أن ينظر هذا الجيل القادم، سواء كانوا فنانين، كتاب قصة، كتاب مسرح، أو حتى فناني الفنون التشكيلية، إلى أخطاء الجيل الذي سبقهم، ثم يسعون إلى تقديم شيء جديد وأفضل، سواء في الفن أو في الأخلاق. لكن للأسف الشديد، هذا الجيل لم يكتفِ فقط بعدم تصحيح الأخطاء، بل أخذ كل ما هو سيئ وأضاف إليه المزيد من الأخطاء والعيوب"(١)

ف "هذا بالفعل ما نراه في هذه الأيام. بالطبع، هناك استثناءات في كل جيل، فقد نجد خمسة أو ستة أشخاص في كل مجال مختلفون عن القاعدة العامة، سواء في المسرح أو السينما أو التلفزيون. ولكن ما حدث الآن أمر مرعب للغاية، وهو تدني مستوى الإبداع واللجوء إلى الأساليب غير النزيهة، كالضرب تحت الحزام"(٢)

وأسوق هذه الوقائع فأقول :" ذات مرة، تحدثت مع الفنان الكبير محمد توفيق، وسألته عن سبب عدم انتشار أعمالي

(١) - مذكرات السيد حافظ ،تحقيق وتقديم ودراسة، د. ياسر جابر الجمال أستاذ الأدب والنقد. ج٦/٢٥٥

(٢) المرجع السابق، ج٦/٢٥٥

المسرحية، فقال لي: "يا بني، المسألة ليست موهبة فقط، هناك أسماء محددة فقط هي التي تُعرض أعمالها، والبقية لا فرصة لهم." (١)

إن مشكلة المحسوبية ليست جديدة، ولكنها ازدادت سوءًا الآن، حيث أصبح الجيل الجديد أكثر تكتلًا، وأصبح الإقصاء أكثر وضوحًا، حتى في الجوائز الأدبية والمسرحية.

إننا بحاجة إلى إعادة صياغة الفكر العربي والمصري؛ لأن المحسوبية والشلالية أصبحت أمرًا مقلقًا في كل المجالات، ليس فقط في مصر، بل في جميع أنحاء الوطن العربي. عندما زرت الكويت، رأيت أن بعض الأسماء تُمنح فرصًا دون وجه حق، لمجرد انتمائها إلى دوائر معينة، بينما يتم تهميش آخرين أكثر موهبة.

المشكلة اليوم ليست في التأثر بالأعمال السابقة، بل في أن بعض المبدعين الجدد لا يمتلكون أي أساس إبداعي، ورغم ذلك يظهرون فجأة ويطالبون بالاعتراف بهم دون أي مجهود أو تاريخ حقيقي.

لقد أصبحت المحسوبية تسيطر على المشهد الأدبي والفني في الوطن العربي، وليس فقط في مصر. حتى في مجال النقد

---

(١) المرجع السابق ، ج٦/٢٥٥

الأدبي، نجد أن مجموعة صغيرة من النقاد تتحكم في المشهد، ويقومون بإقصاء الآخرين بشكل ممنهج.

أذكر أن الناقد الكبير أحمد خميس اعترف في ندوة عامة خلال مهرجان المسرح التجريبي العام الماضي، بأن بعض أساتذة النقد في المعهد العالي للفنون المسرحية لا يعرفون حتى كيفية كتابة نقد تطبيقي.

إن الشلل الأدبية والفنية اليوم هي السبب الرئيسي في تدهور المشهد الثقافي في مصر والوطن العربي، لأنها تكرس الرداءة، وتمنع المواهب الحقيقية من الظهور.

في الختام، أؤكد أننا بحاجة إلى ثورة فكرية حقيقية، لإعادة بناء المشهد الثقافي والفني على أسس عادلة ونزيهة، بعيدًا عن الشلالية والمحسوبية، حتى لا نظل ندور في نفس الدائرة المغلقة التي تعيق أي تقدم حقيقي. (١)

أ.د. ياسر جابر الجمَّال
أستاذ الأدب والنقد
القاهرة ٢٠٢٦/١/١٠م

---

(١)مذكرات السيد حافظ ،تحقيق وتقديم ودراسة، د. ياسر جابر الجمال أستاذ الأدب والنقد. ج٦/٢٥٥

دراسة تحليلية
بقلم الذكاء الاصطناعى شات جى بى تى
"مذكرات السيد حافظ – الجزء السابع"

بين السيرة الثقافية ونقد المؤسسة وأسئلة العدالة الرمزية

تمهيد: من السيرة إلى الشهادة الثقافية

لا يمكن التعامل مع هذا الجزء من «مذكرات السيد حافظ» بوصفه استمرارًا سرديًا لحياة شخصية فحسب، بل باعتباره نصًا ثقافيًا إشكاليًا ينهض على تخوم السيرة الذاتية، والتأريخ غير الرسمي للحقل الثقافي المصري والعربي، والتأمل الفلسفي في معنى الكتابة والاعتراف والخذلان. فالكاتب لا يدوّن حياته ليحفظها من النسيان، بل ليخضعها لمحاكمة معرفية وأخلاقية، تتحول فيها التجربة الفردية إلى مرآة لبنية أوسع تحكم العلاقة بين الإبداع والمؤسسة.

ويتجلى هذا المنحى منذ فهرس الكتاب نفسه، الذي يكشف عن طبيعة موضوعاته: «لجان القراءة»، «ذكريات شهر يوليو»،

«حديث اليوم حول جدوى الثقافة»، «جمهورية الكتابة»، «اغتيال المواهب»، «من سرق أحلامي مني»، وغيرها من العناوين التي لا تنتمي إلى منطق السرد الزمني الخالص، بل إلى منطق القضايا والأسئلة .

أولًا : «لجان القراءة» – تفكيك السلطة الثقافية

يُعد فصل «لجان القراءة» من أكثر فصول الكتاب كثافة من الناحية النقدية والفلسفية. فالكاتب يفتتحه بسؤال صادم:

"من أين يبدأ الفساد الثقافي؟ من أين يبدأ الفساد الفني؟ إنه يبدأ من لجنة القراءة"

هنا لا يتحدث السيد حافظ عن تجربة عابرة، بل عن بنية مؤسسية يرى أنها تحولت من جهاز تقويم إلى أداة إقصاء. فلسفيًا، يمكن قراءة هذا الموقف في ضوء مفهوم «السلطة الرمزية» عند بيير بورديو، حيث لا تُمارس السيطرة بالقوة المادية، بل بالقدرة على منح الشرعية أو سحبها .

الكاتب لا يهاجم اللجنة بوصفها فكرة، بل بوصفها ممارسة تاريخية انحرفت عن وظيفتها المعرفية إلى وظيفة سياسية–

اجتماعية: تصفية الأصوات غير المرغوب فيها، وتكريس أسماء بعينها، وإعادة إنتاج الذائقة السائدة.

أدبيًا، يعتمد هذا الفصل على تقنية «الشهادة السردية»: حكايات عن فنانين، وتقارير مكتوبة، وأسماء ذُبحت رمزيًا ثم أُعيد الاعتراف بها بعد موتها. ومن أبرز الأمثلة حديثه عن محمود دياب وسلوك لجان الجوائز تجاهه، ثم الاحتفاء به بعد رحيله .

في هذا السياق، تتحول المذكرات إلى ما يشبه «محضر اتهام ثقافي»، لا يخلو من مرارة، لكنه يستند إلى منطق التجربة المعيشة، لا إلى التنظير المجرد.

ثانيًا : «ذكريات شهر يوليو» – الزمن بوصفه ذاكرة سياسية

يحمل فصل «ذكريات شهر يوليو» طابعًا مزدوجًا: ذاتي وتاريخي. يبدأ الكاتب بوصف يوم عادي في القاهرة، حرارة الجو، غضب الطبيعة، ثم ينتقل فجأة إلى استدعاء ذكرى ثورة يوليو وخروج الإنجليز من مصر، وإلى موقفه من جمال عبد الناصر بوصفه «قيمة كبيرة في حياتنا" .

فلسفيًا، يمكن النظر إلى هذا الفصل باعتباره مثالًا على «الزمن الذاكري» عند بول ريكور، حيث لا يكون الماضي منقضيًا، بل حاضرًا في الوعي، يعاد تشكيله بحسب أسئلة الحاضر. يوليو هنا ليس شهرًا في التقويم، بل رمز لتحول تاريخي، ولحلم جماعي بالعدالة والاستقلال.

أدبيًا، يعتمد الكاتب على الانتقال الحر بين اليومي والوطني، بين حرارة الجو وحرارة السياسة، ليصوغ سردية ترى أن التاريخ الكبير يعيش في تفاصيل الحياة الصغيرة.

ثالثًا: «حديث اليوم حول جدوى الثقافة» – سؤال المعنى في زمن الإحباط

في هذا الفصل يطرح السيد حافظ سؤالًا وجوديًا مباشرًا: ما جدوى الثقافة في عالم يهمّش المثقف؟ وهو سؤال يتكرر ضمنيًا في معظم أجزاء الكتاب، لكنه هنا يُصاغ في عنوان صريح.

هذا السؤال ينتمي إلى تقليد فلسفي قديم يمتد من سقراط إلى سارتر وغرامشي: ما وظيفة المثقف؟ هل هو شاهد؟ ناقد؟ أم مجرد زينة رمزية للسلطة؟

يقدّم الكاتب جوابًا غير مكتمل، لكنه مشحون بالتجربة: الثقافة ليست وسيلة للترقي الاجتماعي، ولا ضمانة للعدالة، بل فعل مقاومة ضد البلادة والنسيان. ومن هنا تتخذ الكتابة عنده طابعًا أخلاقيًا، لا مهنيًا فقط.

رابعًا: «جمهورية الكتابة» – اليوتوبيا البديلة

يحمل عنوان «جمهورية الكتابة» دلالة سياسية–رمزية واضحة. فالكاتب يقيم مقابل الجمهورية الواقعية، المثقلة بالبيروقراطية والفساد، جمهورية أخرى غير مرئية، يحكمها القانون الوحيد: الكلمة.

فلسفيًا، يمكن قراءة هذا الفصل بوصفه تصورًا يوتوبيًا قريبًا من «جمهورية أفلاطون»، ولكن بأدوات حديثة: ليست جمهورية الفلاسفة، بل جمهورية الكتّاب المهمشين، الذين لا يملكون سلطة إلا اللغة.

أدبيًا، يظهر هذا الفصل نزعة تأملية أقرب إلى البيان الثقافي، حيث تتحول الكتابة إلى وطن بديل، وإلى شكل من أشكال المواطنة الرمزية.

خامسًا: «اغتيال المواهب» – التراجيديا الثقافية

من أكثر العناوين قسوة: «اغتيال المواهب». وهو عنوان يخرج من دائرة المجاز البسيط إلى مجاز وجودي كثيف. فالاغتيال هنا ليس جسديًا، بل معنوي: قتل الإمكان قبل أن يتحقق.

يسرد الكاتب في هذا الفصل نماذج عن مبدعين حُطمت مساراتهم بفعل اللجان والجوائز والتحالفات الثقافية. ويصرّح بوضوح:

"يريدون أن يميتك وأنت موهوب".

هذا القول يختصر رؤية فلسفية قاتمة للعالم الثقافي: عالم لا يكتفي بتجاهل الموهبة، بل يخشاها، لأنها تهدد توازناته .

سادسًا: «من سرق أحلامى منى» – السيرة بوصفها سؤالًا وجوديًا

يبلغ البعد الذاتي ذروته في عنوان «من سرق أحلامي مني»، حيث تتحول المذكرات إلى اعتراف وجودي صريح. لم يعد السؤال هنا عن مؤسسة أو لجنة، بل عن المعنى نفسه: كيف يتحول الحلم إلى خيبة؟ وكيف يتحول الطموح إلى عبء؟

هذا الفصل يعيدنا إلى أدب الاعترافات، وإلى تقاليد روسو وكافكا، حيث تُكتب السيرة لا لتبرير الذات، بل لفضح هشاشتها.

أدبيًا، يتسم هذا النوع من الفصول بلغة أكثر شاعرية، وأقل تقريرية، وتظهر فيه نبرة الأسى الهادئ بدل الغضب الصريح.

سابعًا: الجوائز ولعبة الاعتراف

في مواضع متعددة، يخصص الكاتب صفحات حادة لنقد الجوائز الأدبية، ويصفها بأنها «أرزاق» أكثر منها مقاييس للقيمة، بل ويسخر من جائزة نوبل نفسها بوصفها «مسخرة» في بعض الأحيان.

هذا الموقف يعكس تصورًا فلسفيًا قريبًا من فكرة «الاعتراف الزائف» عند أكسل هونيث: حين يتحول التكريم إلى أداة لإعادة إنتاج الهيمنة بدل تكريس العدالة .

ثامنًا: الأسلوب والبنية السردية

يعتمد الكتاب على:

- التقطيع الحلقي: كل فصل حلقة مستقلة نسبيًا.

- اللغة المباشرة المشحونة بالعاطفة.
- التناوب بين السرد والتحليل.
- حضور الذات الكاتبة بوصفها شاهدًا لا راوٍ عليمًا مطلقًا.

وهذه الخصائص تجعل النص قريبًا من «الأدب الوثائقي»، حيث تتجاور الحقيقة الشخصية مع البنية الاجتماعية.

خاتمة: الكتاب بوصفه وثيقة وجدان ثقافي

يمكن القول في النهاية إن «مذكرات السيد حافظ – الجزء السابع» ليست مجرد استكمال لسيرة طويلة، بل هي ذروة في تحول هذه السيرة إلى نقد ثقافي شامل، وإلى وثيقة عن مأساة المثقف العربي في علاقته بالمؤسسة.

إنه كتاب عن الإبداع حين يصبح عبئًا، وعن الموهبة حين تصير تهمة، وعن الكتابة حين تتحول من ممارسة جمالية إلى فعل مقاومة أخلاقية ضد النسيان والتزييف.

دراسة تحليلية
بقلم الذكاء الاصطناعى جروك

يُعد كتاب "حكايات وذكريات الكاتب السيد حافظ: الجزء السابع والأخير"، الذي قام بجمعته ومراجعته الدكتور ياسر جابر الجمال ونُشر في القاهرة عام ٢٠٢٦، خاتمة لسلسلة مذكرات تتجاوز الستة أجزاء السابقة.

يعتمد الكتاب على نقل حلقات تلفزيونية، مما يمنحه طابعًا شفاهيًا يجمع بين السرد الشخصي والتأملات الثقافية والتاريخية. يبرز السيد حافظ، كاتب مصري بارز، تجاربه في مجالات الأدب والمسرح والصحافة، مستعرضًا قضايا اجتماعية وسياسية من منظور فلسفي يعكس وعيًا نقديًا عميقًا. يتجاوز الكتاب مجرد السيرة الذاتية ليصبح وثيقة ثقافية تكشف عن فساد المؤسسات الثقافية، وأهمية الوفاء، ودور الذاكرة في تشكيل الهوية الوطنية. في هذه الدراسة، سنركز على تحليل أدبي وفلسفي لبعض العناوين الرئيسية،

مثل "لجان القراءة"، "د. كمال عيد وداعا"، "ذكريات شهر يوليو"، و "من مذكراتي في الصحافة"، مستندين إلى النصوص المستخرجة من الكتاب.

"لجان القراءة": فساد السلطة الثقافية

يُخصص السيد حافظ حلقتين متتاليتين (١٧١ و٢٧٢) لهذا العنوان، الذي يمثل محورًا نقديًا لفساد الثقافة المصرية. أدبيًا، يعتمد السرد على نمط السيرة الذاتية الممزوجة بالحكايات الشخصية، مستلهمًا أسلوبًا يشبه مذكرات توفيق الحكيم أو يوسف إدريس، حيث يجمع بين الوصف الدقيق والحوارات الحية. على سبيل المثال، يروي قصة محمد توفيق، مدير مسرح الحديث في الستينيات، الذي يكشف عن كيفية تلقي أعضاء اللجان للنصوص دون قراءتها، مقابل مكافآت مالية تكفي لقضاء الصيف في الإسكندرية. هذا السرد يعتمد على تقنية "الشهادة الشخصية" لتعزيز المصداقية، مما يجعل النص يشبه رواية واقعية تكشف عن طبقات الفساد.

فلسفيًا، يعكس هذا العنوان نقدًا لمفهوم "السلطة المعرفية"

كما عند ميشيل فوكو، حيث تتحول اللجان من أداة للتقييم إلى بوابة للفساد، تسيطر على إنتاج المعرفة الثقافية. يصف حافظ اللجنة بأنها "العكاز الذي يستند عليه المثقفون الفاسدون"، مشيرًا إلى كيفية استخدامها لتبرير التمييز، كما في قصته الشخصية عن فوزه بالمركز السادس في مؤتمر الأدباء عام ١٩٦٩، رغم استحقاقه الجائزة الأولى، مما دفع بتشكيل لجنة ثانية برئاسة أمير إسكندر. هذا النقد يتجاوز الشخصي ليصبح تأملًا في "الفساد الثقافي" كظاهرة اجتماعية، مستلهمًا فلسفة نيتشه في "القوة الإرادية"، حيث يفقد المثقف استقلاليته أمام المصالح المالية والسياسية. يبرز حافظ دور اللجان في إعاقة الإبداع، مقارنًا إياها بقول الشاعر التركي ناظم حكمت: "عيب الاشتراكية كثرة اللجان"، ليؤكد على ضرورة إعادة بناء آليات التقييم الثقافي لضمان عدالة فلسفية.

"د. كمال عيد وداعا" : الوفاء والفقدان الثقافي

في الحلقة ٣٧٢، يرثي حافظ الدكتور كمال عيد، أستاذ الأدب والمسرح الذي توفي عن ٩١ عامًا، مستعرضًا مساهماته في

تأسيس أقسام المسرح في مصر والدول العربية. أدبيًا، يعتمد النص على أسلوب الرثاء الكلاسيكي، مشابها لقصائد الشعراء العرب مثل المتنبي، حيث يجمع بين المديح والحزن. يصف حافظ عيد بأنه "صاحب إرادة حديدية ومؤلفات عظيمة"، مستخدمًا صورًا شعرية تعكس الفقدان، مثل "فقدنا عملاقًا"، مما يمنح النص بعدا عاطفيًا يعزز الارتباط بالقارئ. كما ينتقد غياب الوفاء، مشيرًا إلى عدم حضور ممثلي الجامعات والدول التي خدمها عيد، مما يحول الرثاء إلى نقد اجتماعي.

فلسفيًا، يتناول العنوان مفهوم "الفقدان الوجودي" كما عند مارتن هايدغر، حيث يصبح موت العظماء رمزًا لفقدان الهوية الثقافية. يؤكد حافظ على "غياب الضمير الأدبي"، مقارنًا إهمال مكتبة عيد بتدمير مكتبات أخرى مثل تلك الخاصة بعبد الله النديم أو جمال الغيطاني، ليبرز فلسفة "النسيان الجماعي" كتهديد للتراث. يرى في ذلك انعكاسًا لأزمة القيم في المجتمع، مستلهمًا أفلاطون في "الجمهورية"، حيث يجب على المثقفين الحفاظ على الذاكرة الجماعية. يخلص إلى أن الوفاء ليس

مجرد عاطفة، بل واجب فلسفي للحفاظ على استمرارية الثقافة، محذرًا من أن غيابه يؤدي إلى "صمت القبور" الذي يهدد الهوية الوطنية.

"ذكريات شهر يوليو": التاريخ والحرية

تغطي الحلقة ٤٧٢ ذكريات شهر يوليو، مركزة على خروج الإنجليز عام ١٩٥٦، ورحيل شخصيات مثل توفيق الحكيم وفاروق الفيشاوي. أدبيًا، يعتمد السرد على تقنية "الذاكرة الجماعية"، مشابها لأعمال نجيب محفوظ في "الحرافة"، حيث يمزج بين التاريخي والشخصي. يروي حافظ دور مصطفى النحاس في إلغاء معاهدة ١٩٣٦، مستخدمًا لغة حية تعكس الاعتزاز الوطني، كما في وصفه للشعب المصري بأنه "أكثر شعب في العالم تحمل الذل"، مما يضيف عمقًا نفسيًا يجعل النص روائيًا.

فلسفيًا، يناقش مفهوم "الحرية" كما عند جان بول سارتر، حيث يرى خروج الإنجليز بداية لتحرر مصر من "تاريخ العبودية" الذي دام ٧٠٠٠ عام. ينتقد حافظ الاحتلالات

التاريخية، من الفارسي إلى العثماني، ليؤكد على "الارتباط الجيني بالذل" كعائق فلسفي أمام التقدم. يربط ذلك بفلسفة نيتشه في "الإنسان الأعلى"، محذرًا من أن الحرية ليست حدثًا تاريخيًا فحسب، بل مسؤولية مستمرة لتجاوز الماضي، مشددًا على دور الثورة في تشكيل إرادة جماعية حرة.

"من مذكراتى في الصحافة": الألم والإبداع

في الحلقة ٥٧٢، يشارك حافظ تجاربه في الصحافة، مرتبطة بأزماته الصحية. أدبيًا، يعتمد على أسلوب "الاعترافات" كما عند جان جاك روسو، حيث يروي ألمه الجسدي (هشاشة العظام) كمدخل لتأملات في الإبداع، مستخدمًا صورًا حية مثل "الألم يأتيني في ساقي وجسدي كله" لتعزيز البعد العاطفي.

فلسفيًا، يعكس النص مفهوم "الألم كمعلم" كما عند آرثر شوبنهاور، حيث يرى المرض "نعمة من الله" تساعد في إعادة ترتيب الأولويات، ككتابة الوصايا لابنته. يربط ذلك بفلسفة الوجودية، محولًا الفقدان الجسدي إلى فرصة للتأمل في الموت ككتاب مقدر، مؤكدًا على ضرورة التحرر من الخوف لتحقيق الإبداع الحقيقي.

الخاتمة

يبرز كتاب السيد حافظ كوثيقة أدبية فلسفية تعكس صراع المثقف مع الفساد والفقدان، مستلهمًا تقاليد السرد العربي والفكر الغربي. العناوين المختارة تكشف عن نقد للسلطة الثقافية، ودعوة للوفاء، وتأمل في الحرية والألم، مما يجعل الكتاب مساهمة قيمة في الأدب المصري المعاصر. يدعو حافظ إلى إعادة بناء الضمير الثقافي، محذرًا من أن تجاهل التراث يهدد الهوية، في إطار فلسفي يؤكد على الاستمرارية كأساس للتقدم.

الحلقة ١٧١ / ج١
لجان القراءة

موضوع هذه الحلقة غريب وعجيب: لجان القراءة.

من أين يبدأ الفساد الثقافي؟ من أين يبدأ الفساد الفني؟

إنه يبدأ من لجنة القراءة.

المفروض أن لجنة القراءة هي المِضبَطَة، هي المِصفار، هي الميزان الذي يزن النصوص، لكنها في الواقع أصبحت البوابة الكبرى للفساد الثقافي. وسأحكي عدة نماذج.

موضوع لجان القراءة قديم وجديد. وقد حكى لي الأستاذ الفنان القدير محمد توفيق نموذجًا شديد الدلالة. ومحمد توفيق هو الممثل والمخرج الإذاعي والمسرحي الكبير الذي عرفناه في أدوار المدمنين والحالات النفسية الخاصة، وشارك في أفلام عديدة، وتعلّم في إنجلترا، وكان مذيعًا في إذاعة الـBBC، وكان شخصية عظيمة بحق. جمعتنا الصداقة في جلسات طويلة في كافتيريا شهريزاد على النيل في العجوزة في الثمانينيات وبدايات التسعينيات (وكان المكان آنذاك جميلًا

نابضًا بالحياة، ثم صار فيما بعد قبيحًا وفارغًا).

قال لي محمد توفيق، وهو مدير مسرح الحديث في الستينيات: لا تصدّق أن لجان القراءة في ذلك الزمن كانت محترمة كما يُقال. قلت له: كيف، وهؤلاء أساتذة عظام؟ قال لي: كانوا يأتونني قبل الصيف، قبل شهر خمسة، يطلبون نصوصًا ليقرؤوها. لماذا؟ لأن كل واحد منهم كان يأخذ على النص ثلاثين جنيهًا (وهو مبلغ يساوي اليوم آلاف الجنيهات). فإذا قرأ عشرة نصوص حصل على ثلاثمائة جنيه، ويذهب ليقضي الصيف كله في الإسكندرية.

قلت له: ومن كانوا أعضاء لجان القراءة؟ قال: اسمع ولا تتعجب:

الدكتور محمد القصاص،

الدكتور محمد مندور،

الدكتور علي الراعي،

رجاء النقاش.

هؤلاء هم أعضاء لجان القراءة في هيئة المسرح، في المسرح

الحديث.

قال: كانوا يأخذون النصوص، عشرة أو خمسة عشر نصًا، ولا يقرأونـها، بل يكتبون: مرفوض، مرفوض، مرفوض... ثم إذا وصلوا إلى نص لسعد الدين وهبة لا يقرأه أحد، لكن الجميع يكتب: مقبول. وإذا وصلوا إلى نص لنعمان عاشور، لا يقرأه أحد، والجميع يكتب: مقبول.

قال لي: والله ما كانوا يقرؤون النصوص، كانوا ينجزون التقارير في خمسة أو ستة أيام، ليأخذ كل واحد منهم ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه ويسافر إلى الإسكندرية ليصطاف.

ثم قال لي: سأحكي لك واقعة أخرى.

وقعت لي شخصيًا سنة أول مؤتمر للأدباء في مصر بعد النكسة، في الزقازيق. قدمنا نصوصًا للتأليف والإخراج. وأُعطيت الجائزة الأولى لعلي سالم، والجائزة الثانية لنادية سالم. علي سالم كاتب معروف، لا مشكلة في ذلك. أما أنا فقد حصلت على المركز السادس.

كنت شابًا متحمسًا، وكنت قد قدّمت نصًا بعنوان ستة رجال في

معتقل. فكتبت شكوى. نعم، كتبت شكوى إلى جمال عبد الناصر نفسه. وكانت الدولة آنذاك دولة حقيقية، تكتب شكوى بقرش صاغ، فتتحرك الدولة كلها. كنت قد فعلت ذلك من قبل في موضوع البطاقة الشخصية، حين أساء إليّ الموظفون، فجاءتني الشرطة لا لتعاقبني بل لتُنصفني وتُلزم الموظفين باستخراج البطاقة.

في هذه المرة كتبت شكوى عن فساد المسابقة. فتحوّلت الشكوى إلى سعد الدين وهبة، فشكّل لجنة ثانية برئاسة الناقد الكبير أمير إسكندر، اليساري المحترم.

الحلقة ٢٧٢ /ج٢
لجان القراءة

كان يوم الخميس، وقد حدثت لي مشكلة أثناء التسجيل في الأسبوع الماضي، إذ انقطع الاتصال وضعف البث، فلم تكتمل الحلقة، وكانت الحلقة عن لجان القراءة. وكنت قد قلت في الحلقة السابقة إن لجان القراءة هي سبب الفساد الأساسي، وهي العكاز الذي يستند عليه المثقفون الفاسدون، أي إن المثقفين الفاسدين يستندون إلى كلمة «اللجنة» وإلى «قوائم اللجان» ليبرروا ما يفعلونه.

(وأشير هنا إلى أنني مررت بأسبوع صعب جدًا)، فقد كنت أتمشى كل يوم كما أوصاني الطبيب، وامتنعت عن القهوة إلا فنجانًا واحدًا في اليوم، وكنت أمشي نصف ساعة يوميًا، ثم أعود متعرقًا فأفتح المروحة والمكيف، فأصبت بنزلة برد شديدة، ولكن الحمد لله، فأنا أتلقى علاجًا مكثفًا، وهناك تحسن واضح، ولا تزال مشكلة السعال قائمة، لكنها إن شاء الله ستُحل، وربنا يهونها علينا.

كنت أتكلم عن لجان القراءة بوصفها العكاز الذي يستند عليه المثقفون الفاسدون، أو أي جهة تريد أن تفسد مشروعًا ما. وقد قيل قديمًا، على ما أظن عن الشاعر التركي العظيم ناظم حكمت، حين ذهب إلى الاتحاد السوفيتي ليرى حلم الاشتراكية والدولة النموذجية، فاكتشف أن عيب الاشتراكية هو كثرة اللجان. وهناك مقولة أخرى تقول: إذا أردت أن تفسد مشروعًا، فعليك بتكوين لجنة، لأن اللجنة هي التي تفسد المشروع. وهذا لا ينطبق على كل الحالات، فلكل قاعدة استثناء، ولكن إذا أردت أيضًا أن تفسد أمرًا آخر، فألغِ اللجان تمامًا، فتتحول الأمور إلى فوضى، يعمل كل شخص ما يشاء بلا رقابة ولا استلام ولا محاسبة، فيفسد كل شيء. فكلا الأمرين مرّ، ولهذا أعود إلى موضوع لجان القراءة.

لقد حكيت لكم أنني في عام ١٩٦٩ قدمت في مؤتمر أدباء الشبان في مصر، وكان ذلك هو المؤتمر الوحيد الذي دُعيت إليه في ذلك العام، وكنت أصغر كاتب فيه، وكان عمري عشرين سنة. وكان فاروق حسني مدير ثقافة الأنفوشي ممثلًا

عن أدباء الشبان. وقدمت مسرحية «ستة رجال في معتقل»، ولم أحصل على الجائزة الأولى، بل حصلت على الجائزة السادسة. فاحتججت، وأرسلت خطاب احتجاج إلى جمال عبد الناصر. (جمال عبد الناصر بالنسبة لي لم يكن مجرد رئيس، بل كان رمزًا)، وكنت مؤمنًا به وبمشروعه، فكتبت شكوى بخمسة قروش وأرسلتها إليه، فتحولت إلى الثقافة الجماهيرية، وانقلبت الدنيا.

وكيف يمكن أن يقال لي: لماذا تحب جمال عبد الناصر؟ وأنا كنت أرسل إليه شكاوى وأنا في السادسة عشرة من عمري من أجل استخراج بطاقة شخصية بعدما أساء إليّ الموظفون في قسم محرم بك. وفي عهد عبد الناصر نفسه، وأنا في العشرين من عمري، اشتكيت إليه لأنني دخلت مسابقة فاسدة، فتحولت الشكوى إلى سعد الدين وهبة، وتشكلت لجنة ثانية بعد إعلان النتيجة، وترأسها الناقد الكبير أمير إسكندر. ولم أكن أعلم أنهم شكلوا لجنة ثانية، وأن أمير إسكندر قال كلامًا في حقي، وأكد أنني كنت الأحق بالجائزة الأولى، بينما كانوا

قد أعطوها لصديق علي سالم والأستاذة نادية سالم، وهي كاتبة ومخرجة سينمائية وتلفزيونية كبيرة، لها فيلم «صاحب الإدارة بواب العمارة» من تأليفها وإخراجها وبطولة عادل أدهم ونادية الجندي. لكنها اختفت بعد ذلك لأنها كانت محترمة، والوسط الفني (كما تعلمون) قليل فيه المحترمون وكثير فيه غير ذلك.

ففي كل وسط، تجد شخصيات محترمة، مثل أشرف عبد الغفور وأشرف زكي وغيرهما، ولكن تجد أيضًا شخصيات أخرى (كما في أي مجتمع) كثيرة الفساد، وهذا بحكم طبيعة المجتمع العربي، حيث إن نسبة كبيرة منا لديها استعداد للفساد، إما بالجينات أو بالرغبة أو بالظروف.

قابلني أمير إسكندر بعد ذلك في بغداد. كنا في العراق، وكان في الفندق نفسه، والتقينا عند الاستقبال. وكان قد كتب كتابًا عن صدام حسين، فقامت الدنيا عليه، وانقلب عليه اليسار: كيف يكتب عن صدام؟ وكيف يمدحه؟ لكن أمير إسكندر كان كاتبًا محترمًا وإنسانًا محترمًا، وكان يكتب أن فلانًا جيد إذا

كان جيدًا في وقته، فصدام حسين في وقت ما كان يُنظر إليه بوصفه قائدًا وطنيًا قبل أن يفسد لاحقًا. ومن منّا لم يفسد؟ التاريخ كله مليء بالبلاوي والفساد والدم والظلم، سواء في التاريخ العربي أو الإنساني كله.

أنا أشاهد المسلسلات التاريخية التركية، مثل مسلسل «السلطان عبد الحميد»، وأعجب بها لأنها تكشف الفساد داخل المجتمع والنظام. وكذلك التاريخ الإنجليزي مليء بالفساد والملكية الفاسدة. لكن في مصر والوطن العربي، يُمنع أن نعرض تاريخنا بصدق. لا يجوز أن نصنع مسلسلًا عن محمد فريد مثلًا يبيّن كيف خانه المجتمع. لا يجوز أن نقول إن الزعيم الوطني محمد فريد أنفق كل أمواله على الثورة ومات منسيًا في الغربة. لا يجوز أن نُظهر كيف تخلت عنه الحكومة. نحن نكتم، نكتم دائمًا.

وحين أردت أن أكتب مسلسلًا عن نضال المصريين في أيام صلاح الدين الأيوبي، وكنت أتحدث عن أراقوش، لم يكن همي الشخصيات، بل الوضع الاجتماعي للشعب. فقيل لي: لا تقل

هذا. وكتب الدكتور حسن عطية أن هذا المسلسل سيسيء إلى تاريخنا الوطني، مع أنني لم أكتب عن «التاريخ الوطني»، بل عن سلوك الناس.

وهنا نعود إلى لجان القراءة. فقد قابلت أمير إسكندر وسألني: هل قدمت شكوى؟ قلت له نعم. فقال لي: لقد تحقّقوا فيها، وسعد الدين وهبة شكّل لجنة جديدة، وأنا ترأستها، وقررنا أنك تستحق الجائزة الأولى، وقلنا ذلك في البرنامج الثقافي، واعترفنا بخطأ اللجنة الأولى. قلت له: ولماذا لم يُعلن هذا في الصحف؟ فقال لي: دعني أفهمك. إذا رسب طالب وهو يستحق النجاح، ثم قرروا أن ينجحوه، فإنهم لا يعلنون ذلك. ينجح في الخفاء وينتهي الأمر. هكذا تعمل منظومات الفساد منذ فجر التاريخ.

اللجان هي سبب البلاء، وهي العكاز الذي يُضغط به، ولو جلستُ أحكي عنها لطال الكلام. لقد قدّمتُ مسرحية اسمها امرأتان إلى الثقافة الجماهيرية، الإدارة المركزية، وكتب عنها الناقد الكبير أحمد عبد الحميد، لأنه كان يعمل في جريدة

الجمهورية، وكان رجلًا لطيفًا، ذا ملامح تركية، ووجه أحمر لطيف، ويرى نفسه، فقال إن أسوأ عمل قرأه في التاريخ هو هذه المسرحية. فسأل يوسف الجندي: من الذي كتب هذا؟ فقالوا: الأستاذ أحمد عبد الحميد في الجمهورية. قلت: يا رجل، أعطني قارئًا ثانيًا، فمن حقي أن أعترض، أنا مواطن، أريد قارئًا ثانيًا، بالله عليك بلا مسخرة.

فجاؤوا لي بقارئ ثانٍ، كان أمير سلامة (رحمه الله)، وكان كاتبًا مسرحيًا متواضعًا، مثقفًا جدًا، ومسيحيًا من المسيحيين النادرين في نقاء قلوبهم وشهامتهم، مثل المسلمين النادرين كذلك. فوافق أمير سلامة، وتمت المسرحية، وأخرجها مخرج جيد اسمه الأستاذ سمير حسني، وجئنا بممثلين: مجدة منير، وممثلة مشهورة جدًا من جيل الستينيات في السينما هي أمال رمزي. وتمت المسرحية، وطلبنا عرضها، وطلبت الإدارة العامة أخذ قاعة عبد الرحيم الزرقاني لعرض المسرحية، فعُرضت امرأتان وكسرت الدنيا، وامتد عرضها أسبوعًا ثانيًا، ثم أسبوعين آخرين.

وكان أحمد عبد الحميد نفسه قد كتب: امرأتان تجتاح الجماهير في غرفة ضيقة، والمسرح الكبير في المسرح القومي لا يجتذب الجماهير. فقالت هدى وصفي (وهي سيدة جميلة جدًا، محترمة، ذات عقل جميل): كيف يحدث هذا؟ نحن جئنا بهم ضيوفًا، وهم يكتبون ما يؤدي إلى إغلاق المسرحية. قالت: خلاص، هؤلاء ضيوف، انتهت مدتهم، ويمشون. ومشوا بعد خمسة عشر يومًا، ثم بعد واحد وعشرين يومًا.

ثم كتب أحمد عبد الحميد نفسه أنها أفضل عرض قُدِّم على خشبة المسرح القومي، وكتب آخرون كذلك. فبأي ضمير نكتب؟ وبأي قلم نكتب؟ وبأي نفاق نعيش؟ وبأي وجه نتعامل؟ إن المثقفين يتعاملون مع بعضهم بعضًا بقسوة غير عادية، وبأخلاق سافلة، وإن القلة من المثقفين الشرفاء يصمتون صمت الحملان وصمت القبور، ولا يشهدون بالحقيقة. إن الشهادة بالحقيقة جزء من رسالة سماوية يقوم بها الأديب للدفاع عن موهبة، أو عن نص، أو عن شاعر، أو عن فنان، أو عن مفكر، أو عن إنسان. فكيف تحمل رسالة الدفاع عن

الإنسانية وأنت غير قادر على الدفاع عن زميل لك، أو عن نص جميل قرأته، أو عن عمل فني شاهدته؟

إننا نحتاج إلى إعادة النظر في فهم طبيعة المحرك: اللجان.

اللجان منذ فجر التاريخ، واللجان... وقد جعلها ناظم حكمت محورًا في مسرحيته.

لقد أطلت عليكم، لكنني سعيد أنني كنت معكم. وأفكر أن أجعل لقاءً أسبوعيًا، وأن أقدّم مقاطع قصيرة. وأقول في الختام: قرأت اليوم مقالًا للشاعر والصحفي الكبير نادر ناشد عن توفيق الحكيم، يطلب فيه تطبيق نظرية توفيق الحكيم: كتاب لكل مواطن. وأنا أقول: نحن نحتاج إلى كتابين لكل مواطن، كتاب في اليمين وكتاب في اليسار، حتى نحمي الجسور الجديدة، والمباني الجديدة، والإنجازات، والمصانع، والمدن الجديدة، وحتى نبني وطنًا جميلًا.

الحلقة ٢٧٣

د. كمال عيد وداعا ٢١ يوليو ٢٠٢٢م

النهارده حديث موجع ومؤلم، فقدنا هذا الأسبوع العملاق الكبير الدكتور كمال عيد. الأستاذ الدكتور كمال عيد، الذي وافته المنية عن عمر يناهز الحادية والتسعين، كان صاحب إرادة حديدية، ومؤلفات عظيمة، وكتابات رصينة في الأدب والمسرح، كما كان منظراً مهماً للمسرح.

لقد أسهم الدكتور كمال عيد في تأسيس أقسام المسرح في السعودية والكويت ومصر وليبيا، وأسهم كذلك في العراق، وأخرج أجيالاً متميزة من المثقفين والمخرجين. (كنت أتوقع من العراق والكويت أن يقيموا له حفلاً تأبينياً يليق بمقامه) ومن الكويت أشكر عميد معهد الفنون المسرحية الذي بعث برسالة عزاء، لكن كنت أتصور حضور اثنين أو ثلاثة على الأقل من المعهد العالي للفنون المسرحية، حيث درس الدكتور كمال عيد وأشرف على عدد من رسائل الدكتوراه.

أما ليبيا، فقد قضى الدكتور كمال عيد عشر سنوات فيها،

أسس خلالها المسرح والفرق والمجموعات، واستضاف الليبيين في بيته، وأشرف على عدة رسائل دكتوراه، ولم يظهر أي تقدير من جانبهم، سوى بيان منشور على الإنترنت من نقابة الفنانين الليبيين.

أما الكويت فلم يحدث شيء يُذكر، ولا العراق، ولا السعودية، رغم أن الدكتور كمال عيد أشرف على طلاب هناك وعمل سنوات طويلة في تدريس المسرح، وقدم خدمات جليلة. (كل هذه الأمور تظهر غياب الضمير الأدبي) فالوفاء قليل، والفنانون غابوا، والأساتذة غابوا، وكان الصرادق خالياً.

لقد شعرت بالخيبة والحزن الشديد، إذ لم يظهر التقدير للشخص الذي أسهم في تعليم وإعداد أجيال من المسرحيين والمثقفين في الوطن العربي، وهذا يدل على غياب الوفاء والمروءة.

الموت لا يملك جلالاً، ولا وفاء، والموت لا يفرق بين عظيم وصغير، إلا أن إحراق قلبي يعود إلى أن الدكتور كمال عيد قدم للوطن الكثير، وله فضل علينا جميعًا، إذ ألف نحو ثمانين

كتابًا في المسرح، بعضها محل اتفاق، وبعضها محل اختلاف، لكنه كان أستاذًا عظيمًا ومعلمًا بحق.

(مصر لم تقدر ذلك بالشكل اللائق) فحتى مكتبته وإنتاجه الإبداعي لم تُحفظ بشكل مناسب، وقد تم توزيع بعض كتبه على الطلاب في المعاهد، لكن غابت الجهة الرسمية عن ذلك، فلم تُعطَ الكتب حقها في الحفظ والتوثيق.

أما فيما يتعلق بوفاة الدكتور أحمد مرسي، فقد كان مع الحكومة والسلطة، لكن ذلك لم يمنعه من تقديم الكثير لهذا الوطن، ولتلاميذه أثر كبير، وكان وجهًا ثقافيًا بارزًا في مصر. (هذا الأسبوع كان صعبًا للغاية على مصر) فقد كمال عيد وفقد أحمد مرسي بعده بيومين، وهذه خسارة عظيمة.

لقد شعرت بالعصبية والإرهاق، إذ كنت أتعاطى علاجًا يجعل مزاجي متقلبًا، لكن الحياة صعبة ونحن بحاجة إلى التكاتف ومساندة بعضنا البعض، حتى في الموت وفي العزاء. (إن فقد الكبار يشكل صدمة، والفقدان يعكس غياب الوفاء) حزني إلى الشعب المصري والعربي على فقد الدكتور كمال عيد، وحزني

أيضًا على اتحاد كتاب مصر الذي لم يحضر رئيسه العزاء وسافر إلى الأردن بعد يوم من الوفاة، رغم أن حضوره لم يكن ليستغرق سوى ربع ساعة.

كان من المتوقع حضور بعض من ساعدهم الدكتور كمال عيد، مثل الدكتور أشرف زكي والدكتور علاء عبد الهادي، الذي دافع عن الدكتوراه الخاصة به، وقد أشرف على هذا الشخص بنفسه، لكنه لم يحضر العزاء. (أين ذهب الوفاء؟ وأين ذهب الأمل؟) إلى أين نحن نمضي؟

أسبوع صعب للغاية، ولكن أتمنى أن تحمل الأيام القادمة الخير. كما أسأل الدعاء للصحة لكل من الدكتور محمد زعتي في الجزائر ولكل مريض على وجه الأرض، من كل دين ومذهب، راجيًا من الله أن يخفف عنا هذا العناء.

(مرة أخرى، عزاء لمصر وللوطن العربي في فقد الأستاذ الدكتور كمال عيد وفقد الدكتور أحمد مرسي) لقد أظهر هذا الواقع قلة الأمل، وعدم تقدير الأعمال الجليلة، وقلة الوفاء في الوفاء بالموت، فالوفاء أصبح غائبًا في وسط المثقفين

والفنانين.

الموت لا يملك جلالًا، ولا وفاء، والموت لا يفرق بين من خدم الوطن ومن لم يخدم، إلا أن إحراق قلبي يعود إلى أن الدكتور كمال عيد قدم للوطن الكثير، إذ ألف نحو ثمانين كتابًا، بعضها محل اتفاق، وبعضها محل خلاف، لكنه كان أستاذًا عظيمًا ومعلمًا بحق.

(مصر لم تقدر ذلك بالشكل اللائق) فحتى مكتبته وإنتاجه الإبداعي لم تُحفظ بشكل مناسب، وقد تم توزيع بعض كتبه على الطلاب في المعاهد، لكن غابت الجهة الرسمية عن ذلك. أما مكتبة عبد الله النديم فقد أهملت، وتعرضت للدمار، رغم دوره الكبير في تأسيس المدارس ودعم الوطن، كما دمرت مكتبة الأستاذ جمال الغيطاني في مؤسسة أخبار اليوم بعد وفاته، وكان الوضع مشابهًا لمكتبات مصطفى أمين ومحمود تيمور، إذ لم يظهر أي تقدير من جانب الأحفاد أو الجهات الرسمية، حتى أن الكتب تم وضعها في كراتين وتعرضت للإهمال.

(هذه الأحداث تعكس بلا ذكره الشعب المثقف) ومع ذلك، يبقى المثقف رمزًا، ولكنه يعيش في غياب الوفاء، فلا أحد يريد أن يظهر احترامه للمعلمين والعظماء، وأين اختفى الوفاء؟ أين اختفى الصدق؟ أين اختفى بريق الحياء؟

لقد فقدت مصر واحدًا من أعظم الشخصيات الثقافية، الدكتور أحمد مرسي، الذي كان مع الحكومة والسلطة، لكنه قدم الكثير لهذا الوطن، وترك أثرًا بالغًا لتلاميذه. (هذا الأسبوع كان صعبًا للغاية) وأتمنى أن يكون هناك جيل أفضل، لأنني بريء من ما فعله جيلنا وما يفعله الآن، وأؤكد أن الحياة صعبة، ونحن بحاجة إلى محبة بعضنا البعض والتكاتف في مواجهة هذه الصعوبات.

الحلقة ٢٧٤
ذكريات شهر يوليو

مساء الخير وصباح الخير. اليوم هو يوم خميس من شهر يوليو، من القاهرة. حلقت ذقني رغبةً في منح نفسي طاقة إيجابية، وقلت إن يكون حديث اليوم، إن شاء الله، مثمرًا ومفيدًا. الجو حار جدًا في القاهرة، والحر شديد في العالم كله، ومع ذلك نزلت سيول في الإمارات رغم هذا الحر، وامتلأت الشوارع بالمياه، وهو أمر غير طبيعي. الطبيعة غاضبة، أو السماء غاضبة، أو الآلهة غاضبة علينا؛ فنحن – على ما يبدو – كلما أردنا أن نفعل شيئًا صالحًا فعلنا ما هو غير ذلك.

أتحدث اليوم عن شهر يوليو، ونحن نمر بأحداث عجيبة جدًا. مرّ يوم السادس والعشرين من يوليو، ونحن الآن بعده بيومين، ولذلك كان لزامًا أن أتوقف عند هذين اليومين. في ذكرى السادس والعشرين من يوليو، أتذكر خروج الإنجليز من مصر. وأنا رجل أحب جمال عبد الناصر جدًا، لا حبًا أعمى، ولكن لأنني أعرف أن عبد الناصر قيمة كبيرة في حياتنا، وفي

حياة الأمة العربية، وفي حياة الوطن العربي، وفي القومية العربية. هو صاحب نداء القومية العربية، ووحدة العرب، واحتضن كل العرب في مصر.

كنت في المدرسة في وقت من الأوقات، وكان يدرس معي شباب فلسطينيون وشباب سودانيون، وكان التعليم مجانيًا. بل إن عبد الناصر كان يمنح الطلبة الفلسطينيين المقيمين في مصر عشرين جنيهًا، في الوقت الذي كان فيه المدرس الذي يدرّس لهم يتقاضى سبعة عشر جنيهًا. أي إن الطالب الفلسطيني كان يتقاضى عشرين جنيهًا، بينما كان المدرس يتقاضى سبعة عشر جنيهًا.

كان يوم السادس والعشرين من يوليو يومًا نحتفل به؛ فثورة الثالث والعشرين من يوليو قامت، وفي السادس والعشرين من يوليو خرج الإنجليز من مصر. هذا الخروج تم وفق اتفاق، وأُكّد عليه كي يخرجوا من مصر في عام ستة وخمسين. ويُقال إن عبد الناصر هو السبب الوحيد في خروج الإنجليز من مصر، وهذه مقولة غير دقيقة. أنا أحب عبد الناصر جدًا، لكنه

طالب الإنجليز بتنفيذ معاهدة ستة وثلاثين. ففي معاهدة ستة وثلاثين قال النحاس باشا باسم شعب مصر: وقّعت المعاهدة، وباسم شعب مصر ألغيت المعاهدة. وهلّل الناس في مجلس النواب، وقالوا: يحيا النحاس، يحيا الوفد. ثم جرى الاتفاق على أن يخرج الإنجليز بعد عشرين سنة، أي في ستة وخمسين.

عبد الناصر ألحّ على الإنجليز أن ينفذوا المعاهدة الموقعة بين الحكومة المصرية وبريطانيا، وقامت القوى الوطنية كلها: اليسار، والإخوان، وغيرهم، وشُكّلت كتائب فدائية في قناة السويس، وجرى تنفيذ عمليات مقاومة ضد الجيش الإنجليزي ومعسكراته، وأُزعج الإنجليز إزعاجًا شديدًا، ولذلك خرجوا في عام ستة وخمسين.

في ذكرى السادس والعشرين من يوليو، يجب أن يتذكر الشعب المصري جيدًا أن السبب في خروج الإنجليز من مصر عام ستة وخمسين هو النحاس باشا. نختلف أو نتفق معه، لكن يجب أن نعطي كل ذي حق حقه. هو الذي ألغى معاهدة ستة

وثلاثين، وهو الذي فتح الطريق لخروج الإنجليز. وبعد خروجهم بشهرين أو ثلاثة وقع العدوان الثلاثي، وجرى تأميم قناة السويس.

حين أتحدث عن خروج الإنجليز، فأنا أنبه المواطن المصري: انتبه. أنت سبعة آلاف سنة تحت الاحتلال. بخروج الإنجليز من مصر عام ستة وخمسين فقط، حصلت على حريتك. كل تاريخك قبل ذلك كان تاريخ عبودية واحتلال. احتُللت من الفرس، ومن غيرهم، وحكمتك النوبة، واحتُللت من الفاطميين، واحتُللت من العثمانيين أربعمائة سنة، واحتُللت من الفاطميين مئتين وعشرين سنة. أنت طوال عمرك محتل. المرة الوحيدة التي بدأت فيها تكون حرًا كانت في السادس والعشرين من يوليو عام ستة وخمسين.

هذا تاريخ ميراث العبودية والاحتلال. ولذلك نحن أكثر شعب في العالم تحمّل الذل، وأكثر شعب في العالم أُهين، وأكثر شعب في العالم قاتل وخدم الاستعمار. خدمنا الاستعمار الإنجليزي، وخدمناه فعلًا. حتى حين جاء محمد علي، كان يأخذ من الجيش

المصري، ويطلب من عمر مكرم أن يدفع المصريون ضرائب ثمن الشعير الذي تأكله الخيول. المصريون كانوا يدفعون ضرائب من أجل خيول الجيش.

وقال محمد علي إن المصريين لا يعرفون اليمين من الشمال، فوضع لهم قطعة قطن في اليمين وبصلة في الشمال. وهذه – على فكرة – حالة ما زالت موجودة حتى الآن؛ كثير من الناس يخطئون بين اليمين والشمال. هناك ارتباك جيني في هذه المسألة.

قال محمد علي إن المصريين لا يعرفون اليمين من الشمال، ولذلك كان يأتي بالمماليك والعبيد، ويمنحهم الجنسية، ويسميهم أسماء إسلامية، ويعلمهم القرآن، ويعلمهم السلاح، ويزوجهم، ليصبحوا جنودًا في الجيش. هذه كانت بدايات تكوين الجيش المصري الحقيقي. وقبل ذلك كان رمسيس الثاني يفعل الأمر نفسه؛ كان يصطاد العبيد أو يخطف الناس ويضمهم إلى الجيش، ويسميهم أسماء فرعونية، ويجعلهم مصريين.

وفي السادس والعشرين من يوليو أيضًا تحل ذكرى رحيل سليمان الفهد، الكاتب الكويتي الساخر، واحد من أجمل كتاب العمود الصحفي. كان متأثرًا بمدرسة محمود السعدني. هناك من لا يحب محمود السعدني، لكن لا يوجد كاتب ساخر مثله. الكتاب الساخرون نادرون، لأن معظمهم دمهم ثقيل. سليمان الفهد كان كاتبًا ساخرًا له عمود رائع، وكان إقبال الجماهير عليه شديدًا جدًا في زمن كانت فيه جماهير حقيقية.

تعرفت عليه في الكويت، وكان شخصية عظيمة. عملت معه حين كنت أعمل في مؤسسة الصدى في دبي، في عهد الشيخ محمد بن راشد، وكان سيف المري رئيس التحرير. أنشأت مجلة "الشاشة"، ودعوته للكتابة فيها. كان مندهشًا من جمع هذا العدد من الأسماء الكبيرة في مجلة واحدة.

سليمان الفهد قيمة كبيرة في حياتي، وصديق عزيز، وكاتب من طراز رفيع. الكويت فقدته، ولن تجود بمثله بسهولة، كما أن مصر لن تجود بمثل محمود السعدني مرة أخرى.

وفي السادس والعشرين من يوليو أيضًا ذكرى رحيل توفيق

الحكيم. لتوفيق الحكيم ما له وما عليه. هو المؤسس الأول، لأنه الوحيد الذي امتلك مشروعًا طويل النفس في الكتابة المسرحية. له أعمال عظيمة، وله أعمال ضعيفة، وله أعمال متوسطة. لا يوجد كاتب كامل. كل شيء قابل للنقد والحوار. تقديس الأشخاص خطأ.

قابلت توفيق الحكيم مرة في حياتي، وقابلته مرة أخرى مع أخي محمد حافظ رجب. ويظل توفيق الحكيم علامة فارقة في حياتنا الثقافية.

وفي السادس والعشرين من يوليو أيضًا ذكرى رحيل الفنان الكبير فاروق الفيشاوي. عرفته منذ أيام المعهد، ثم حين جاء إلى الكويت. اشتغل بطلًا لمسرحية لي، وأجرينا ثلاثين بروفة، لكن قبل العرض بيوم واحد تزوجت بطلة العرض من أمير سعودي، فتوقفت المسرحية. كان اسمها "أنا ماليش حل"، وإخراج سيد راضي، الفنان العظيم، رحمه الله.

وفي عام ثمانية وستين كتبت أول مسرحية تجريبية في حياتي...

لفاروق حسني، حين كان مديرًا لثقافة الأنفوشي، موقف لا أنساه. انبهر بما كتبت، وقال لي: أنت كاتب مسرح تجريبي؟ وكنت قد كتبت كلمة «مسرح تجريبي» بخط يدي. قال لي: لا، لا، لا، أنت جيد جدًا. ثم سأل عني مرة أخرى، وقال: أين الشاب الذي يكتب مسرحًا تجريبيًا؟ كنت وقتها في العشرين من عمري، فأرسل إليّ ورشحني للمشاركة في مؤتمر الأدباء الشبان، الذي عُقد في الزقازيق، وكان أول مؤتمر لأدباء الأقاليم، وذلك بعد النكسة مباشرة.

ثم طبعت عام سبعين مسرحية «كبرياء التفاهة في بلاد اللامعنى». أخذ مني صبح الشاروني ثمانية جنيهات مساعدة في الطباعة، وكانت هذه الثمانية جنيهات هي معاشي وسكني وأكلي وشربي لمدة شهر كامل. عشت شهرًا في ظلمة حقيقية؛ بلا طعام كافٍ ولا مال، وأنا في القاهرة، ساكن في المنيرة. وكان من زملائي حينها محمد متولي الممثل المعروف باسم «ميتو»، والدكتور سامي عبد الحليم، كنا زملاء في كلية دار العلوم. طلبت سلفة من الكلية، وكان الدكتور أحمد هيكل (الذي

أصبح لاحقًا وزيرًا للثقافة) يعمل في دار العلوم، فصرف لي ثلاثين جنيهًا على أساس أن أطبع بها المسرحية. قلت إنني سأطبعها بطريقة الاستنسل. أخذت الثلاثين جنيهًا، عشرين للطباعة، وعشرة أعيش بها.

عندما صدرت المسرحية عام سبعين، قامت الدنيا ولم تقعد. ما معنى التجريب؟ شتائم وهجوم في جريدة «أخبار اليوم» عبر عمود «أبو نظارة». الأستاذ عبد الفتاح البارودي خصص عموده اليومي للنقد لمهاجمتي، وقال إنه قرأ بالإنجليزية والفرنسية ولم يفهم ما هذا الذي يُكتب، وما معنى التجريب. ونبيل عصمت، صاحب «أبو نظارة»، كتب ساخرًا أن شابًا ظهر يدّعي أنه يحمل رسالة المسرح التجريبي، وتساءل: هل التجريب تخريب للمسرح؟ علي سالم هاجمني، والجميع هاجمني.

بعد ذلك كوّنت مجموعة المسرح التجريبي، وقلدوني في الكتابة. نعم، باختصار: قلدوني. وكان فاروق حسني معنا في هذه المجموعة، انضم إلينا، وأصبح واحدًا منا، قبل أن يصبح

وزير الثقافة العظيم لاحقًا. وكان معنا الأستاذ مسعد خميس، الكاتب والفنان الكبير، ويوسف عبد الحميد، ومجموعة أخرى.
عندما أصبح فاروق حسني وزيرًا، أنشأ مهرجان المسرح التجريبي. حينها قال الجميع: أنا صاحب فكرة المسرح التجريبي، أنا الذي قلت للوزير، أنا الذي اقترحت. فهمي الخولي، وغيرهم، الجميع قالوا ذلك. كله كذب. فاروق حسني كان يعرف جيدًا ما معنى التجريب، ويفهمه تمامًا، لأنه كان يعمل معنا منذ السبعينيات، وشارك في إخراج مسرحيتين أو ثلاث، منها «كبرياء التفاهة في بلاد اللامعنى»، ومسرحية «سزف»، والثالثة بطولة الفنان الكبير علي الجندي. عمل معنا بجد، لا مصلحة، بينما كذب الجميع للأسف.
المصيبة الأكبر أن الدكتورة نهاد صليحة، وهي سيدة أحبها وأحترمها جدًا، وواجهة ثقافية عظيمة لمصر، كتبت كتابًا عن التجريب في مصر، ولم تذكر اسمي. وقالت إن التجريب ظهر في النص المسرحي على يد الأستاذ محمود أبو دومه. والحقيقة أن محمود أبو دومه، وقت أن كتبتُ المسرح

التجريبي، كان عمره ثلاث سنوات. هو الآن أستاذ كبير ودكتور وإنسان عظيم، وكتب نصوصًا مهمة لاحقًا، لكن الحقيقة التاريخية لا يجوز تزويرها. (من قلدني أكدني).

الأخطر من ذلك أنني حين اتجهت إلى الرواية لم أقلد أحدًا. دخلت الرواية بأسلوبي الخاص. وقبل أن أكتب المسرح التجريبي أصلًا، كنت قد كتبت مسرحية كلاسيكية عام أربعة وستين، حضرها الأستاذ محمود قاسم الناقد الكبير. كنا نلتقي في فنادق رخيصة في العتبة، مثل فندق موريال، بعشرين قرشًا. عرضت عليه المسرحية، وكانت متأثرة بالمسرح العالمي، ونُشرت لاحقًا في كتاب بعنوان «بوابة الميناء» ضمن خمس مسرحيات. أردت أن أؤكد أنني قادر على كتابة المسرح التقليدي، ومتمكن منه تمامًا، لأنني في فترة إعدادي قرأت ثلاثًا وسبعين مسرحية من المسرح العالمي، وكنت أقرأ أحيانًا مسرحيتين في اليوم، فوق سطح بيتنا، بجوار خزان المياه.

عندما كتبت الرواية، كتبتها بأسلوبي الخاص. والمفاجأة أن

رواية «نسكافيه» بعد صدورها بأقل من ستة أشهر، ظهر خمسة أو ستة كتاب يقلدونني في الأسلوب. الوحيد الذي قال كلمة حق كان الشاعر الكبير سعدان السلموني، وهو شاعر كبير بالفعل. قال في الأتيليه، على الملأ، إنه قرأ خلال شهرين أو ثلاثة عدة روايات تقلد أسلوب السيد حافظ.

بعض هذه الأعمال المقلدة حصل على جوائز. وأنا أعذر لجان التحكيم، لأن معظم أعضائها ليسوا مختصين في الرواية: هذا متخصص في البحتري، وذاك في الشعر العربي الحديث، وآخر في الأدب العباسي. هؤلاء أساتذة كبار وعمداء كليات، لكن ليسوا نقاد رواية.

الضمير الأدبي أنصفني لاحقًا. الدكتور حسن البندري درس أعمالي وكتب رسالة دكتوراه عن رواياتي ولغتها ومضمونها السياسي. الدكتورة فايزة سعد (رحمها الله) كتبت رسالة دكتوراه أيضًا. وفي جامعة عين شمس كُتبت رسالة مقارنة بين توفيق الحكيم ويوسف إدريس وليس عوض والسيد حافظ. ثم جاءت جامعة الإسكندرية، والدكتور محمد زكريا

عنان، برسالة أخرى، ثم الجزائر، وهي اليوم الدولة الأولى في النقد الأدبي العربي، دون مجاملة. احتوتني الجزائر وقدمَتني بشكل عظيم.

ثم جاء العراق، ثم عدت إلى مصر بدراسات مع الدكتور أبو اليزيد الشرقاوي، والدكتور محمد حسن محمد حسين عبد الله في المنيا، ثم في المنوفية. لو طُبعت كل رسائل الدكتوراه التي كُتبت عني، لاحتاجت الدولة خمس سنوات لطبعها، بمعدل رسالة كل شهر.

مرة قال لي فوزي فهمي (رحمه الله)، وكان واقفًا معه الدكتور مصطفى يوسف منصور والدكتور حمدي الجبري، قال لهم: السيد حافظ الذي يكتب ويُكتب عنه سيكون أكثر من توفيق الحكيم. ضحكوا ساخرين، فقال لهم: أنا لا أمزح. انتبهوا. سيد حافظ سيُكتب عنه أكثر من توفيق الحكيم.

من قلدني أكدني. أقول هذا لأن لديّ مشروعًا جديدًا في الكتابة، مشروعًا مهمًا سيغير مسار النوعية الأدبية. لا أريد جوائز، ولا أريد شيئًا من أحد. أريد فقط أن يتحرر الجيل القادم من

القوالب القديمة، ومن العفن، ومن القولبة. الأدب سيبقى بنكته الجديدة، ومذاقه الجديد، وهوائه الجديد، وأكسجينه الجديد.

أطلت عليكم، لكنه حديث أسبوعي. شهر يوليو يذكرنا بجمال عبد الناصر، وبجلاء الإنجليز، وبرحيل توفيق الحكيم، وبرحيل سليمان الفهد، وبرحيل فاروق الفيشاوي.

محبة بلا حدود من القاهرة.

السيد حافظ، العبد الفقير إلى الله.

أسألكم الدعاء بالصحة والستر.

الحلقة ٢٧٥
من مذكراتى في الصحافة

كان ذلك يوم خميس، الرابع من أغسطس عام ٢٠٢٢. اعتدت أن ألتقي كل خميس للحديث، أتحدث عن مذكّراتي، وعن تجربتي، وعن الواقع الذي أعيشه. وفي هذا اليوم كان لديّ موضوعان للحديث.

الموضوع الأول شخصي عام، والثاني شخصي خالص. أما الموضوع الشخصي، فهو أنني في العام الماضي مررت بأزمة صحية. كنت أعاني من آلام في قدميّ، ومن خشونة في الركبة استمرت سنتين أو ثلاثًا، ثم ظهرت مشكلة أخرى في منطقة الحوض. أُجريت الفحوصات والأشعة، وظهر اشتباه في مرض(عياذًا بالله)، فراجعت الأطباء. ثم تبيّن بعد ذلك أن لديّ تآكلًا في عظام الحوض، وأخبرني الطبيب أن أمامي فرصة تمتد ثلاث أو أربع سنوات، ثم قد أحتاج إلى تغيير المفصل.

وفي هذا العام، وفي التوقيت نفسه تقريبًا، شعرت بآلام شديدة،

لم أعد قادرًا على الوقوف أو المشي إلا بمساعدة. وإذا وقفت، استطعت أن أتحرك ببطء شديد. صرت أبحث عن شيء أستند إليه عند الجلوس، وكانت المشكلة الأكبر ليلًا أثناء النوم؛ سواء نمت على اليمين أو اليسار، كان الألم يأتيني في ساقي وفي جسدي كله، في العظام جميعها.

أجريت أشعة حديثة، وأفادت بوجود هشاشة وتآكل في الجانب الأيمن، إضافة إلى انزلاق غضروفي بين فقرات الظهر. وصف لي الطبيب علاجًا جديدًا، وطلب أن نسير خطوة خطوة، وأكد ضرورة إنقاص الوزن، إذ إن وزني زائد بنحو عشرين كيلوغرامًا عن المناسب لطولي.

ومع ذلك، فأنا بخير والحمد لله، أتنفّس وأعيش، ولكل أجل كتاب. حتى إنني بدأت أكتب وصايا لابنتي في دفتر خاص، أسجّل فيه ما قد يحدث، حتى لا أُتعب أحدًا. وهذا ليس عيبًا؛ فالمرض نعمة من الله، وليس نقمة، وكل ما يأتي به الله خير وله هدف.

أما الموضوع الثاني، فهو حديثي عن مذكّراتي مع الصحافة

والكتابة الصحفية. بدأت الكتابة في الصحافة وأنا في السادسة عشرة من عمري. التقيت في طريقي بعدد من الكتّاب الكبار، وكان من بينهم الأستاذ فتحي الإبياري، الصحفي الكبير، الذي كان يعمل صفحة أدبية في إحدى الصحف. بدأت أنشر في تلك الصفحة، وكنت أكتب شعرًا في البداية، ثم انسحبت مبكرًا حين أدركت أن هناك قامات شعرية أكبر وأعمق، فرأيت أن أبحث عن مجال آخر.

الغريب أنني حين نُشرت لي رباعيات أسبوعًا بعد أسبوع، أثار ذلك اعتراض بعض شعراء الإسكندرية، وبدأت هجمة لأنني شاب صغير ينشر، فتوقفت الصفحة عن نشر أعمالي. بعدها ظهرت مجلة «سنابل» التي كان يشرف عليها الشاعر الكبير محمد عفيفي مطر، فكتبت له رسالة ثقافية عن الإسكندرية، وسافرت إليه وقدّمت المقال، فنشره.

لكن هذا النشر أثار اعتراض عدد من أدباء الإسكندرية، وكتبوا إليه يقولون إنني لا أمثلهم. قابلني عفيفي مطر بعد ذلك، وأعطاني أجر المقال، وكان مبلغًا كبيرًا بالنسبة لي

آنذاك، لكن النشر توقف بعدها بسبب الضغوط، فتوقفت عن الكتابة في تلك المجلة.

انتقلت بعدها إلى الكتابة في مجلة «الثقافة العربية» الليبية. كنت أرسل المقالات ولا تصلني المستحقات، حتى اكتشفت لاحقًا أن أحد الكتّاب كان يتقاضى الأموال باسمي. كان ذلك صادمًا لي، فامتنعت عن الكتابة هناك.

لاحقًا نشرت في مجلة «الوطن العربي» في باريس، وكان المسؤول الثقافي فيها الدكتور غالي شكري، الذي نشر لي أعمالًا مهمة عن الحياة الثقافية والسينمائية في الكويت. لكن بعد فترة، جاء كاتب آخر، وأُبعدت أنا عن العمل، وتوقفت المستحقات مرة أخرى.

ثم أعود بالزمن إلى مجلة «الكاتب»، التي أُغلقت ثم أعيد إصدارها. كنت قد أرسلت قصة قبل الإغلاق، وعندما عادت المجلة للصدور برئاسة الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور، فوجئت بنشر اسمي ضمن أسماء كبار مثل نجيب سرور ونعمان عاشور. كان ذلك دعمًا معنويًا هائلًا لي، وشعرت لأول

مرة بأن هناك من يرى موهبتي ويؤمن بها.

نشر صلاح عبد الصبور القصة، فأرسلت رسالة الإسكندرية. بعدها استدعاني علي شلش، وقال لي إنني لا ينبغي أن أكتب رسالة الإسكندرية، لأن كتّاب الإسكندرية جميعهم يريدون كتابة هذه الرسالة. سألته عمّا ينبغي أن أفعله، فقال إن صلاح عبد الصبور يرغب في أن أكتب بابًا ثقافيًا، أستعرض فيه كتابًا قرأته، أو كتابًا مهمًا من الكتب التي أقرأها.

ظللت أكتب على هذا النحو حتى سافرت إلى الكويت. وكان صلاح عبد الصبور هو الوحيد الذي أمسك بيدي، وهو الوحيد الذي منحني أجرًا حقيقيًا من بين جميع الكتّاب المصريين، رغم أنني كنت شابًا صغيرًا في ذلك الوقت. وكان لصلاح عبد الصبور فضل كبير عليّ، أدبيًا وإنسانيًا، مع أننا لم نكن أصدقاء، ولم نلتق في حياتنا إلا مرة أو مرتين.

أنتقل بعد ذلك إلى مجلة «الموقف العربي». كان محمد علي الشويدي قد غادر مجلة «الثقافة العربية» في ليبيا، وسافر ليؤسس مجلة «الموقف العربي». وقد بدأت في تلك الفترة

تظهر مجلات تصدر في أوروبا، بقدر أكبر من الحرية والحركة، وكانت – في النهاية – مدعومة من أنظمة أو مؤسسات، إذ لا توجد صحافة بلا داعم. وكل من حاول أن يصنع صحافة مستقلة خالصة، انتهى به الأمر إلى الإفلاس، كما حدث لي من قبل.

ذهبت إلى قبرص، والتقيت بالكاتب الكبير حيدر حيدر. فوجئت بأنه قال عني كلامًا سيئًا بلا سبب، رغم أنني كنت قد كتبت عنه تقريرًا إيجابيًا. طلبت من محمد علي الشويدي أن يرفع أجره، فقال لي إن حيدر حيدر يتقاضى مبلغًا لا يكاد يكفيه للمعيشة، لكنه في الوقت نفسه كان يهاجمني ويقول إنني لست كاتبًا، وإنني جئت لبيع موضوعات صحفية. وقع ذلك عليّ وقع الصدمة، ومع ذلك ظللت أطالب بزيادة أجره، احترامًا لقيمته الأدبية.

بعد ذلك عُيّنت مراسلًا لمجلة «الموقف العربي»، بأجر شهري. لكن ما إن علم سليمان الشيخ، وهو كاتب وصحفي كبير، حتى سافر إلى قبرص، وحدثت أمور أدت في النهاية

إلى توقفي عن العمل. لم أستطع أن أعاتب محمد علي الشويدي، ولم أنشر سليمان الشيخ سوى موضوع واحد، ثم توقفت المجلة بالنسبة لي تمامًا.

عدت إلى مصر في فترة كان فيها المناخ السياسي خانقًا، فقررت الهجرة مجددًا. بدأت أكتب لمجلة «صوت الخليج»، وهناك تعرّفت إلى الشاعر الكبير أحمد مطر، الذي نشر لي فورًا، لكن دون مقابل. نشرت كذلك في صحف أخرى، ولم يصلني أي أجر، فقررت السفر إلى الكويت بنفسي، على أمل تحصيل مستحقاتي.

وصلت الكويت، فاكتشفت أن الأدب يُكتب بلا مقابل، وأن الصحافة لا تدفع. عانيت كثيرًا، واضطررت للعمل مترجمًا في جراج لإحدى الشركات، أترجم بين المدير الأجنبي والزبائن الكويتيين.

بعد فترة، تواصل معي الصحفي الكبير شاكر الجهري، وكان رجلًا نادرًا في نزاهته. استدعاني إلى مكتبه، ومنحني عملًا وراتبًا، وبدأت أكتب فورًا. التقيت هناك بأحمد مطر مرة

أخرى، وتوزعت المهام بيننا، فكان هو للثقافة، وأنا للفن.

لاحقًا نشرت في مجلة «فنون» في عدن، وكان يشرف عليها الكاتب والمسرحي والشاعر الكبير فيصل صوفي، الذي كان موهبة حقيقية. ثم حدثت مؤامرات خفية أفسدت العلاقة، قبل أن تصلني رسالة من الشاعر الكبير زكي عمر، يعتذر فيها عمّا حدث، ويؤكد أن شخصًا ما قد أفسد الأمور بيني وبين فيصل صوفي.

ومن المواقف التي لا أنساها تجربتي مع مجلة «الحياة المسرحية» السورية، التي كان يشرف عليها سعد الله ونوس (رحمه الله). كان ينشر المقالات دون تدخل أو مساومة، ويُراجعها لغويًا فقط ثم يرسلها إلى المطبعة. علمت لاحقًا أن مقالات لي نُشرت هناك دون أن يصلني العدد، وكان ذلك من نزاهته وثقته في الكلمة.

كذلك نشرت في مجلة «أفكار» الأردنية، ثم توقفت المستحقات دون سبب واضح. ومع ذلك أذكر موقفًا إنسانيًا مهمًا للأستاذ عبد اللطيف الأشمر، الذي منحني فرصة للعمل في صحيفة

«السياسة»، وساعدني في فترة شديدة الصعوبة، ولن أنسى له هذا الفضل أبدًا.

مررت بعد ذلك بأزمة اقتصادية خانقة بعد إفلاس مشروع ثقافي في القاهرة، فعدت إلى الكويت أبحث عن عمل. تواصلت مع عدد من الأصدقاء، وكان من بينهم الدكتور خليفة الوقيان، الذي حاول مساعدتي. وصلتني دعوة للعمل في مجلة «الطليعة»، لكنني فوجئت بأن وجودي قد يقطع رزق صديق عزيز، فانسحبت فورًا، وعدت إلى مصر دون تردد، حتى لا أكون سببًا في أذى أحد.

كل هذه التجارب جعلتني أقول اليوم، وأنا عند الطبيب أستمع إلى تشخيص العظام والهشاشة والانزلاق الغضروفي: إن هذا الجسد قد تعب وانهك. لقد دخلت في دوامات وسرعات قاتلة. لقد قتلني المثقفون كثيرًا، وتآمروا عليّ حتى في الكتابة المجانية.

منذ صغري وأنا أكتب بلا مقابل. وحين توليت مواقع تحريرية، كانوا يرسلون الشكاوى ضدي، ويتهمونني بمحاباة الأصدقاء.

لم أكن أظلم أحدًا، ولم أقطع رزق أحد، ولم أفهم يومًا لماذا نفعل ذلك بأنفسنا، ولماذا يأكل المثقف لحم المثقف.

إنها حياة ثقافية بائسة، يصنعها المثقفون بأيديهم. أتمنى من الله أن أموت دون أن أحتاج إلى أحد، لا إلى أولادي، ولا إلى الوطن، ولا إلى أي نقابة. الواقع الثقافي – أيها القادمون – يسير من سيئ إلى أسوأ.

أرجو ألا أكون قد أثقلت عليكم هذه الجلسة، لكنني أحبكم، وأسألكم الدعاء بالشفاء، فأنا لا أستطيع النوم ليلًا من شدة ألم العظام حتى الفجر. أسألكم الدعاء، وأسأل الله الستر، والصحة، والعافية لي ولكم ولكل مريض.

محبتي بلا حدود

السيد حافظ

الخميس ٤ أغسطس ٢٠٢٢
القاهرة المحروسة بإذن الله

الحلقة ٢٧٦
حول الحالة الثقافية والعلمية بالمنيا

صباح الأمل، صباح الكتابة الجميلة، وصباح الإبداع.

أكتب هذه الكلمات بعد عودتي من المنيا، وحديثي اليوم عنها، وهو حديث قد يبدو غريبًا، وليس غريبًا في الوقت نفسه؛ لأنني سأتناول الحركة العلمية والثقافية التي رأيتها هناك.

في البداية لم أكن أرغب في السفر؛ كنت متعبًا، أتناول العلاج قبل الطعام وبعده، وأدوية في الصباح وأخرى في المساء وقبل النوم، مع آلام العظام والهشاشة. ومع ذلك (الحمد لله على كل حال)، نمضي في الحياة نتناول الأدوية إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

وصلتني رسالة من طالبة تُعِدّ رسالة ماجستير حول المسرح الذي كتبته. أنا كتبت أكثر من مئتي مسرحية، ومن الطبيعي أن يعجب قارئ بعمل ولا يعجبه آخر، وأن يختار ناقد مسرح الطفل، أو المسرح السياسي، أو مسرح المقاومة الذي تناول القضية الفلسطينية وحرب الاستنزاف وحرب أكتوبر، أو

المونودراما التي كتبت فيها ثلاث مسرحيات شكّلت تجديدًا في هذا الشكل المسرحي. كلٌّ يغني على ليلاه، وأنا أحترم كل الآراء، سواء رأت في التجربة قوة أو رأت فيها ضعفًا.

قرأت الرسالة، وكانت من طالبة من أسرة كريمة، جادة، طموحة، ورأيت فيها شخصية قادرة على أن تكون فاعلة في العمل العام والفكري. ترددت في البداية، ثم وجدت نفسي أوافق على السفر، وكأنني كنت مستسلمًا للأمر.

كان للسفر سبب آخر أيضًا؛ فقد كانت ابنتي تُلحّ عليّ أن أغيّر الجو ولو أيامًا قليلة. وحين وصلت إلى المنيا أدركت أن المسافة ليست قصيرة كما كنت أتصور، لكن الله هوّن الأمر، وجلست إلى جواري في الطريق شاب حدّثني عن المنيا، وعن أسرته، وعن أحلامه، فكان الحوار إنسانيًا دافئًا.

عند الوصول استقبلني صديق كريم الخلق، متواضع، نبيل، تعرّفت إليه سابقًا عبر وسائل التواصل، فوجدته في الواقع كما توقعت، إنسانًا أصيلًا. وفي اليوم الأول جلست مع مجموعة من الأدباء، وتعرّفت إلى أسماء لها حضور ثقافي

حقيقي، ثم بدأت أكتشف المنيا عن قرب؛ مدينة فيها أدباء كبار، وحراك ثقافي لا يُستهان به.

في اليوم التالي ذهبت إلى الجامعة وحضرت مناقشة الرسالة. قبل بدء المناقشة التقيت بعدد من أساتذة الجامعة، فوجدت نفسي أمام مستوى عالٍ من الكفاءة العلمية، سواء في المسرح أو الأدب أو الدراسات الأدبية. الحوار معهم كان ممتعًا، واكتشفت أن التصور الشائع بأن القمة الثقافية محصورة في القاهرة والإسكندرية تصور خاطئ؛ ففي الأقاليم كفاءات رفيعة المستوى، وحوار علمي جاد.

حضرت المناقشة، واستمتعت بها، ولاحظت أن الطالبة صاحبة الرسالة كانت على مستوى عالٍ من الوعي والمناقشة والقدرة على المجادلة العلمية. قلت في نفسي: إن مصر بخير، وفيها بنات قادرات على أن يكنّ قائدات إذا أُتيحت لهن الفرصة.

في المساء تعرّفت إلى النادي الأدبي، وجلست وسط مجموعة من الأدباء، ولاحظت حالة من الإحباط العام تسود الكثيرين. وأنا مؤمن بأن الشباب سيأخذ دوره، وأن مصر لا تزال بخير.

تحدثت إليهم عن مقاومة الإحباط، وعن محاولات التهميش والتفشيل التي تعرضت لها، وعن كيف قاومت ودخلت الإذاعة المصرية، ثم الإذاعات العربية، وحكيت لهم حكايات عن الصمود والاستمرار.

أسعدني حضور شاعر كبير، جاء رغم مرضه، متكئًا على إرادته، ليشارك في الندوة. وبعد انتهائها قال لي إن الحديث رفع معنويات الحاضرين، وكانت تلك شهادة أعتز بها.

قلت لهم كلمة أؤمن بها: إن الكاتب لا يُمنح نعمة خالصة، بل يُمنح نعمة ونقمة معًا، في مجتمع يغلب عليه الجهل. الحضارة ليست في العمارات الشاهقة ولا السيارات الفاخرة ولا الطرق الممهدة، بل الحضارة هي الإنسان. الاستثمار الحقيقي هو في بناء الإنسان، في وعيه وقدرته على التفكير والبناء لا الهدم. إنسان جاهل يمكن أن يهدم كل ما يُبنى من حجر وإسفلت.

قضيت أيامًا في المنيا جعلتني أشعر أن الوطن لا يزال بخير. رأيت نماذج بشرية صادقة، محبة للأرض، للزراعة، للبناء، رغم كل مظاهر الفساد والإهمال، خاصة في التعليم والصحة.

هذا هو الهدم الحقيقي: أن نهمل الإنسان.

أنا ممتن لأهل المنيا جميعًا، صغيرهم وكبيرهم، لكل من استقبلني واحتفى بي. هذا الاحتفاء أسعدني لأنني لا أملك منصبًا ولا جاهًا، بل مكانة صنعتها بالكتابة على مدى خمسين عامًا؛ خمسون عامًا من العمل في المسرح، والتلفزيون، والإذاعة، والسينما. كتبت مئتي مسرحية، وإحدى وعشرين رواية، وسيناريوهات لعشرات المسلسلات.

رأيت أماكن وشواهد ذكّرتني بمبدعين كبار، وشعرت بعمق العلاقة بين الأرض والذاكرة. التقيت بأناس كرماء، أكلت من خيرات الأرض البسيطة النقية، وعشت لحظات إنسانية صادقة.

اكتشفت أيضًا أن هناك رسائل علمية أخرى تُكتب عن أعمالي، أوشكت على الاكتمال، داخل مصر وخارجها. عندها شعرت أن خمسين عامًا من الكتابة لم تذهب هباءً. لم يكن لي واسطة إلا عملي، ولم أكتب إلا بإخلاص. حين أحببت الرواية أخلصت لها سنوات طويلة، وحين كتبت للمسرح أخلصت له، وكذلك الإذاعة والتلفزيون؛ فكل فن أعطيته حقه.

عملي يُناقَش في رسائل علمية في دول عربية مختلفة، وهذا

وحده مكافأة حقيقية. لم أحتج إلى وساطات، ولا إلى تملق، ولا إلى إنفاق أموال في جلسات زائفة. كنت أعمل لأنني أحب الفن، وأكتب لأنني أحب الكتابة.

أنا ممتن لأهل المنيا، ولتلامذتي، وللأساتذة الشرفاء. ما زال في مصر علماء شرفاء بلا وساطات ولا رشاوى. تفاءلت خيرًا؛ فالوطن لا يزال فيه نبض، وربما يكون هذا النبض أوضح في الأقاليم، خاصة في صعيد مصر، حيث لا يزال الإخلاص للمعرفة والثقافة الجادة حاضرًا.

أشكر كل من حضر، وكل من لم يحضر، وكل من استضافني. لا أملك إلا المعرفة وكتبي، أما النجاح أو الإخفاق فسيحكم عليه التاريخ. هذا ما سيقوله التاريخ.

كانت هذه كلمة شكر للمنيا، لأهلها، ولمثقفيها، ولمن دعاني دون معرفة سابقة، ولمن شجعني على السفر. سنلتقي في حوار قادم، بإذن الله، على أمل ومحبة.

تحياتي

السيد حافظ

الحلقة ٢٧٧

حديث اليوم حول جدوى الثقافة.

في المجتمعات، من السهل جدًا على أي مجتمع أن يلغي البرامج الثقافية من التلفزيون، وأن يلغي المجلات الثقافية، والصفحات الثقافية، وكل ما يمتّ بصلة إلى الكتب والجوائز الثقافية، وأن يلغي البرامج الثقافية في الإذاعات أو يلغي الإذاعات الثقافية نفسها.

كنت أتوقع، بعد غزو الإنترنت ووسائل الإعلام الجديدة والهواتف المحمولة، أن تقوم الحكومات العربية بحشد ثقافي واسع، وأن تُجنّد كل إمكانياتها وقواها الناعمة من أجل النهوض بثقافة الشعوب؛ لأن الشعوب التي بلا ثقافة تتحول إلى شعوب جاهلة، والأمم الجاهلة تُهزم في الحروب، وتُهزم في الحياة، وتُهزم في المجتمع، وتُهزم في كل شيء. فالعلم والثقافة أهم بكثير من الاستثمار المالي، لأن الاستثمار الحقيقي والأفضل هو الاستثمار في بناء الإنسان.

ما ألاحظه منذ فترة هو انتهاء الاهتمام الحقيقي بالثقافة. نحن

الآن نهتم بشقّين فقط:

معارض الكتاب بوصفها ثقافة، والمهرجانات والندوات.

تُعقد مؤتمرات ثقافية على أساس قضية محورية، ويُقال إن الهدف هو الاهتمام بالثقافة. وأؤكد هنا أن الاهتمام بمعارض الكتاب شيء جميل، لكن الشعوب الجائعة لا يهمها شراء كتاب؛ الشعوب الجائعة يهمها أن تشتري زجاجة لبن، وطعامًا، وخبزًا. الشعوب الجائعة تحتاج إلى ما ييسر حياتها: الكهرباء، والماء، والزيت.

الشعوب حين تكون جاهلة تصبح مصيبة كبرى. نحن في محكّ تاريخي. ليست معارض الكتاب هي الحل. في معارض الكتاب، حين يدخل الإنسان ليشتري كتابًا يجد أن الكتب غالية جدًا، فلا يشتري الناس الكتب. الناس تذهب للتنزه، وتأكل وتشرب، بينما المبيعات ضعيفة جدًا.

التجربة الوحيدة المختلفة هي تجربة الشيخ سلطان القاسمي (أطال الله عمره) حين أطلق مشروع "مكتبة بيتك"، بحيث يحصل كل مواطن على قسيمة لشراء كتب وبناء مكتبة في

بيته على حساب الدولة. هذا نموذج دعم جميل. أما غير ذلك، فإن بعض الحكومات تشتري الكتب مجاملةً للناشرين، ثم خففت الحكومات أيديها بسبب الأزمات الاقتصادية الطاحنة، فأغلقت معظم دور النشر. نحن في مشكلة حقيقية؛ معظم دور النشر تغلق.

حدّثني أحد أصحاب المكتبات في وسط القاهرة بأنه لم يبع خلال شهر كامل كتابًا واحدًا. معارض الكتاب ستبدأ أعدادها في التراجع، لأن الحكومات توقفت عن الشراء. كانت تشتري بمبالغ كبيرة لتعويض الناشرين عن السفر والشحن، ثم تكتشف في النهاية عدم وجود مبيعات، وهذه كارثة. حتى دور النشر المحلية في الدول العربية تعاني وتدخل في أزمات.

كنا نعتمد سابقًا على أن مصر تكتب، ولبنان يضبط، والعراق يقرأ. الآن العراق مشغول بمصائبه، يبحث عن نفسه، وعن هويته، وعن وطنه فوق الأرض وتحت الأرض. العراق الآن لا يملك وقتًا للقراءة كما كان في السابق. فمن الذي سيقرأ؟

نصيب الفرد في الوطن العربي من القراءة، وفق تقارير الأمم

المتحدة، لا يتجاوز دقائق معدودة في السنة. وفي مصر أقل من ذلك. فهل معارض الكتاب هي الحل الأخير؟ ما المتبقي أمامنا؟ المؤتمرات والمهرجانات؟

معظم المؤتمرات والمهرجانات لا تُقام لوجه الثقافة الخالص، بل بحثًا عن دفء إنساني إيجابي بين أصدقاء يحملون الهموم نفسها. وهذا أمر جميل. لكن في المقابل، هناك من يذهب للتنزه فقط، لقضاء وقت، دون إضافة حقيقية للذات أو للمجتمع. بدليل أن الحضور في الجلسات الفكرية قليل جدًا.

إذن ما الحل؟

المهرجانات في أزمة، ومعارض الكتب في أزمة. الحل البارز الآن هو الهاتف المحمول. عبر الهاتف يبحث الناس عن الخبر، والصورة، وكل شيء. أصبح نجم "السيلفي" ونجم "الترند" هو المسيطر، أشخاص لا يعرفهم المجتمع ولا يضيفون له شيئًا، فقط يضحكون ويمزحون. هذه التفاهات تُسطّح الوعي، وتقلّص الواقع الثقافي، وتقود الإنسان في النهاية إلى الهامش وخارج التاريخ.

الجزء الذي أريد أن أتوقف عنده أنني اكتشفت أنني قضيت حياتي كلها في الكتابة. أكثر من خمسين سنة. كتبت نحو مئتي مسرحية، منها ستون مسرحية قصيرة جدًا في صفحة واحدة، يمكن أن تُقدَّم على المسرح في ربع ساعة أو نصف ساعة. جمعتها في مجموعات، منها "صراع الألوان" و"مزامير السيد حافظ"، ونشرتها الهيئة العربية للمسرح بمقدمة وتحليل للدكتور مصطفى رمضاني.

الباقي تحوّل إلى مسرحيات كوميدية وتجريبية طويلة، وأعمال درامية، ومسرحيات للأطفال، ومشروع للمسرح النسوي، ومشروع للمسرح والتراث. هذا مجهود ضخم.

كتبت أكثر من خمسين ساعة دراما تلفزيونية للخليج ومصر، وقدمت عدة مسلسلات، منها مسلسل طويل من ثلاث وثلاثين حلقة. هذا المشوار كله جعلني أشعر أحيانًا أن المجتمع لا يقدّر هذا الجهد حين يكون مجتمعًا أميًّا، ويصنع نجوميته من التفاهة، ويستبدل الأفكار بالفراغ.

نحن خلعنا رؤوسنا، ووضعنا بدلًا منها أحذية. كما قال صلاح

عبد الصبور: (أصبحت رؤوس الحيوانات على رؤوس البشر). نحن في أزمة حقيقية.

في داخلي مشاريع روائية كبيرة، ليست مجرد روايات منفردة، بل مشروعات فكرية كاملة. اشتغلت في الإذاعة والتلفزيون وكتبت مئات المقالات، بل أحيانًا عدة مقالات في اليوم الواحد، لأن الكتابة كانت ضرورة.

هذا الكم الهائل من الجهد لم يضع هباءً، لكنه لم يُقدَّر. والتقدير ليس ميدالية تُعلّق، ولا شهادة ورقية؛ التقدير الحقيقي هو الوعي بقيمة الإنسان.

في الحقيقة، أشكر الذين كرّموني ومنحوني ميداليات من حديد، وبعضهم منحني شهادة تقدير، وأنا بصراحة كنت أُلقي بهذه الأشياء جانبًا؛ فليست الأوراق ولا الشهادات هي ما يشهد بقيمة الكاتب. التكريم الحقيقي للكاتب يجب أن يكون في صورة حياة كريمة: أن يحصل على سكن جيد، وأن يمتلك سيارة معقولة (لا سيارة فاخرة)، وأن يكون له معاش محترم وراتب شهري كريم. هذا ليس ترفًا ولا دعاية، بل هو حق

الكاتب، وحق الفنان، وحق المفكر.

نحن نعيش مرحلة خطيرة جدًا؛ لا الفنان له حق، ولا الكاتب له حق، بل حتى المبدع القديم إذا مرض واحتاج إلى المال لا يجد شيئًا، لأن كل شيء صار بالأرقام الفلكية: العلاج بالأرقام الفلكية، والمستشفيات بالأرقام الفلكية. الإنسان يدّخر المال طوال عمره، حتى لو عمل في الخليج وعاد، ثم يصرف كل ما جمعه على المرض. أنا، والحمد لله، أنفقت مالي كله على الثقافة؛ أنفقت كل ما أملك، وأسست مركزًا ثقافيًا، واستضفت وفودًا من العراق، ومن سوريا، ومن المغرب، ومن تونس، وعرّفتهم بالإسكندرية ومصر والحركة الأدبية فيها.

كنت مقيمًا في الإسكندرية، والآن أشعر أنني في حاجة إلى الله سبحانه وتعالى أن يمنحني الصحة والقوة، الصحة والقوة فقط، حتى أستطيع أن أُكمل المشاريع التي ما زالت في ذهني، ومنها مشروع المسرح العربي. والحمد لله، حين أتابع ما يُكتب في الإعلام عن المهرجان التجريبي، أتذكر جهدي، والشتائم التي تعرضت لها، والهجوم الذي وُجّه إليّ، منذ أن

بدأت الحديث عن المسرح التجريبي في أواخر الستينيات وبدايات السبعينيات.

وعندما اشتغلت بالرواية، قيل إنني أدخلت الرواية إلى المسرح، وكأن هذا لم يحدث من قبل، مع أن توفيق الحكيم (وهو العبقري الكبير) فعل ذلك، وبعده يوسف إدريس. لكنني لم أقدّم تجربة واحدة عابرة، بل اشتغلت على مشروع متكامل، سبعة أعمال تشكّل مشروعًا واضح المعالم. المشروع ليس مسرحية واحدة تُكتب ثم تُنسى، بل هو مسار يُؤسَّس ويُطوَّر ويُتابَع، مرحلة بعد مرحلة، حتى نرى إلى أين يصل.

التجريب ليس حكرًا على المسرح فقط، فلماذا لا يكون في الرواية أيضًا؟ لهذا دخلت مجال الرواية وجرّبت فيها. بالطبع، هناك من غضب، وهناك من حقد، وهناك من تغيّظ، لكنني لا أملك وقتًا للغيرة ولا للحقد ولا للضيق. كل ما يهمني هو أن أقدّم مشروعًا ثابتًا على الأرض. حتى مسرح الطفل، حين اشتغلت على شخصيات مثل أبي زيد الهلالي، وعنترة بن شداد، والسير الشعبية والملاحم الشعبية، كنت سعيدًا جدًا

لأنني أضفت إلى مسرح الطفل بابًا مهمًا في بناء الإنسان.

لقد تحمّلت الكثير، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحني من العمر بقدر ما يمنحني من الصحة، حتى لا أحتاج إلى أحد، ولا أحتاج حتى إلى نفسي. أسأله أن يمنحني القدرة على إكمال المشوار والكتابة. وأنا، على قدر استطاعتي، أتابع ما يكتبه الشباب والأصدقاء والزملاء، بحسب صحتي وبحسب ظروفي.

وأنا مدين بالشكر لكل باحث وباحثة كتبوا عني، سواء في أقاليم مصر أو في القاهرة، في جامعة عين شمس، وجامعة القاهرة، وجامعة الإسكندرية، وجامعة المنوفية، وجامعة المنيا، وجامعة الغربية، وجامعة شبين الكوم، وكل الجامعات الجزائرية التي تناولت أعمالي، وكل الجامعات المغربية التي تناولتها أيضًا. أنا فخور بكل هؤلاء الأساتذة الذين كتبوا بحوثًا للترقية العلمية، وأشعر بالامتنان لكل من أنجز بحثًا عن تجربتي.

أمتلك، والحمد لله، ثلاثمائة بحث محكّم كُتبت عن أعمالي، من المحيط إلى الخليج، ما بين دبلومات، ورسائل ماجستير،

وأطروحات دكتوراه، وأبحاث علمية منشورة. كان المشوار صعبًا وطويلًا، لكنني سأواصل السعي إلى الاستمرار.

وأودّ أن أقول إن الكاتب لا ينبغي أن يستعجل الكتابة من أجل الانتشار السريع. عليه أن يعمل، وألا ينتظر المقابل. المقولة الشهيرة لزكريا تامر تؤكد هذا المعنى حين قال إن على المؤلف أن يناضل حتى يضع كتابه تحت وسادة الناقد في غرفة نومه. هذه مقولة عظيمة تؤكد الاستمرار، لا اللهاث خلف الضوء.

أحيانًا لا تُقدَّم الأعمال المسرحية في مصر أو خارجها، وهذا لا يعني أن الكاتب فاشل، بل ربما عليه أن يغيّر زاوية الاشتغال: يأخذ الفكرة نفسها ويحوّلها إلى قصة قصيرة أو إلى رواية، ويحترم نفسه، وألا يقع في العناد. أنا كتبت مئتي عمل، نُفّذ منها مئة، ولم يُنفّذ مئة أخرى، والعيب ليس في المخرجين، بل أحيانًا في النص نفسه؛ لأن النص الأدبي الجيد يفرض نفسه، وكذلك الرواية الجيدة.

علينا أن نكتب ونعمل ونترك للتاريخ الحكم، لا أن نركض خلف

النقاط واللايكات. ما يحدث على الإنترنت أحيانًا مهزلة: نصوص ضعيفة تحصد آلاف المجاملات، بينما الإبداع الحقيقي يُهمَل. نحن بحاجة إلى تصفية حقيقية، وإلى وعي نقدي جاد. الخلود في الإبداع لا يعني أن تعيش طويلًا، بل أن تموت وتبقى أعمالك. أن يُعاد تقديم نص كتبته منذ عقود، وأن تجده حيًا في أيدي جيل جديد، فهذا هو المعنى الحقيقي للخلود. النص الجيد يمشي وحده.

علينا أن نسعى إلى تقديم أعمالنا دون ابتذال، وأن نعمل بصمت، وألا نلعن الظلام دائمًا، بل نشعل شمعة. علينا أن نصنع بأيدينا الصحبة الجميلة والوقت الجميل، وأن نواصل الطريق بالإيمان والعمل.

(وأنا أطلب الدعاء لي بالشفاء، حتى أستطيع أن أواصل هذا المشوار بمحبة).

الحلقة ٢٧٨
جمهورية الكتابة

مساء الخير كنت قد وعدت بأن أتحدث عن الكتّاب الذين ظُلموا، أولئك الذين جرى التعتيم على تجاربهم، سواء كانوا أحياء أم أمواتًا، وأطال الله في عمر الأحياء ومنحهم الصحة والعافية. أردت أن أتحدث عن واحد أو اثنين في الحلقة، أو ثلاثة على الأكثر، لأن المظلومين في الأدب كثيرون، ولأن الذين لم يأخذوا حقهم من النقد ومن الإنصاف، في تجاربهم وأعمالهم، عددهم كبير للغاية.

لكن القضايا الملحّة كثيرًا ما تفرض نفسها فجأة، وتصبح ضرورة لا يمكن تجاوزها. من هنا جاءت فكرة الحديث عن ما أسميه: جمهورية الكُتّاب.

قد يُقال إن الاسم كبير أو غريب، لكنه ليس كذلك. فكما أن للحكومة جمهورية أو مملكة، فإن الكُتّاب يصنعون لأنفسهم جمهورية أو مملكة بينهم وبين بعضهم بعضًا. لهذه الجمهورية رأس، ورئيس، وله أتباع، ولها وزراء (شِلّة

متماسكة على هيئة عصبة)، ولها مريدون أو مواطنون عاديون. قد يكون الكاتب كاتبًا بدرجة مواطن، وقد يكون كاتبًا بدرجة رئيس جمهورية.

نجيب محفوظ، على سبيل المثال، كان كاتبًا بدرجة رئيس جمهورية الكتابة. من الذي منحه هذا الموقع؟ المثقفون أنفسهم. وقبله بقليل كان أحمد شوقي، الذي نال لقب أمير الشعراء (رئيس مملكة الكتابة آنذاك)، لأنه شاعر كبير وموهوب، ومتربٍّ في قصر الملك، وله حيثية اجتماعية، وقريب من السلطة، وموهبته لا تُنكر. لكنه، في الوقت نفسه، كتب قصائد هجاء في أحمد عرابي، وكان خادمًا مطيعًا للسلطة.

وهنا تبرز إشكالية شائعة: مقولة (اذكروا محاسن موتاكم). لكن لماذا لا نذكر المساوئ أيضًا؟ ولماذا لا نذكر المحاسن والمساوئ معًا؟ لماذا نُخفي العيوب؟ وكأن التاريخ يُكتب بنصف عين.

يضرب التاريخ لنا مثالًا ببرجوان، الوزير في عهد الحاكم بأمر

الله، الذي أذاق المصريين العذاب، وجمع من الأموال ما لا يُحصى من دمائهم. وعندما استُدعي إلى القصر، وداهم الجنود بيته، وُجد لديه ما يعادل أربعة آلاف ألف دينار ذهبًا. فقيل له: (من أين لك هذا؟)، فقُتل بوصفه خائنًا للشعب. مات برجوان، نعم، لكن زوجته وأولاده عاشوا، وعاشوا بين الناس، وما زال اسمه حاضرًا في الشوارع والمتاجر. أبناء الخونة باقون، لكننا لا نسمي الأشياء بأسمائها.

لماذا نخفي عورة التاريخ وعورة البشر؟

في جمهورية الكُتّاب، نشأت وأنا أرى نجيب محفوظ جالسًا كل يوم ثلاثاء في مقهى (ريش). كنت أذهب لأحضُر، وأدخر ثمن الشاي. نجيب محفوظ لم يكن يدفع لأحد، ولم يساعد أحدًا، ولم يقف إلى جوار أحد. وهذه إحدى صفات النجومية: أن تظل في القمة، وأن يظل الآخرون في الأسفل، مواطنين عاديين في جمهورية يرأسها اسم واحد.

رأيت هذا بعيني، وسمعته من أخي محمد حافظ رجب. حين ذهب ليودّع نجيب محفوظ قبل سفره، لم يسأله: إلى أين

تذهب؟ ولم يقل له: أنت موهوب، تعالَ اعمل معي، أو سأفتح لك بابًا في الصحافة، أو سأقرّبك من موقع مؤثر. لم يفعل شيئًا من ذلك.

بعد وفاة نجيب محفوظ، ظهر جمال الغيطاني، ويوسف القعيد، وإبراهيم أصلان. تسلّم بعضهم مواقع مؤثرة، لكنهم لم يفتحوا الأبواب للكتّاب المهمّشين. ظل محمد حافظ رجب يعمل بمرتب ضئيل في المتحف، كاتبًا عظيمًا بلا عائد، بلا حماية، بلا دعم. وكذلك سامي الجمعان، الشاعر الكبير، والدكتور الموهوب، ظل خارج اللعبة.

إبراهيم أصلان، الذي أصبح مسؤولًا عن جريدة (الحياة) في لندن، وكان يدفع مئتي دولار للمقال، لم يدعُ محمد حافظ رجب، زميله الذي غيّر شكل القصة القصيرة، ليكتب مقالًا واحدًا. لكنه كان يأتي بشباب أقل موهبة، لأن العلاقة تقوم على تبادل المنافع: (احملني أحملك).

هكذا كانت تُدار الحركة الثقافية بعد نجيب محفوظ.

حين طلبت أن أكتب، وأن أحصل على مقابل، بعد أن أنفقت

عمري ومالي على الثقافة، كُتب لي مقال نُشر بعد شهر، ولم أقبض ثمنه. شعرت بالإهانة. رفضت أن أقبض. لأن المسألة لم تكن مالًا فقط، بل كرامة. (الكرامة أو الكتابة.(

رأيت كُتّابًا كبارًا يُهانُون ليحصلوا على المال، في مصر وخارجها. يُزجرون ويضحكون، ويُختزلون إلى خدّام. وهؤلاء ليسوا كُتّابًا حقيقيين.

الكاتب ضمير الأمة، وتاريخها. الصحف تزول، والأسماء تتبدد، لكن الكتاب يبقى شاهدًا. ما كُتب سيظل، لا الكاتب نفسه، بل الأثر.

فاروق حسني كان صديقًا قديمًا، فنانًا موهوبًا، ثم صار وزيرًا. انتظرت أربع ساعات في مكتبه، يدخل الناس ويخرجون، وأنا صديق العمر. ظننت أنه سيخجل، لكنه لم يفعل. في خمس وعشرين سنة، قابلني دقيقة واحدة فقط.

هذا هو رئيس جمهورية الفنانين.

ثم ذهبت إلى إبراهيم عبد المجيد، صديقي منذ الجامعة، الكاتب الكبير، الذي كتب عني دراسة طويلة من أجمل ما كُتب. حين

تولّى سلسلة (كتابات جديدة)، طلبت منه نشر كتاب لي. قال لي: انتهينا حتى ديسمبر من العام القادم، وفي يناير يُعرض على اللجنة.

لم أتخيل، ولا خطر ببالي يومًا، أن تُدار الصداقة والإبداع بهذه البرودة.

وهكذا تكتمل صورة جمهورية الكُتّاب: رؤساء، ووزراء، ومواطنون من درجات متدنية، وموهبة تُقصى، وكرامة تُهدر، وتاريخ يُزوّر بالصمت

هكذا وجدت نفسي أقول له لفظًا غير لائق، لن أذكره. فقال لي: (اهدأ، اهدأ، أحضروا ليمونًا، هذا صاحبي سيد حافظ، أحضروا ليمونًا).

لكن حين تولّيت منصب مدير تحرير مجلة «الشاشة»، أرسل لي عبد الغني داود رسالة قال فيها إنه يريد الحديث معي ضرورة على الهاتف المحمول. تحدثت إليه، فقال لي إن إبراهيم عبد المجيد يريد أن يكتب في مجلة «الشاشة»، وهو في حرج، ويقول إن المجلة تدفع جيدًا. قلت له: حاضر،

أعطني هاتفه. أخذت الهاتف واتصلت بإبراهيم عبد المجيد، قلت له: كيف حالك يا أبا خليل؟ كيف حالك يا إبراهيم؟ فقال: بخير. قلت له: أرسل المقالات. فأرسل، ودفعت له مبالغ جيدة بالدولار. هذه هي أخلاقي؛ لأنني أحترمه ككاتب، وأحب كتاباته.

قلت لك من قبل: خذ مثلًا محمود قاسم، (الجنرال محمود قاسم)، مترجم عظيم وصديقي من الإسكندرية، إنسان رائع، ومتولٍّ سلسلة كتب الأطفال في دار الهلال. أعطيته مسرحية «سندس»، فأبقاها عنده عامًا كاملًا، ثم لم يُنزلها وحدها، بل أنزلها مع كتاب آخر، لمؤلف آخر، وبخط صغير جدًا لا يُقرأ. محمود قاسم ناقد عظيم وكاتب موسوعي محترم، (جنرال في الثقافة). أما أنا فلست جنرالًا، أنا كاتب حر، ولست تابعًا.

لماذا يتحول الكُتّاب إلى مسوخ؟ هذا هو السؤال الحقيقي. خذ مثلًا الدكتورة سهير المصادفة، كاتبة وشاعرة رائعة، شاعرة عبقرية، روائية جيدة جدًا. حين تعرفت عليها بعد رحيل إبراهيم عبد المجيد عن موقعه، دخلتُ مكتب صلاح المعداوي

(رحمه الله)، فقالت لي: هات كتابك. وأخذت مني الكتاب، وقالت إن النشر سيتم خلال شهر. وفعلاً نزل الكتاب بعد شهر، ولم تقل لي: لجنة ولوائح وقوانين.

هذه الحجة (اللوائح والقوانين) هي السكين التي يُقتل بها المبدع. قالها لي إبراهيم عبد المجيد، وقالها غيره. لكن حين تولّت سهير المصادفة رئاسة قطاع النشر في هيئة الكتاب، تفاءلت خيرًا. كنت أحبها كإنسانة راقية ومحترمة ومثقفة. وكنت، حين أغادر، أُهديها وردتين أو ثلاثًا. لكنها فجأة تحولت إلى كائن آخر. أبقت كتابًا لي أربع سنوات بحجة عدم توافر الورق، في حين أن الهيئة كانت تصدر كتبًا يوميًا. كتابي وحده لم يتوافر له الورق.

لم أحزن حين أُقيلت.

تعالَ إلى الدكتور هيثم الحاج. إنسان واعٍ، مثقف متقد، ناقد حقيقي. كان صديقًا لي، وكان يذهب ويجيء معي ومع الدكتور محمود الضبع. حين كتبت أول رواية لي، دعوتهما، وجلسنا في مقهى بشارع القصر العيني. قلت لهما إنني كتبت رواية

أعدتُ كتابتها خمس مرات خلال ثلاث سنوات. قرأها، وقال إنها فتح عظيم في الرواية. أخذت الرواية وطبعتها بنفسي. وحين تولّى رئاسة الهيئة، طبع لي كتابًا واحدًا فقط (بالعافية)، ثم توقّف أربع سنوات بحجة الورق. كيف يخون هذا الكيان اللوائح والقوانين؟ أنا لا أفهم.

تعالَ إلى محمد السيد عيد، السيناريست المعروف. كنا معًا في المرحلة الثانوية. كان يزورني مع سعيد نافع، وكنا نجلس على المقاهي ونكتب. تسلّم محمد السيد عيد منصب وكيل وزارة في الهيئة العامة لقصور الثقافة. ذهبت إلى فاروق حسني ومعي ثلاث مسرحيات وطلبت شراءها، لأنني كنت بحاجة إلى المال لعلاج شخص مريض في أسرتي. فصدر قرار بمبلغ عشرة آلاف جنيه.

كتبت إلى فاروق حسني أذكره بصحبتنا القديمة، وبأننا كنا نتقاسم السندويتش في قصر الأنفوشي. طلبت منه إما أن يساعدني أو يعالج زوجتي على نفقته. لم يرد. لكنه في المقابل وظّف زوج أخته مديرًا عامًا لمراكز الإبداع بعقد خاص

وبمرتب كبير، رغم أن الرجل محترم لكنه لا علاقة له بالثقافة.

صدر قرار بأن تُطبع لي ثلاث مسرحيات في كتاب واحد. لماذا تُجمع ثلاث مسرحيات لي في كتاب واحد، بينما يطبع محمد السيد عيد لنفسه سيناريوهات بمئات الصفحات لا يقرؤها أحد؟ هذه خيانة المثقف للقيمة.

أما جمال الغيطاني، فقد قابلته بعد أن جئت من الإسكندرية مفلسًا. عرض عليّ الكتابة مقابل مئة جنيه للمقال. وعندما اعترضت، فتح كشف المكافآت، فظهرت الفروق الفادحة بين أسماء معينة وأسماء أخرى. وعندما قلت إنني سأكتب هذا، أغلق الحاسوب وقال: أتريد أن تفضحني؟

أنا لا أشوّه تاريخ أحد. أنا أقول ما حدث معي. هذا تاريخ، ليعرف الجيل القادم أن أسماء كبيرة كانت كبيرة وقاتلة.

لماذا يحمل المثقف خنجرًا لصديقه؟ لماذا يتذرع باللوائح وهي وهم؟ اللوائح مثل (أمنا الغولة)، مثل (العنقاء)، شيء لا وجود له.

أذكر هنا محمد مندور، الناقد العظيم، الذي حين أُوقِف نعمان

عاشور عن العمل، ذهب إليه وأعطاه ثلاثمئة جنيه (كانت تشتري بيتًا آنذاك)، وقال له: خذها لتعيش. هكذا يكون المثقف حين يكون عظيمًا.

قلت مرة للدكتور محمد عناني إن سبعة مناصب كثيرة. بعد ذلك صار يحذف اسمي من المجلة، ويرفض مسرحياتي. وعندما واجهت زوجته الدكتورة نهاد صليحة، قالت لي إن أسأله، لكنه لم يواجهني.

أما شاكر عبد الحميد، العالم الجليل، فقد قال لي صراحة إنه ذاهب إلى الكويت ليتفسح، لا لتنفيذ مشاريع. وهكذا يتحول الكيان الجميل إلى موظف.

سعد الدين وهبة كان رئيس جمهورية خفيًا للمثقفين، يحل المشكلات دون لوائح. أما الفساد، فهو فينا نحن، لا في القوانين.

سيد حجاب قال لي ذات يوم في المطار: (أريد أن أصنع لك تمثالًا لأنك تتحمل القذارة والمكائد). وكان صادقًا.

سعد أردش، رغم أنه آذاني في موقف، كتب عني سبع عشرة

صفحة مادحًا. وأنا كتبت عنه كثيرًا، وكتبت عن سناء شافع، وعن أحمد عبد الحليم، الذي أخرج لي أربع مسرحيات في الكويت.

فالحكاية أن المثقف يخون نفسه؛ المثقف يخون نفسه، ولا يقبل النقد كأنه إله. لا يقبل المراجعة ولا المساءلة. خذ مثلًا أحمد مجاهد؛ أحمد مجاهد مثقف جيد ومحترم، لكن كيف أفهم ما فعله؟ كيف، وهو رئيس الهيئة في أيام الثورة، يمنح الأبنودي مليون جنيه، ويمنح شابًا صغيرًا عشرين ألفًا فقط؟ أين العدالة الاجتماعية؟ كيف نتحدث عن العدالة الاجتماعية، وهو في الهيئة العامة للنشر والكتاب لا يطبقها؟

أنا أكتب مذكراتي، وأقولها للأجيال القادمة. كل ما تسمعونه له شواهد. اقرأوا مذكرات علي الراعي وهو في هيئة المسرح، كتابه «همومي وهموم المسرح» الصادر عن دار الهلال. اقرأوا المذكرات. اقرأوا مذكرات جلال الشرقاوي. اقرأوا تاريخ الثقافة. اقرأوا مذكرات ثروت عكاشة، واقرأوا مذكرات المثقفين لتعرفوا ماذا كانوا يفعلون ببعضهم البعض.

المطبخ رائحته سيئة. رائحته سيئة جدًا. الخيانات كانت بالمجان. لسنا ملائكة، ولم يكونوا ملائكة.

أحمد الله أنني أطلت الحديث قليلًا، ولكنني آتي كل أسبوع، ولا يزال لديّ كلام كثير سأقوله. أريد أن أخصص يومًا أسبوعيًا لتقديم مواهب جديدة، أو مواهب قديمة ظُلمت؛ منهم أحياء ومنهم أموات، ومنهم من ينتظر شهادة. أنا أقدم شهادة لله، ولست طامعًا في أحد، ولا طامعًا في الدنيا؛ فالدنيا زوال.

كتبت ما كتبت، وأكرر: كتبت للمسرح مئتي مسرحية، منها ستون مسرحية قصيرة جدًا في صفحة واحدة (مسرحية في صفحة)، ستون من ضمن المئتين. أخرج لي ستون مخرجًا من الثقافة الجماهيرية ومن الشباب. وأخرج لي أحمد عبد الحليم أربع مسرحيات. وأخرج لي محمود الألفي مسرحيتين في الكويت. وأخرج لي محمد سالم مسرحية واحدة. وأخرج لي خمسة أو ستة مخرجين كويتيين. وأخرج لي في العراق خمسة مخرجين.

وأخرج لي في تونس وفي الجزائر مخرج عظيم هو الطيب

السهلي؛ الطيب السهلي أخرج لي مسرحية مرتين في تونس وفي الجزائر، ونال عنهما جوائز. وأخرج لي مخرجون كويتيون في الكويت، ومخرجون في الجزائر والمغرب. وقُدِّم عني أكثر من ثلاثمئة بحث أكاديمي محكم.

وكتبت للإذاعة ثلاثة مسلسلات لإذاعة قطر، وثلاثة مسلسلات لإذاعة الكويت، ومسلسلين لإذاعة أبو ظبي، وواحدًا لإذاعة دبي. وكتبت للتلفزيون نحو عشرين مسلسلًا؛ عشرة في مصر، وعشرة في الكويت وأبو ظبي. نجح ما نجح، وفشل ما فشل.

وكتبت ثلاثة وعشرين عملًا روائيًا أعتقد أنها أعمال مهمة، أخلصت لها زمنًا طويلًا في الكتابة. خمس عشرة سنة كنت مخلصًا للكتابة بشكل أو بآخر.

وأذكر الذين مدّوا أيديهم لي وساعدوني في الحياة الثقافية في مصر وخارجها. أذكر سعد الدين وهبة. وأذكر في الكويت الدكتور خليفة الوقيان. وأذكر في الإمارات سيف المري. وأذكر في العراق الدكتور ويليام يلت، الذي قدم لي أول

مسرحية، والدكتور سعد يونس. وأذكر في ليبيا الدكتور محمد علي الشويهدي، ومحمد إبراهيم الفقيه. وأذكر سهيل إدريس في مجلة «الآداب» في بيروت، الذي نشر لي أول قصة وأنا في الحادية والعشرين من عمري.

قدمت خمسةً وخمسين قصة قصيرة في كتاب، كتبتها على امتداد خمسين عامًا. أديت دوري وأؤديه، والباقي للأيام القادمة أو لما سيتبقى من العمر. ما زلت أخطط في ذهني لمشاريع كثيرة جدًا.

وأنا محظوظ لأنني وُلدت في زمن سهيل إدريس الذي نشر لي في «الآداب» وأنا في الحادية والعشرين، وفي زمن صلاح عبد الصبور الذي نشر لي وأنا في السابعة والعشرين، وتبنى كتاباتي في مجلة «الكاتب»، حيث كان ينشر لي مع نجيب سرور ونعمان عاشور، وكنت أصغر سنًا من هؤلاء الأساتذة الكبار.

وشرفت بأنني كتبت آلاف المقالات في الكويت وفي الدول العربية، وشرفت بأنني تعرفت إلى قامات كبيرة في الوطن

العربي، بدءًا من محمود درويش، وصولًا إلى نواف يونس. وأذكر أيضًا الذين ساعدوني في الصحافة، مثل السيد شحم، الصحفي الكبير في جريدة «الجمهورية»، الذي علمني الصحافة وأنا في الثالثة والعشرين من عمري، وكان يجعلني أكتب كل يوم موضوعًا لإرساله إلى أبو ظبي.

خدمت كثيرًا، وكتبت كثيرًا، وما زالت لديّ مشاريع كثيرة أريد إنجازها. وأريد أن أخصص يومًا للحديث عن مواهب مظلومة، ماتت أو عاشت، مواهب خانها المجتمع وخانتها ذاكرة المجتمع.

وأذكر بالشكر محمود السعدني، وعبد اللطيف الأشمر، وشاكر الجوهري، وناجح خليل. أشكر كل من أوقد لي شمعة في طريقي في الصحافة والأدب.

وأؤكد أخيرًا: أنا لا أسب أحدًا، ولا أشوّه تاريخ أحد. أنا أحكي ما حدث معي. لا أحكم، ولا أدين، بل أقول ما فُعل بي كمواطن، وكإنسان، وكإنسان بسيط.ت.

الحلقة ٢٧٩
اغتيال المواهب

وعدتكم يوم الخميس أنني سأتحدث صباح يوم الأحد الثامن والعشرين من أغسطس سنة ٢٠٢٢، من القاهرة العامرة، من منطقة الهرم. وقلت لكم إنني سأتحدث كل يوم أحد عن اغتيال المواهب، أو اغتيال الأفكار، أو عن المظلومين الذين ظُلموا.

وأحاول أن أُسمي هذا اللقاء (رد اعتبار). سيكون هذا اللقاء أسبوعيًا، صباح كل يوم أحد، تحت عنوان: رد الاعتبار، أو رد المظالم، أو رد الاعتبار للمواهب؛ لأن في بلدنا عددًا كبيرًا جدًا من الناس الذين تعرضوا للظلم، وعددًا كبيرًا جدًا من المواهب التي ظُلمت.

وسأعود مباشرة إلى عنوان هذه الحلقة التي سأقدمها كل يوم أحد، عن اغتيال المواهب، أو رد الاعتبار، أو رد المظالم، أي رد الاعتبار للناس المظلومين.

سأتحدث، وهذه حقيقة، فأنا خسرت كثيرًا من الناس لأنني

أقول الحقيقة، وخسرت الكثير، لكنني كسبت نفسي، وكسبت الشفاء. رد الاعتبار.

سأتحدث عن تجربة.

حدث في مصر بعد النكسة، بعد نكسة سبعة وستين أو بعد هزيمة سبعة وستين، ما يُسمى بمحاولة البحث عن هوية، ومحاولة البحث عن الجذور، ومحاولة البحث عن سبب الهزيمة: لماذا انهزمنا؟ وما الذي حدث؟ ومن خدع من؟ هل خدعنا عبد الناصر، أم خدعنا الأمريكيون، أم العرب، أم الجيش؟ أم أن الجميع خدع الجميع؟ أم أن الجميع خدع جمال عبد الناصر وخدعونا معه؟ أسئلة كثيرة جدًا كانت مطروحة.

فظهرت جماعات أدبية ومجموعات تبحث عن شكل فني جديد، وعن شكل أدبي جديد. وهذا مشروع.

ظهر في الإسكندرية ثلاثة شعراء: أحمد الشيخ، ومحمد المصري، وسعيد نافع. أُعيد مرة أخرى: أحمد الشيخ (الذي أصبح فيما بعد دكتورًا في الأدب الإنجليزي)، ومحمد المصري، وسعيد نافع. هؤلاء الثلاثة شكّلوا معًا مجموعة

تبحث عن مدرسة جديدة في الشعر وفي أسلوب الكتابة.

وكان الثلاثة مميزين، وكانوا يجتمعون معًا، ويذهبون إلى نادي الشعر، وأي ندوة يدخلونها كانت تنقلب؛ لأن الشاعر العمودي كان هو الغالب في ذلك الوقت.

كان أحمد الشيخ، ومحمد المصري، وسعيد نافع، إذا حضروا أي ندوة في أجواء ثقافة الحرية، ألقوا بأفكارهم الجديدة على الساحة، فتتعكر الأجواء، وتضطرب الساحة الثقافية. ليس تعكيرًا بمعناه السلبي، وإنما بإلقاء أسئلة جديدة.

فإذا دخل هؤلاء الثلاثة أي ندوة، ألقوا بأسئلة غريبة، أسئلة تؤدي إلى إثارة الندوة، ويحدث ما كان يُسمى بتعكير صفو الندوة، لأن الأسئلة لم تكن لها إجابات، وحتى اليوم ما زلنا لا نعرف ماذا حدث في سبعة وستين.

تشكّلت لجنة بعد سبعة وستين، ومنذ ذلك الوقت حتى الآن لم يخبرنا أحد إلى ماذا انتهت هذه اللجنة. لم يُقال لنا ماذا حدث، ولم يُعلن شيء. حتى الدكتور لويس عوض، عندما كتب مقالًا قال فيه إن هزيمتنا كانت هزيمة فكرية، وإنه كان يجب علينا

أن نترك جريدة الأهرام، هو ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وكل الكُتاب، وأن نترك المجال للشباب الجدد ليتولوا قيادة البلد. هذا كلام لويس عوض، لكنه لم يُنفذ؛ فهو لم يترك الأهرام، ولم يُدخل مجموعة من الشباب الجدد ليعبروا عن طريق جديد. كل شيء ظل كما هو.

الذي تسبب في النكسة ظل كما هو، وزاد عليه المهزومون، فأصبحنا جميعًا مهزومين.

كان لأحمد الشيخ، ومحمد المصري، وسعيد نافع اتجاه جديد في الكتابة. أذكر أنهم كتبوا هذا الاتجاه في سنة ثمانية وستين.

كتب سعيد نافع قصيدة رباعية صغيرة يقول فيها:

«سليني من ليلِ عالم
دسّيني في دفء العينين
فأنا، يا نبيّة العينين، قد تعبت
أن أبحر في شحنة صمت
أن أتمرد في صدق اللحظة
أو أحيا العالم منشبًا ثم أموت

ماذا أطلب أكثر؟»

انتهت القصيدة.

كان هذا التيار في كتابة الشعر تيارًا جديدًا. فماذا فعل أهل الإسكندرية بهؤلاء؟ كانوا إذا دخل الثلاثة أي ندوة، جلسوا في تململ، لكن بكبرياء شديد، يدافعون عن فنهم، وعن مشروعهم، وعن أسئلتهم. فالكاتب الذي يبحث عن شكل جديد يطرح سؤالًا، والشاعر الذي يكتب شعرًا جديدًا يطرح سؤالًا، ويجيب عن سؤال، فالمسألة كانت سؤالًا مفتوحًا.

وظلت المسألة كذلك، لكنهم أصبحوا محاصَرين. وما استطعت أن أفعله أن سعيد نافع كان يسكن بجواري، وكان يأتي، وكان يأتي معه محمد السيد عيد، لأنه كان يسكن بجوارنا أيضًا. كنا شبابًا، نجتمع في البيت، نجلس، نسمع شعرًا، ونتحدث.

علاقتي بسعيد نافع جعلتني آخذ منه قصائد، وعندما كنت أذهب إلى القاهرة مع أخي محمد حافظ رجب، قدّمت قصائد سعيد نافع إلى مجلة «جاليري ٦٨». قدّمتها إلى إبراهيم منصور وجميل عطية. فنُشرت قصائده في «جاليري ٦٨».

ولو رجعتم إلى أعداد المجلة، ستجدون نشر قصيدتين لسعيد نافع.

أما الباقي، فكان يُنشر في الدول العربية أحيانًا. لكن المشروع لم يكتمل؛ لأن المناخ لم يسمح، والجو العام لم يسمح، لا الجو الفكري ولا الجو السياسي. حتى الأدباء أنفسهم لم يكونوا راغبين في أن يطرح أحد سؤالًا جديدًا.

من يطرح سؤالًا جديدًا يصبح في مأزق؛ لأنهم يظنون أنهم يعلمون كل شيء، وهم في الحقيقة لا يعلمون شيئًا ولا يعرفون شيئًا، ويكتبون أشياء سخيفة وبالية. ومع ذلك، كنت أجلس وأستمع.

لأنني مؤمن بأن الأدب فيه أديب عبقري، وفيه عدد قليل من العباقرة، ثلاثة أو أربعة أو خمسة. وفيه أدباء ممتازون، وهم حوالي عشرين أو ثلاثين. وفيه جيد جدًا، وهم حوالي مائة. وفيه جيد، وهم حوالي ألف. وفيه مقبول، وهم حوالي ألفين أو ثلاثة آلاف. وفيه ضعيف، وهم حوالي عشرة آلاف.

هذه نظريتي. قد تقول لي: هل كل هؤلاء أدباء؟ أقول لك: نعم،

أدباء، لكن فيهم من هو ضعيف جدًا، وفيهم من هو مقبول، وفيهم من هو جيد، وفيهم من هو جيد جدًا، وفيهم من هو ممتاز، وفيهم من هو عبقري. والعباقرة قلّة في كل جيل، لكنهم يظهرون.

ماذا حدث لسعيد نافع، وأحمد الشيخ، ومحمد المصري؟

الندوات لم تعد تحتملهم، ولم يستطيعوا أن يُعترف بهم كشرعيين.

وعندما توفي عبد الناصر، وجاء الرئيس السادات، وتحالف مع الإخوان المسلمين، أصبح من السهل التخلص من أي شخص باتهامه بأنه شيوعي، فتنقلب الدنيا، ويُقبض عليه. تمامًا كما يحدث الآن، إذا قيل عن شخص إنه من الإخوان المسلمين، يُقبض عليه. فالقصة واحدة.

يعني إن التاريخ يكرر نفسه؛ فقط تتغير المسميات. بدلًا من أن يُقال «شيوعي»، يُقال «إخوان مسلمون»، وهي هي الأساليب نفسها، الأساليب السخيفة ذاتها.

فماذا حدث بعد ذلك؟

أحمد الشيخ ذهب إلى الجامعة، وعمل أستاذًا للغة الإنجليزية، وأظنه أصبح دكتورًا أو أستاذًا دكتورًا.

أما محمد المصري، فقد تُوفي والده، وهو من أبو حمص، فتولى العمودية بدلًا من والده، وأصبح هو العمدة.

وهكذا انتهت الجماعة الشعرية. انتهت. لم تستمر.

لماذا لم تستمر؟

لأن الخوف تسلل إليهم. خافوا حتى من الجلوس معًا. كثرت الشكاوى، وبدأ الناس يكتب بعضهم ضد بعض: هذا شيوعي، وهذا شيوعي. وكان السادات قد شن حملة على الاشتراكيين والشيوعيين، وترك الإخوان المسلمين يضربون اليسار، وضرب منظمة الشباب الاشتراكي. فعل السادات ما فعله، وكان النظام يريد الإخوان، فتم ضرب كل اليسار: الناصريين، والاشتراكيين.

هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، كانت هناك جماعة التجريبيين في الفن التشكيلي، وكانت في الإسكندرية. ضمّت سعيد العدوي (رحمه

الله ألف رحمة)، الذي توفي وهو في الثلاثين أو الثانية والثلاثين من عمره، وتوفي فجأة. كان قد كتب كتابه على أخت الفنان القدير محمد فاضل، ثم مات فجأة (من غير مرض، دخل رمضان، نام، ولم يستيقظ).

هذا هو سعيد العدوي، الذي أسس مدرسة فنية. كثيرون سرقوا تقنياته.

وكان معه الدكتور محمود عبد الله، والدكتور مصطفى عبد المعطي (أطال الله في عمره، وما زال حيًا)، الذي كان وكيلًا أول لوزارة الثقافة، ويعيش في الإسكندرية، وهو أستاذ وصاحب مدرسة واتجاه. هؤلاء الثلاثة فنانون تشكيليون كوّنوا جماعة «التجريبيين».

ثم ماذا حدث؟

انكفأوا على أنفسهم.

بدأوا يعملون دراسات على البيئة، ويسافرون إلى الريف، وإلى أماكن مختلفة، ويخرجون في رحلات ثلاثية، ليروا العالم. كانوا يبحثون عن المجتمع؛ لأنك إن أردت أن تكون

عالميًا، فعليك أن تتعمق جيدًا في بيئتك، وأن تتعمق في تاريخك، وفي شعبياتك. لا تذهب بعيدًا؛ فعالميتك تكمن في أرضك، تحت قدميك. العالمية التي تبحث عنها في الخارج، هي نفسها أرضك، وموطنك، والحوادث التي تعيشها، والأرض التي تحيا عليها، والناس الذين تقابلهم: سائق التاكسي، والبقال، والجزار، وكل هؤلاء الذين يحيطون بك، هم عالمك الذي تقدمه للعالمية.

لكن البعض يشطح ويقول: أريد أن أقدم مسرحية «هنري الرابع» بالطريقة المصرية.

يا أخي، «هنري الرابع» كتبها أستاذنا العظيم شكسبير. هل هذا سيجعلك عالميًا؟ لا. لن تصل إلى العالمية بهذه الطريقة.

دعونا نعود إلى موضوعنا.

الدكتور مصطفى عبد المعطي، والدكتور محمود عبد الله، والأستاذ سعيد الورق (الذي كان يدرّس في كلية الفنون الجميلة، ولم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد). كنتُ أقرب إلى سعيد العدوي، وبعد وفاته أصبحتُ أقرب إلى الدكتور

مصطفى عبد المعطي. انضم إلينا في جماعة «الاجتياز»، وعمل معنا ديكور مسرحية أو مسرحيتين.

كنتُ مؤمنًا بأن التجريب في المسرح لا ينبغي أن يُسمّى «فرقة المسرح التجريبي» لسببين:

الأول، أننا أردنا اسمًا لافتًا وخاصًا بنا، لا نعلن فيه الهوية مباشرة. سمّينا أنفسنا «جماعة الاجتياز». اجتياز ماذا؟ اجتياز الواقع. اجتياز ماذا؟ اجتياز الهزيمة، هزيمة سبعة وستين.

وكان مراد منير، المخرج الرائع القادم من بورسعيد، قد أسس مجموعة سمّاها «المسرح التجريبي»، لكنه لم يقدم سوى مجموعة أشعار، ثم قُبض عليه بتهمة أنه يساري، ودخل السجن (وكانت مسخرة، لكن التيار كان يسير في هذا الاتجاه). ثم مرض مراد منير.

قلتُ إننا سنعمل مسرحًا تجريبيًا، لكن باسم «جماعة الاجتياز». وكان هدفي أن نكتب قبل التجريب نصًا تجريبيًا. النص نفسه يجب أن يكون تجريبيًا، لا أن يكون العرض مجرد

حركة. المسرح الحركي جميل، يقدم رؤية بصرية جميلة، لكنه في النهاية قد يضيع بنا بعيدًا.

بالنسبة لي، كان التجريب يبدأ من النص.

ولهذا، عندما كتبتُ «الأقصى في القدس يحترق»، عرضتُها في قصر ثقافة الأنفوشي، وشاهدها فاروق حسني، وكان مدير القصر آنذاك. قال لهم: أحضروا لي السيد حافظ، كاتب هذا المسرح التجريبي. سألني: ماذا تريد أن تفعل؟ قلتُ له: أريد أن أُجرب بحثًا عن شكل المسرح العربي، لا أُجرب من أجل التجريب، ولا من أجل التخريب.

المصيبة التي تحدث الآن هي أن الناس تفهم التجريب على أنه تكسير كل شيء. لكنك لا تكسر من أجل الكسر، بل من أجل أن تبحث عن حل، وعن هوية، وعن من تكون، وعن كينونتك، وعن حقيقتك.

نعود إلى موضوعنا: اغتيال المواهب.

ما الذي حدث لأحمد الشيخ، ومحمد المصري، وسعيد نافع؟

سعيد نافع قابلته منذ سنتين أو ثلاث، وقال لي إنه كتب

روايات، وكتب ديوانين شعر، لكنه لا يريد نشرهما، واكتفى بأن يكون طبيبًا نفسيًا مشهورًا، يعيش على معاش جيد.

محمد المصري قابلته مرة، وقال لي: أنا أعمل في العمودية، وفي الأراضي، والزراعة، ومشاريع البلد.

هذا الوطن العربي يخنق ويقتل المشاريع الأدبية والفنية. عليك أن تحمي مشروعك.

أحمد الشيخ اكتفى بالجامعة. أكيد يكتب، لكن لنفسه. وهذا ليس صحيحًا.

كان هناك مشروع جماعي لتكوين مجموعة، لكنه لم يتم.

جماعة التجريبيين في التشكيل، مشروعهم لم يكتمل.

وجماعة المسرح التجريبي التي أسسها مراد منير، لم تكتمل أيضًا. خرج من السجن، وغير اتجاهه قليلًا، لكنه لم يستمر في التجريب، واتجه إلى أعمال نجيب سرور، وأخرج له مسرحية واثنتين وثلاثًا. ونجيب سرور، طبعًا، شاعر كبير، ومفكر كبير، ومثقف كبير.

أقول إن هذا مجرد بداية.

سأفتح ملفات.

ناس كثيرون ظُلموا، وناس كثيرون ضاع حقهم. الوطن ظلمهم، والوطن العربي كله ظالم.

وبالمناسبة، الكويت بلد عظيمة، وأنا أحبها جدًا. عشتُ فيها عشر سنوات، وأعرف أهلها، وأعرف أسرارًا كثيرة (لن أحكيها، لأنها لقمة عيش، ومن يُؤتمن لا يخون). لكن أسأل:

هل لا يوجد في الكويت أدباء مظلومون؟

الشاعر الشعبي منصور الخرجاوي كان يأتي إليّ باستمرار، ويشكو الفقر والحاجة، ويقول: أنا أطبع ديواني على حسابي، والوزارة لا تشتريه، وأنا أشعر أنني أفضل من فلان وفلان، وهم شعراء كبار ومسؤولون. كنت أهدئه، وكان أحيانًا يتهمني بالفساد مثلهم، فأصبر.

والشاعر الكبير محمد الفايز كان يأتي بكبرياء شديد، يقول: «مرّروا الكتاب، أنا محتاج فلوس»، ثم يشعل سيجارة ويغادر.

أقول لك: الظلم واقع. اغتيال المواهب يحدث في كل المجتمعات، الغنية والفقيرة والوسط.

سيكون لي لقاء استثنائي في افتتاح مهرجان المسرح التجريبي، أتحدث فيه عن كيف فكر العبد الفقير إلى الله، السيد حافظ، في اسم المسرح التجريبي، وكيف أُهين، وكيف شُتم في الصحف، ثم كيف انضم فاروق حسني إلى المجموعة، ثم كيف أصبح وزيرًا، وكيف أُسس المهرجان.

سأتحدث معكم في الأول من سبتمبر، إن شاء الله.

محبتي لكم.

أحييكم من القاهرة، أم الدنيا.

الحلقة ٢٨٠

المهرجان التجريبى وعيد ميلادي

١سبتمبر٢٠٢٢م.

صباح اليوم يبدأ يوم جديد، الخميس الأول من سبتمبر ٢٠٢٢.

أنا سعيد جدًا بقدوم سبتمبر؛ سبتمبر الحزين، سبتمبر الجميل، سبتمبر الذي يحمل أحزانًا كثيرة، وهو الشهر الذي وُلدت فيه. وبعد أيام أحتفل بعيد ميلادي خلال هذا الأسبوع.

قلت لكم: الخميس الأول من سبتمبر، سبتمبر الحزين، سبتمبر الذي فيه مولدي، سبتمبر الذي وقعت فيه المذابح، سبتمبر المليء بأشياء غريبة جدًا. وُلدت في هذا الشهر الذي يحمل غيوم الخريف، ويغطي بسُحُبه المدن، فيُخفي عنها الشمس، وينذرها بالمطر، وينذرها بالحب، أو بالشر، أو بشيءٍ ما مجهول.

غدًا، أو بالأحرى اليوم، عيد ميلادي الحقيقي، وهو مهرجان المسرح التجريبي في مصر. هذا هو عيد ميلادي الحقيقي.

مهرجان المسرح التجريبي في مصر. هذا المهرجان، كلما أُقيم، كنت أيام امتلاكي سيارة ألتف بها، وأشاهد الأعلام المرفوعة على كوبري قصر النيل مكتوبًا عليها: المهرجان التجريبي، المهرجان التجريبي. فأشعر بالزهو والافتخار والانتصار، وأخاطب الله قائلًا: يا رب، أيها الرب الجميل، لقد نجح مشروعي، وأنت السبب فيه، وأنت الذي نفخت فيه من روحك، فأصبح كيانًا، كيانًا كبيرًا.

المهرجان الآن، يا سادة، عمره تسعٌ وعشرون سنة. تسعٌ وعشرون سنة يُقام هذا المهرجان. وأشكر صديقي الوزير السابق فاروق حسني، الذي كان في السنوات الأولى من الكفاح معنا، داعمًا للتجريب في المسرح. أما بعد أن صار وزيرًا، فقد أصبح اللقاء به نادرًا، ولكن في السنوات الأولى كان معنا.

سأحكي لكم. أنا سعيد في عيد ميلادي الحقيقي، وهو المهرجان التجريبي.

عندما جاءت النكسة عام ١٩٦٧، وانهارت الدنيا بأكملها،

وانهار الحلم الناصري، وانهارت الوحدة العربية، واقتحمت إسرائيل ثلاث دول عربية، وجاءت الهزيمة مرة ومُرّة وقاسية، قلت لنفسي إن المسرح الذي تعلمناه في الستينيات مسرح فاسد، وإن المسرح الثوري الذي كنا نؤمن به كان مسرحًا باطلًا. لقد هُزمنا، يا سادة، هُزمنا. ولذلك كان لا بد أن نبحث عن شكلٍ جديد لمسرح جديد.

وكانت صيحتي في مؤتمر عام ١٩٦٩ بمحافظة الزقازيق، في لجنة المسرح، أمام حمدي غيث، وحسن عبد السلام، ونخبة من المسرحيين، منهم علي سالم، وألف متفرج. قلت كلمتي الشهيرة: إذا كنتم تقدمون مسرحًا مصريًا، فقولوا لي ما مميزاته؟ وإذا كنتم تقدمون مسرحًا عربيًا، فقولوا لي ماذا تقدمون؟

نجحت تجربتي، نجحت فكرتي، وأصبح مهرجانًا في مصر منذ تسعٍ وعشرين سنة، ثم أصبحت هناك مهرجانات في الدول العربية. عندما هاجموني، سأحكي لكم ما حدث من مسخرة في هذا الظرف التاريخي المهين بعد النكسة.

في عام ١٩٦٩، سألت في مؤتمر الزقازيق حمدي غيث، وعلي سالم، وألفريد فرج، وكان علي الراعي حاضرًا في اللجنة، وكان هناك حشد كبير من المؤلفين والمخرجين. المؤتمر الأول للشباب في الزقازيق. هذا موجود في الأرشيف، لمن يريد البحث بصدق، لا لمن يكذب ويدجل ويرفع صوته بسفالة. السؤال كان: هل لدينا مسرح مصري؟ هذا هو السؤال. إن كنتم تقدمون مسرحًا مصريًا، فأين هو؟ وما صفاته؟

حمدي غيث قال لحسن عبد السلام: أجب. فضحك حسن عبد السلام، وقال: أأجيب وأنت موجود؟ فقال له: تفضل. ثم التفت إلى ألفريد فرج، فقال: أجب. فقال: هذا موضوع يحتاج إلى علي الراعي. وبدأوا يتقاذفون السؤال بينهم، ولم يُجب أحد.

ظل السؤال معلقًا في ذهني: كيف نصنع مسرحًا عربيًا؟ هل نصنعه كما قال بيتر بروك عندما زار تونس، حين دعا إلى الاشتغال على الحكايات الشعبية المحلية؟ هذا كان رأيه.

في عامي ١٩٦٨–١٩٦٩، كان عمري واحدًا وعشرين عامًا.

بعد تصفية الميراث وفك الوصاية، كان نصيبي مئةً وعشرين جنيهًا من بيع بيتنا في شارع إخوان الصفا بالإسكندرية. أخذت المال وطبعت به مسرحيتين: «حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث» و*«الطبول الخصاء في الأودية الزرقاء»*. طُبعت المسرحيتان في مطبعة الدومبوسكو بالإسكندرية، وهي مدرسة تابعة للجالية الإيطالية كانت تُدرّب فيها أبناء الفقراء على الطباعة. طُبعت المسرحيتان، ولم يشعر بهما أحد، ولم يشعر أحد بشيء.

في عام ١٩٧١، التحقت بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة. كتبت أول مسرحية قصيرة على قدّ الكف، بعنوان «كبرياء التفاهة في بلاد الهدنة». هنا فهمت معنى التجريب: ليس التجريب أن أُحضر خمسة أو ستة راقصين، وأضواء خافتة، وظلالًا وصراخًا، ثم أقول: لقد حطمت. لا. التجريب يبدأ أولًا في النص المسرحي، في الكلمة، في الكلمة المسرحية.

(يا كذابين، يا دجالين، يا من تفسدون الفن والأدب والفكرة النبيلة، وتغتالون الحلم الشريف بحجة التجريب). أي فن هذا

الذي تصنعونه وأنتم تُخربون المسرح، وتنتهكون عرضه، وتمحون ذاكرته الشريفة في بناء الإنسان؟

المسرح التجريبي، في نظري، كان ضرورة.

طبعت كتاب «كبرياء التفاهة في بلاد الهدنة»، ولففت به على الصحف، وأنا طالب لا أملك سوى ثمانية جنيهات دفعتها للطباعة. ماذا حدث؟ هاجمني الناقد الكبير عبد الفتاح البروودي في «أخبار اليوم»، وكتب مقالًا ساخرًا يتساءل فيه: ما معنى المسرح التجريبي؟ ثم بعثت المسرحية إلى توفيق الحكيم، الأب الروحي لنا جميعًا. كتب عنها كلمتين في «الأهرام»، قال فيهما إنها مسرحية لا تُفهم.

أرسلت إليه رسالة قلت فيها: يا أستاذ توفيق، نحن لا نكتب بهذه الطريقة، وهذه هي الكتابة الجديدة القادمة، وأنت أستاذنا، تعلمنا منك التمرد. نختلف معك، لكنك معلمنا.

هاجمني كمال النجمي، وهاجمني نبيل عصمت، وسكت الجميع. تُركت لأُذبح وحدي. الذي دافع عني كان أمل دنقل، وهو لا يعرفني، بعدما سمع المسرحية تُقرأ في دار الأدباء.

قال علي سالم ساخرًا: اضربوا هذا الولد بالنار. وسخر الجمهور. لم يدافع عني أحد.

فشلت في أن أعيش في القاهرة؛ الثمانية جنيهات لم تكن تكفي. تركت الكلية وعدت إلى الإسكندرية، لكن الفكرة كانت تعمل داخلي: المسرح التجريبي عمل جماعي، يحتاج إلى جنود.

بدأت أعمل. كلما نزلت إجازة، جمعت أصدقائي: يوسف عبد الحميد، ومسعد خميس النجار، وفؤاد عبد العال. أعطيتهم الكتب: دوستويفسكي، كولن ويلسون، الفلسفة، الإخراج المسرحي. كوّنا مجموعة وسميناها «الاجتياز».

قدّمنا أعمالنا في كنيسة الجزويت، ثم في قصر الشاطبي، ثم في قصر الحرية. هناك وجدت مراد منير يعمل في المسرح، فقلت: لن أبتعد. هو أخرج نص «الطبول الخصاء».

فاروق حسني، الذي شاهدني منذ عام ١٩٦٨، قال لي: لو كنت في باريس ومعك هذا النص، لصنعوا لك تمثالًا، لكنك في مصر. ومع ذلك لن أتركك. هو من رشحني لمؤتمر الأدباء

الشباب في الزقازيق عام ١٩٦٩، وكنت أصغر أديب حاضر.
حين أصبح وزيرًا للثقافة، قال الناس: انتهى الأمر. لكن خطئي الإنساني معه كان حين كتبت له رسالة قاسية دفاعًا عن صديقي ممدوح بدران، الذي كان جائعًا في إيطاليا. كتبته بحدة، وهو تحمّل ذلك، لأنه فنان كبير وذكي.

ورغم كل هذا الواقع الفاسد، ورائحته العفنة، فإنني ما زلت مؤمنًا بأن الغد أجمل.

الغد أجمل مما نحن فيه الآن.

وأحيّي وأشكر دولة الإمارات العربية المتحدة، وسلطان المسرح، صاحب السمو الشيخ سلطان القاسمي، والهيئة العربية للمسرح بقيادة إسماعيل عبد الله، الكاتب الكبير، على دعمهم للمهرجان التجريبي، دعمًا ماديًا ومعنويًا، حتى يستمر هذا المهرجان.

وأنا أريد للمهرجان أن يستمر، وأريد لكل المهرجانات أن تستمر، لكن (دون فساد)، ودون أن يدعو بعضكم بعضًا في دائرة مغلقة: هذا رئيس مهرجان، وذاك رئيس مهرجان،

وتبادل دعوات ومصالح.

كفى فسادًا ،كفى.

أشكر من قلبي الهيئة العربية للمسرح على دعم هذا المهرجان باستمرارية، حتى يبقى لدينا أمل.

وأشكر سلطان المسرح، الدكتور سلطان القاسمي، المؤلف المسرحي وحاكم الشارقة.

وبالمناسبة، وصلني بالأمس كتاب أعدّه الأستاذ العالم الجليل، الدكتور مفتاح خلوف، الناقد الكبير من الجزائر، كتاب صدر مؤخرًا عن تجربتي، وأنا سعيد جدًا به، وقد وصلني في عيد ميلادي.

كل عام وأنا بخير، وكل عام وأنتم بخير أيها المستمعون.

وعيد ميلادي هذا العام مزدوج: مرة للمسرح التجريبي، ومرة لميلادي الشخصي بعد أيام قليلة.

ولعلها مصادفة جميلة أن يأتي مهرجان المسرح التجريبي دائمًا في شهر سبتمبر، شهر مولدي.

الأسئلة يمكن إرسالها على الخاص، وسأجيب عنها.

محبتي لكم جميعًا.

مصر بخير، والمسرح سيكون بخير إن شاء الله.

والمسرح التجريبي سيبقى حيًا، لأن كثيرًا من الدعوات المسرحية اختفت أو تبخرت، بينما ظل التجريب حيًا، وسيظل حيًا، لأنه مشروع بحث عن هوية، وهذا لا يأتي بين عشية وضحاها.

تحياتي من القاهرة، التي سُمّيت القاهرة لأنها تقهر الدنيا.

السيد حافظ

الخميس الأول من سبتمبر ٢٠٢٢

افتتاح الدورة التاسعة والعشرين من مهرجان المسرح التجريبي

مصر بخير، والمسرح التجريبي باق.

الحلقة ٢٨٢

فوق كل مبدع متميز مبدع اخر أميز منه

مساء خير الخميس

الخامس عشر من سبتمبر ٢٠٢٢

صباح الخير، صباح الأمل، صباح الخميس، صباح سبتمبر. سبتمبر أخباره كلها حلوة وحزينة، لكن أخباره الحزينة أكثر. وعلى أي حال، أنا سعيد. غبت عنكم الأسبوع الماضي لأنني كنت ضيفًا عند صديق لي، استضافني صديق عزيز، كاتب عزيز، في بيته. حاولت أن أجري اتصالًا، لكن الأمر لم ينجح، حاولت أكثر من مرة، ولم تنجح المحاولة أبدًا. كنت أريد أن أخفض الصوت ولم أعرف كيف.

الكاتب الكبير هوشنك، أنا سعيد بك وباهتمامك، وأشكرك كثيرًا. كاتب عظيم، وأبويّ، ومثقف رائع. الأسبوع الماضي كنت عند صديق مبدع في الرواية، جميل جدًا، استضافني في منزله لمدة يومين. والحقيقة أن الشبكة لم تضبط معي، ولم أستطع أبدًا أن أجري اللقاء.

اليوم سأتحدث في موضوع مهم جدًا.

فوق كل مبدع، مبدع آخر.

كل واحد فينا يكتب ويظن أنه أفضل كاتب في العالم. كل واحد يكتب شعرًا ويظن أنه أفضل شاعر في العالم. كل من يرسم لوحة يظن أنه أفضل رسام في العالم. كل من يكتب سيناريو يظن أنه أفضل كاتب سيناريو في العالم.

الحقيقة أن المسألة ليست كذلك. لا تظن أبدًا أنك الأفضل في العالم في مجالك، لا تظن أنك أفضل روائي، أو أفضل شاعر، أو أفضل سينمائي، أو أفضل مسرحي. هذا الكلام في حقيقته غير صحيح. ولا تظن أن لا أحد أفضل من شكسبير في المسرح، أو أنه لا يوجد أحسن من برنارد شو؛ هناك دائمًا من هو أفضل.

هذا الأفضل قد لا تعرفه، وقد يكون أفضل منك في مجالك وأنت لا تعرفه. وقد يكون ساكنًا في البيت المجاور لك، لكنه مجهول بالنسبة لك لأنه لم ينشر أعماله، أو لأن أعماله لم تُعرف، أو لأن مشروعه لم يُنفذ. وإذا نُفذ سيظهر أنه أفضل، وهو أيضًا

فوقه من هو أفضل.

وهذا سر الوجود:

ساوي الإبداع، ساوي الخلق، ساوي الخالق.

فوق كل ذي علم عليم، وفوق كل ذي إبداع مبدع آخر، لأنها هي سيورة الحياة.

أندهش حين نتكلم عن أي رمز من الرموز. لا تقل: لا تتكلم عن نجيب محفوظ، أو لا تتكلم عن طه حسين، أو لا تتكلم عن العقاد. لا، تكلم. هم أساتذة كبار، عظماء، أفاضل، وقدموا أشياء عظيمة، لكن بالتأكيد هناك من هو أعظم.

هناك دائمًا مبدع آخر عظيم. قد يكون شخصًا لا تعرفه. ولا تشغل نفسك بمحاولة البحث عنه أو معرفة ماذا يفعل، لأن المطلوب منك ليس هذا. المطلوب أن تتجاوز نفسك دائمًا. أنت في حالة محاولة دائمة لاجتياز نفسك.

الكاتب الحقيقي يحاول دائمًا أن يتجاوز نفسه. الفنان الحقيقي يحاول أن يتقدم على نفسه. لا تنشغل بالآخرين. انشغل بمشروعك، بكتاباتك، بحالك.

الخيبة التي نحن فيها أن واحدًا منا إذا تُرجم له عمل أو عملان أو ثلاثة، يقول لك: كاتب عالمي. ثم تراه في التلفزيون يتحدث بتعالٍ. أرى بعض الزملاء الكبار يفعلون ذلك، يتحدث عن نفسه وعن أعماله التي تُرجمت إلى خمس لغات أو عشر لغات. وماذا يعني هذا؟ ماذا زدت؟ هل زاد لك إصبعٍ؟ هل صارت عيناك أربعًا؟

هذا الغرور والطغيان شيء مقزز. أرى أناسًا يتحدثون في التلفزيون بشمئزاز، وأشعر بشمئزاز شديد. وأرى شبابًا كسب جائزة أو جائزتين أو ثلاثًا، فيجلس واضعًا رجلًا على رجل، وحذاءه في وجوه الناس، بينما لا يعرفه رواد المقهى، ولا حتى جيرانه.

هذه كارثة. هذا وهم قاتل.

إياك والوهم القاتل: أن تشعر أنك أفضل كاتب في العالم، أو أفضل شاعر في العالم، أو أفضل فنان في العالم.

كن متواضعًا، حريصًا على أن تكون نفسك. كن بسيطًا كالماء، كالهواء، كالشمس. انظر إلى هذه القوى العظمى في الكون،

بسيطة جدًا، لكنها في الحقيقة عظيمة وقوية، ولا يقدر على صنعها إلا الخالق سبحانه وتعالى.

لماذا إذًا تتضخم بهذا الشكل؟ لاحظت هذا وأنا جالس في مقهى، أراقب بعض المثقفين، كل واحد يشعر أن الكون كله ينظر إليه، بينما أقسم بالله حتى أولاده لا يشعرون به.

الوهم القاتل حكاية حقيقية. لا أحد يشعر بك، ولا أحد يعرفك. ببساطة شديدة، الله وزع الموهبة ولم يضعها في شخص واحد، بل وضعها في مجموعة. كل واحد لديه القليل الذي عليه أن يقدمه.

هناك من يكتب، وهناك من يلحن، وهناك من يكتب شعرًا غنائيًا، وهناك من يكتب قصائد. وهناك كثيرون لديهم إحساس ومشاعر، فيكتب كلامًا ويظنه شعرًا، ويكتب حكاية ويظنها قصة، ويكتب حكاية حياته ويظنها رواية. هي حكايات، وكتابات لطيفة، وأنا لست ضدها، لكن لا نكذب على أنفسنا ونصدق أنها عبقرية كبرى.

ثم يأتي ناقد ضلالي (أعمى القلب والبصيرة)، وهم كثيرون،

فيمنحه شهادة اعتراف في ندوة، ويقول: هذا شاعر كبير. رأيت كاتبة جيدة، ليست ممتازة ولا عبقرية، يقف أستاذ دكتور ويناقشها ويقول لها: أنت أفضل من نجيب محفوظ. فقلت له: تمهل، ما هذا الكلام؟

ورأيت في الإسكندرية ندوة، وسمعت كلامًا مشابهًا. ورأيت في مكتبة الإسكندرية من يقول لمبدع: أنت أعظم كاتب في الدنيا. لو صدق هذا الكلام فعليه أن يموت، لأن التصديق بهذا الوهم يقتل الإبداع.

رأيت مخرجة شابة في الأردن، جميلة وموهوبة، قدمت عرضًا جيدًا. فقام بعض الأساتذة يقولون لها: أنت أفضل من بيتر بروك. قلت لها: أنت مخرجة جيدة فقط، وما زال القادم أجمل. والدتها وحدها صفقت، والباقون نظروا إليّ شزرًا. بعد ذلك، هذه الفتاة لم تخرج عملًا آخر. قتلوها بالمديح.

حين تقول لإنسان: أنت الأعظم، فقد أنهيته.

اللذة والبهجة الحقيقية هي المشاعر، والحب الذي بينك وبين العمل الفني وأنت تصنعه. العلاقة السرية، الحبل السري

الجميل بينك وبين العمل الفني.

الترجمة ليست المقياس. المقياس هو الحضور، والحراك النقدي والثقافي. هذا صحيح.

أتمنى من أحد الشباب أن يقوم بدراسة عن الذين حصلوا على الجوائز: ماذا قدموا بعد الجوائز؟ أين هم الآن؟ ما مدى تأثيرهم؟ جوائز البوكر، والجوائز التقديرية، والتشجيعية، وجوائز الشيخ زايد، وغيرها. ماذا أنتجوا بعدها؟

هذا هو السؤال الحقيقي.

أسماء الذين حصلوا على جوائز البوكر وغيرها، خمسة أسماء من هنا وخمسة من هناك، من كل جائزة. ماذا أنتجوا بعد أن حصلوا على الجوائز؟ ماذا فعلوا؟ ما مدى تأثيرهم في الحركة النقدية؟ ما مدى تأثيرهم في الوجود الثقافي؟ أقسم بالله إن العمل الصادق يظل عشرات السنين.

أنا كتبت أعمالًا أُنجزت عام ١٩٦٨ بعد النكسة، وعن النكسة، وفوجئت بأنها تُقدَّم عام ٢٠٠٠ على مسرح البالون، من شباب في عمر أحفادي. قالوا لي: من أين جئت بهذا الكلام؟

ومن أين جاء هذا الكتاب؟ بكيت. قال لي أحدهم: أنت تتكلم عنا الآن، أنت تتكلم عن وجعنا الآن. هذا هو أن يسير عملك. أستغرب أن هناك مؤلفين كتبوا خمسين مسرحية، ولم تُعرض لهم مسرحية واحدة. إذا كنت لا تسير في المسرح، فاتركه واكتب شيئًا آخر. هناك صديق لي شاعر مشهور جدًا في الوسط السياسي، كتب مئة واثنين وسبعين ديوانًا، ولا أحد يحفظ له بيت شعر واحدًا. لمن تكتب الشعر إذ ًا؟ إذا لم يحفظ أحد بيتًا واحدًا؟

كان يُغنَّى شعره لأنه كان في حزب سياسي، وكان الغناء لتجميل صورة الحزب، ثم انتهى الأمر دون أثر حقيقي. لكن أحمد فؤاد نجم نجح، لأن كلامه وصل، وكنا نأخذه في الجامعة لأنه كان من وجع الناس وبصدق شديد.

الصدق هو الذي يبقى. الصدق.

إذا قُدِّم عملك المسرحي في مهرجان، وحصل على الجائزة الأولى، والجائزة الذهبية، وقيل: المؤلف الأول في العالم، وكانت لجنة التحكيم فلان وفلان وفلان، فهذا كله لا يعني شيئًا.

بعد خمس سنوات، كم مخرج قدّم هذا النص؟ ولا واحد. بعد ست سنوات؟ ولا واحد. بعد عشر سنوات؟ ولا واحد. هذا نص وُلد ميتًا، حصل على جائزة مزيفة من لجنة تحكيم مزيفة في زمن مزيف حقير.

انتبه. أنت تشاهد بعينك انهيار حضارة، وتغيرًا وولادة حضارة جديدة. أمامك تحدث مهازل لا مثيل لها. أنت مطالب أن تكون فطنًا.

يُقال لك: الأستاذ فلان الفلاني، المؤلف الصحفي في جريدة الدولة التي تطبع مليون نسخة يوميًا. يرفع الوزير الهاتف ويأمر بتنفيذ المسرحية، فتُنفَّذ بالأمر لأنها تخص نائب رئيس تحرير. تُجلب الميزانية، ويُستدعى الممثلون، وتُفتح الولائم للصحفيين: من يأكل العشاء، ومن يُحرَج، ومن يُدلَّل. تُكتب ثلاثون مقالة، ويحضر الوزراء الافتتاح. وبعد شهر، تُطبع المسرحية طبعة فاخرة وأخرى شعبية، ثم تُلقى في القمامة، في مزبلة التاريخ قبل المزبلة الواقعية.

لا أحد يعرضها، ولا أحد يناقشها، ولا أحد يتعامل معها.

حين فطنوا إلى أن الجامعات هي التي تصنع التاريخ الأدبي، لأن الواقع مهترئ، بدأوا اللعب هناك. يأتون بدكتور جامعة محدود، فيختار رواية لكاتب مغمور، وتُكتب عنها رسالة ماجستير، ثم دكتوراه. تُعلق اللافتات: الرسالة التاريخية عن الكاتب العظيم فلان. ويحضرون المناقشة، ويخرج الكاتب قائلًا: لقد دخلت التاريخ.

التاريخ لا يُخدع.

التاريخ لا يُخدع يا أشباه الكتّاب.

التاريخ لا يُخدع يا أشباه الأدباء.

التاريخ لا يُخدع يا أشباه الفنانين.

التاريخ قاسٍ جدًا. الله سبحانه وتعالى خلق الكون بقوة وبنظام شديد. كل واحد يأخذ نصيبه. قد تستولي على نصيب غيرك في منصب أو مجد أو عمل فني، لكن ذلك لا يدوم.

رأيت هذا بعيني. رأيت المرّ، بل أمرّ المرّ. اتفقت مع منتج، فيأتي شخص ويكسر السعر، ويأخذ ربع ما طلبته، وتُنفَّذ المسرحية وتسقط، ويسقط المنتج. حدث هذا كثيرًا، خصوصًا

في دول الخليج، حين كانوا يشترون من مؤلفين هنا بأبخس الأثمان، فيسقط العمل، وتُهدر الأموال، لأنهم لم يعطوا المؤلف الحقيقي حقه.

حديث اليوم: لا تنخدع إذا حققت نجاحًا. انسَه بعد ثلاثة أو أربعة أشهر، وادخل في عمل جديد.

الواقع الذي نعيشه الآن شديد القسوة، شديد الزيف، شديد السطحية. يُكتب شعر ليس شعرًا، ويُكتب مسرح ليس مسرحًا. تُقدَّم عروض ليست عروضًا مسرحية، بل عروض رقص تنتمي إلى عالم آخر. المسرح أكبر من ذلك.

في الكتابة، آلاف الروايات تُطبع. بعضها يصل إلى الطبعة العشرين والثلاثين والخمسين. وهناك كتاب يتقاضون أرباع مليون أو مليون جنيه. الكتابة جيدة، لا أقول سيئة، لكنها ليست ممتازة ولا عبقرية، ولن تعيش. لأن حالة الجهل والتجهيل التي يعيشها الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، والقارئ المغيَّب، ستنتهي يومًا ما.

سيأتي جيل بعد عشرين أو ثلاثين سنة، وينظر ويضحك: كيف

طُبعت هذه الكتب خمسين طبعة؟ كما نظرنا نحن إلى من سبقونا.

هناك كتاب محترمون، لهم أدواتهم، لكنهم متوسطو القيمة. أعمالهم لا تُعاد، ولا تُقدَّم، لا هنا ولا هناك.

أطلت عليكم. لدي موضوعات أخرى أود الحديث فيها. أفكر في تحديد يومين في الأسبوع. اقترحوا عليّ في الخاص.

أحيي الشباب. شاب بالصدفة تعرف عليّ من خلال أحد أقاربي، وقال له: أنا أتابع هذا الرجل. أشكره جدًا، لأنه يتابع شيئًا جادًا في زمن ضاحك. مصر بخير، وفي الوطن العربي شباب واعٍ، واعد. المستقبل لنا، وليس لهم.

تحياتي، وتصبحون على خير ومحبة.

الخميس الخامس عشر من سبتمبر ٢٠٢٢، من القاهرة.

أنا من سكان القاهرة، والغريب أن الناس تسألني دائمًا عن الإسكندرية. التهميش ما زال يعمل ضدي، ومع ذلك أنا قوي، رغم المرض وآلام الركبتين والخشونة. من لديه وصفات للخشونة فليكتبها لي.

تحياتي من القاهرة، التي سُمِّيت القاهرة لأنها تقهر الدنيا، وسماها جوهر الصقلي. وقيل إنها القاهرة نسبة إلى نجم كان يسمى القاهر.

إلى اللقاء الأسبوع القادم، على يومين في الأسبوع إن شاء الله.

شكرًا لكل من حضر، ولكل من تابع بصمت.

أنتم أحبّتي.

الحلقة ٢٨٣

حساسية البرجوازية العفنة

خيرُ موعدنا الأسبوعي اليوم الخميس الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ٢٠٢٢. ذهبتُ وأجريتُ جلسة العلاج الطبيعي الثانية، من السابعة والنصف إلى الثامنة والنصف، ثم توجهتُ إلى عمّ أحمد في العجوزة (القريب من المركز الطبي)، وحلقتُ ذقني، وقررتُ أن أقاوم كل الإحساس.

قمتُ ببعض الطقوس كي أتماسك، وتناولتُ مسكنًا جيدًا حتى أكون متوازنًا، لأنه يجعلني أشعر وكأنني لا أحس بالألم. وأسأل الله أن يشفي كل الناس من كل الألم، من جميع الأديان ومن كل الأجناس، لأن الألم شيء صعب جدًا.

حلقة اليوم عن الحساسية البرجوازية العفنة لدى المثقفين.

هذه الحساسية منتشرة منذ زمن بعيد؛ فالبرجوازيون لديهم حساسية تجعلهم يشعرون أنهم فوق البشر، وأنهم مصطفَون، بينما العامة من الشعب – في نظرهم – قد يكونون سيئين، ولديهم سلوكيات وطباع قبيحة، ويمارسون أفعالًا سيئة

ويقدمون أعمالًا مشينة للأدب والأخلاق.

هذه هي نظرة البرجوازيين إلى الطبقة العاملة أو الفقيرة أو المعدمة. لذلك فإن الحساسية لدى هذه الطبقة شديدة التعفن، لأنها تريد دائمًا أن تشعر بأنها مكتملة وممتازة، لا نقص فيها، بل فوق البشر. والمثقفون – للأسف – يحرسون هذا المرض، رغم ثقافتهم العريضة.

فوجئتُ مؤخرًا بشخص حساس جدًا كتب منشورًا لم يحذفه، يسأل فيه: كيف تهاجم الدكتور سناء شافع، والدكتور فوزي فهمي، وسمير سرحان، وهم في التاريخ؟

وأنا لم أقل إنهم ليسوا في التاريخ، بل قلت إن التاريخ هو الذي يفرز، والتاريخ هو الذي سيُظهر. فهل وظيفتي – حين أكتب عن السيرة الذاتية – أن أمدح أو أذم؟ أنا لا أقول إن فلانًا وحش أو فلانًا جيد، فهذا ليس شأني، ولا أستطيع أن أحكم على الآخرين.

أنا أذكر الوقائع: هذا الأديب فعل معي مواقف جيدة، وهذا الأديب فعل معي كذا وكذا، حسنًا أو سيئًا. هذا ليس سبًّا ولا

شتمًا. والقول بأن "الميت لا يُذكر" عبطٌ محض.

ما هذه الحساسية الخائبة عند المثقفين؟ وما هذا التخلف الثقافي؟

إذا كنا سنقول إن من مات لا يُحاسَب، فإذًا لا حساب، ولا جنة، ولا نار، ولا يوم حساب. وإذا لم يكن هناك حساب، فلتعش البشرية همجية، ولتُلغ الأديان والأنبياء، ولندخل في العدم والعبث والوجودية، ويفعل كل إنسان ما يشاء بلا ضابط.

هذا مستحيل.

التاريخ يُحاسب، وهناك قوانين سماوية، وقوانين أرضية اجتماعية أنشأها البشر، ولا بد أن نقول ما يحدث.

حين تحدثتُ عن سناء شافع قلتُ: ممثل عظيم وأستاذ عظيم وصديقي، وأنا أعرف عنه أشياء كثيرة، لكنها ليست موضوعي. قلتُ إنني أرسلتُ له مسرحية ليعملها في المسرح الكويتي، فلم يعملها، وأخذ مسرحية أخرى. هذه واقعة. لم أشتمه، بل حكيت ما حدث.

ومع ذلك، ظل صديقًا، وشاركته في سهرات، ووقفتُ إلى جانبه في أزمات، ولم أخصمه يومًا.

الأمر نفسه مع سعد أردش، الذي كتب عني ست عشرة صفحة وأشاد بمسرحي. كان صديقي، وحدثت بيننا مواقف غير جيدة، ذكرتها دون سب أو إساءة.

وكذلك عصام السيد، الذي أراه أفضل مخرج قابلته في حياتي، صاحب ذاكرة مذهلة وعبقرية إخراجية. حين حدثت مواقف غير جيدة قلتها، وذكرت فضله ومكانته. بل إنه قال لي يومًا: "إن احتجتَ مالًا، أبيع لك سيارتي". هذه جملة لا تُنسى.

فما هذه الحساسية البرجوازية المريضة التي تمنع ذكر الوقائع؟

هل معنى احترام الموتى أن نلغي التاريخ؟ إذًا فالجميع عظماء، ولا قيمة للتاريخ أصلًا.

هذا هبل.

سمير سرحان صديقي، وقد حدثت بيننا واقعة قاسية جدًا، حكيتها كما هي، دون تجريح. لم أقل ظالم أو مظلوم، ولم أصفه إلا بما حدث.

والأمر نفسه مع آخرين، مثل باسم دبور، مدير الإنتاج

الفلسطيني، الذي حدثت بيننا واقعة مالية في عمل، حكيتها، ثم التقينا بعد ذلك وتعاملنا باحترام، وعزمني على الغداء، وسارت الحياة.

أنا لا أخصم أحدًا من حياتي بسبب موقف. أذكر الزين والشين، لا لأنني أهاجم، بل لأنني أكتب تاريخًا شخصيًا وتجربة إنسانية.

نحن لسنا ملائكة، نحن بشر، وسلوكنا مليء بالأخطاء والفشل، وهذه حقيقة.

وأكرر:

لو أردتُ الشتم لكشفتُ ملفات كثيرة، لكن هذا ليس سلوكي ولا أخلاقي.

أنا أكتب، وأحكي، وأسجل.

وهذه هي الحساسية البرجوازية العفنة لدى المثقفين.

كنتُ أسير، فقال لي الأستاذ عبد الفتاح: يا سيد حافظ، الدنيا زحمة، لا تبتعد، لأنني كنتُ معي سيارة (قبل أن أبيع السيارة وأفلس).

والشيء بالشيء يُذكر، لا بد أن أحكي، وإذا لم أحكِ فلا بد أن أقول الحقيقة للشباب. كان لديّ سيارة، وكان معي مليونان، وصرفتُهما على الثقافة، وأضعتهما، وأنا سعيد، غير زعلان، غير نادم، الحمد لله.

المهم، كان ينادي عليّ: سيد حافظ. فوجدتُ رجلًا يرتدي قميصًا وبنطالًا، قوي الهيئة، يقول: من سيد حافظ؟ أين سيد حافظ؟ فقال له عبد الفتاح: ها هو. فقال لي: الأستاذ يريدك. ذهبتُ وسلمتُ عليه، فقال: أنا الدكتور علي قاسم علي. أبحث عنك منذ وقت طويل لأنك كاتب جيد، وقد قرأتُ لك. شكرته، فقال: أريدك أن تكتب لنا للتلفزيون، وكان هذا مدخلي إلى دبي، إلى مركز دبي، والمسلسلات الثلاثة التي اشترَوها لم تُنفَّذ لأسباب تتعلق بالمخرجين المصريين (وأخلاقهم وأفعالهم).

هذه حكاية رويتها من قبل، لكنني أريد أن أؤكد أنني لم أزعل من فيصل سعد حين أُوقف المسلسل، ولم أزعل حين ذهبتُ إلى دبي ولم تُنفَّذ الأعمال.

بل للأمانة، فيصل سعد كان يريدني أن أعمل أنا ونجدة أنزور عملًا تاريخيًا، لكن نجدة أنزور كان وقتها صاعدًا بقوة، ومشغولًا جدًا، لا يستطيع أحد الوصول إليه. قلتُ له: تعال نجلس في مصر لنحل الموضوع ونعمل المسلسل، وكان التواصل يتم عبر الهاتف.

وله إيجابياته وله سلبياته، ولا يوجد إنسان ملاك.

يمكنك أن تقول: سيد حافظ سيئ، فأقول لك: صدقت. ويمكنك أن تقول: سيد حافظ جيد، فأقول لك: صدقت. (فكل إناء ينضح بما فيه).

الأستاذ محمود أبو العباس، الفارس الجميل، فارس المسرح العربي، هو من رشحني لنجدة أنزور، وللتاريخ أقولها: الذي رشحني للانضمام إلى الورشة كان الفنان محمود أبو العباس. فهل خاصمتُ فيصل سعد عندما لم تُنفَّذ المسلسلات الثلاثة؟ لا. كلمته وقابلته، وانتهى الأمر. هو تصرّف تصرّفًا بايخًا، لكنه انتهى.

المستغرب أن البعض يضيق حين نذكر أساتذتنا الكبار.

كل الأساتذة الكبار على عيني ورأسي. تعاملتُ مع جيل عظيم، وكنا نتحدث مؤخرًا عن فؤاد زكريا، وكان رئيس تحرير مجلة عالم المعرفة. مساعده الأساسي كان الأستاذ حسين اللبودي، وهو كيان ثقافي عظيم، محرر ومدقق نادر الكفاءة.

كنتُ مساعدًا للأستاذ حسين اللبودي، وكنا نعمل على تحرير الكتب، نعيد صياغتها حين تكون مفككة، ونتعلم كيف تُحرَّر الفكرة وتُحكَم اللغة.

عملنا في عالم المعرفة نحن أربعة: فؤاد زكريا رئيسًا، حسين اللبودي العمود الفقري، وأنا مساعده، ومحسن عبد الحفيظ من سلطنة عمان. أعداد المجلة الأولى هزت العالم الثقافي، واستمر عملي معهم حتى العدد الرابع والعشرين، ثم انتقلتُ إلى قسم آخر، وكانت تجربة أفادتني عمليًا وإنسانيًا.

أعود إلى مسألة الحساسية عند بعض المثقفين، الذين يقولون: لا تتحدث عن فلان، ولا عن علان.

نعم، كان الجيل السابق مليئًا بالعيوب، لكن (أقسم) إن حذاءهم أفضل من أجيال كثيرة الآن.

لدينا شباب مبدعون، لكنهم لم يأخذوا فرصتهم، لأن الأكسجين الثقافي غير موجود، كما قال جيل محفوظ: لا يوجد أكسجين ثقافي. فإذا كان هذا حال السبعينيات، فكيف الآن؟

الآن نحن نعيش في ثاني أكسيد الكربون الثقافي. لا كوادر حقيقية، ولا أسماء واضحة، انظر إلى خريطة المهرجانات، انظر إلى الأسماء.

هذا هو الجزء الأول من الحساسية البرجوازية.

أما الجزء الثاني، فأنا أتحدث عن الدول العربية التي تدعمنا ثقافيًا. حين تدعم دولة عربية مهرجانًا للشعر في مصر، لماذا يختار المسؤول المصري أسماء ضعيفة بسبب خلافات شخصية وحسابات تافهة؟

فتتقدم مصر بصورة سخيفة.

الأمر نفسه في مهرجانات المسرح. الدولة العربية تصرف، والمسؤول يجلب أصدقاءه وأقاربه، ويحجز لنفسه جناحًا في الفندق، ولا يدعو المسرحيين الحقيقيين.

وأنا لا أطلب شيئًا من أحد. لقد أنفقتُ كل مالي على المسرح،

وقدمتُ نفسي وعمري وكتابتي ومشروعي، أكثر من مئتي مسرحية، وأكثر من ثلاثين رواية. لا أحتاج إلا دعاء المخلصين.

لماذا تُسيئون إلى مصر؟

مصر كبيرة، عظيمة، مليئة بالمواهب. حين أُطلب مني أسماء لمديري مهرجانات، أستطيع أن أذكر عشرين اسمًا كبيرًا، بل مئتي اسم.

لماذا تختارون أنصاف وأرباع المواهب؟

هل نحن في زمن الأقزام في الفكر والثقافة والفن والنقد؟

أطلتُ عليكم، لكن الحديث شجون ومحبة.

وأرجو من المسؤولين عن المهرجانات المدعومة عربيًا: خذوا الدعم، لكن صفّوه، نظّفوه، اعملوه صح.

لا تصعدوا الهزيلين إلى المنابر. من يمسكون الميكروفون ليسوا أهلًا. القضية ليست رفعًا ونصبًا لغويًا فقط، بل فكر، ورؤية، وإبداع.

إلى مصر العظيمة الآتية إن شاء الله.

أسألكم الدعاء لي بالشفاء، ولكل مريض على وجه الأرض، من كل الجنسيات والأديان.

اللهم اشفِ أدباء قومي، وفناني قومي، وأخرجنا سالمين.

تحياتي لكم من القاهرة،

السيد حافظ، العبد الفقير إلى الله

الحلقة ٣٨٤

حديث عن قطر ومحمد الجاسم

مساء الخير، مساء المحبة، مساء الأمل

اليوم حدث خطأ غير مقصود؛ كان من المفترض أن أتحدث غدًا، لكن بما أن الأمر جاء على هذا النحو، فقد قررنا أن يكون لقاؤنا أسبوعيًا يومي الثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع، إن كنا على قيد الحياة وكان لنا أجل. يوم الثلاثاء نتحدث عن شخصية أو عن بلد من البلاد العربية التي زرتها، أو عن تجربة ثقافية أو إنسانية.

حديثي اليوم عن بلد، وعن شخصية بعينها، شخصية محترمة سأذكر اسمها صراحة. حديثي اليوم عن قطر.

الحديث عن قطر يشبه الحديث عن مصر، ويشبه الحديث عن الكويت، ويشبه الحديث عن الإمارات، ويشبه الحديث عن المملكة العربية السعودية. في تكويني الثقافي والفكري جزء عروبي لا أستطيع التخلي عنه. قد يقال لنا إننا كنا فرعونيين، نعم كنا كذلك، لكننا اليوم عرب، وهذه هويتنا.

قطر بالنسبة لي لا يمكن أن تُلغى. لا شأن لي بالخلافات السياسية؛ فأنا لست سياسيًا، ولا أعمل في السياسة. السياسيون يختلفون ويتصالحون، وهذا شأنهم. أما الصحفيون العاملون في مؤسسات الدول، فقد يكونون تابعين لتوجهات دولهم، يمدحون حين يُطلب منهم المدح، ويهاجمون حين يُطلب منهم الهجوم. هذا أمر لا يعنيني. أنا كاتب، وموقفي مستقل.

لا أنسى قطر؛ فقد قدمتُ فيها نحو خمسة مسلسلات إذاعية في ثمانينيات القرن الماضي، حين كان رئيس الإذاعة القطرية الأستاذ عبد الرحمن المعضادي. سواء اتفقنا معه أو اختلفنا، فإن هذا الرجل كان شخصية عظيمة، وقد أسس إذاعة قطر في فترة تاريخية شديدة الحساسية، وحافظ على خطاب عروبي نظيف دون سباب أو إسفاف.

في تلك المرحلة، تولّى الأستاذ مانع الهاجري إدارة تلفزيون قطر، وفتح النوافذ لإنتاج المسلسلات، واستقبل كتّابًا عربًا من سوريا وغيرها. أرسلتُ رسالة أعرض فيها مشاريعي،

فجاءني الرد مرحبًا، ودُعيت إلى قطر، واستضافني تلفزيون قطر.

في ذلك الوقت كان مساعد مدير التلفزيون الأستاذ محمد الجاسم.

ومحمد الجاسم، وما أدراك ما محمد الجاسم.

شخصية إعلامية متفردة، عبقرية بحق. لم أعمل في قناة الجزيرة، ولم أعمل معه فيها، لكنني عرفته منذ أن كان مساعدًا لمدير تلفزيون قطر. حدثت بيني وبين أحد الفنانين مشكلة دون ذكر أسماء، فتدخل محمد الجاسم وحلّها، واعتذر لي، والاعتذار في هذا الزمن نادر. لم يكتفِ بالحل الإداري، بل جاء إلى الفندق بنفسه وطيب خاطري. هكذا كان، وهكذا هو.

محمد الجاسم هو الذي أسس قناة الجزيرة، بكل روحها وتنوعها، وهو الذي صنع الدهشة الإعلامية العالمية. استقطب مذيعين من تلفزيون الـBBC حين كان يمر بحالة تخبط، واختار الكفاءات بدقة مذهلة، وصنع حدثًا فريدًا في

تاريخ الإعلام العربي.

هو الذي جعل من الجزيرة قناة إخبارية عالمية. وهو الذي اختار مدير إدارة الأخبار، وكان مصريًا، كما اختار مصممي الشعار، وكانوا مصريين أيضًا. الشعار الشهير، الكرة الأرضية التي تغوص في الماء ثم تعود، من تصميم مصري، اختاره محمد الجاسم بنفسه.

لم يكن يسأل: هذا مصري أو سوري أو فلسطيني. كان يسأل عن الكفاءة فقط. حتى إن أحد كبار المسؤولين طلب منه أسماء من عملوا في الجزيرة، فأجابه بأنهم مصريون، فطلبهم، ووافق. لكنهم حين عادوا إلى مؤسساتهم الأصلية لم يحتملهم المناخ البيروقراطي العقيم، فغادروا مرة أخرى.

محمد الجاسم استطاع أن يحقق نجاحًا عالميًا. في الحرب الأمريكية على العراق، كانت كاميرات الجزيرة حاضرة بقوة، وكان الأداء الإعلامي مهنيًا عاليًا، إلى درجة أن الولايات المتحدة ضغطت لإبعاده، لا لأنه فاشل، بل لأنه كان في حجم دولة، بل أكبر من دولة.

محمد الجاسم ليس صاحب أيديولوجيا حزبية؛ لا هو يساري ولا يميني. هو رجل وطني، يحب بلده قطر، ويحب الخليج، ويحب العروبة، ومتحيز لها، وفي الوقت ذاته مهني إلى أقصى درجة.

علاقتي بقطر بدأت منذ تعرفي على عدد كبير من مثقفيها ومبدعيها، في الجامعة وفي العمل الإذاعي، ومن خلال كتّاب ونقاد وفنانين كبار. تعرفت على شعراء، وكتّاب، وفنانين تشكيليين عالميين.

لكن يظل محمد الجاسم حاضرًا في ذهني وقلبي وتقديري. هذا الرجل الذي ترك الإعلام فترة، ثم استعان به الشيخ سلطان القاسمي في الشارقة، فتولى تلفزيون الشارقة لعامين ونهض به نهضة كبيرة، ثم عاد إلى قطر، واتجه إلى عالم الأعمال.

نلتقي كل عشر أو خمس عشرة سنة، لقاءات عاصفة بالضحك، والذكريات، والحديث عن قطر، والعروبة، والمثقفين، والسياسات العربية العبثية، وعن الحياة، والصحة، والمرض، والتفاؤل.

اليوم تذكرتُ صديقي محمد الجاسم، هذا العبقري في الأداء الإعلامي، الذي شهد بكفاءته الجميع. لم تستطع دولة عربية أن تُخرج نموذجًا مماثلًا يقود الإعلام وينشئ قناة بحجم الجزيرة.

قد نختلف مع الجزيرة أو نتفق معها، لكنني أتحدث هنا عن المهنية. نحن نعاني عقلية مريضة، عقلية وسواس، نرى المؤامرة في كل شيء، ونشك في أنفسنا، وفي أوطاننا، وفي بعضنا البعض.

تحية إلى قطر.

تحية لكل عبقرية حقيقية.

نعم، خسرنا محمد الجاسم في الإعلام المباشر، لكنه أنشأ كيانًا عظيمًا اسمه الجزيرة.

نحن في مصر نملك كفاءات هائلة، لكننا نقتل المبدعين، ونطردهم، ونفرح بالرداءة. وصلنا إلى مرحلة إعلامية شديدة التدني، نحتاج فيها إلى إعادة صياغة شاملة للإعلام، واكتشاف العباقرة، ومنحهم مساحة من الحرية والتنفس.

مصر مليئة بالكفاءات، ولو أردنا لوجدنا عشرات القادرين

على القيادة في كل موقع. لكن ما يُقدَّم على الشاشات لا يمثل مصر. مصر ولّادة، لا تقتلوا المبدعين.

تحية إلى قطر،

تحية إلى مصر،

تحية إلى محمد الجاسم،

تحية لكل فنان صادق،

وتمنياتي بالشفاء لكل مريض في مصر، وفي الوطن العربي كله.

أنا متفائل.

غدٌ أجمل.

أجمل أيام العمر لم تأتِ بعد.

وأجمل ما أود قوله، لم أقله بعد.

تحياتي،

وأصبحتم على خير.

الحلقة ٢٨٥
من سرق أحلامي مني
٢٩ سبتمبر ٢٠٢٢

صباح الأمل، صباح الأمل والتغلّب على الألم، والوجع، والمرض. صباح التفاؤل، صباح التماسك، صباح الأمل في الله بالشفاء، وصباح الأمل في الله بأن يتغيّر العالم نحو الأفضل ونحو الأجمل. صباح الإنسانية الراقية.

اليوم هو الخميس التاسع والعشرون من سبتمبر عام ألفين واثنين وعشرين، وأتحدث إليكم من القاهرة. هذا هو موضوع اليوم الأساسي. وقد اتفقنا من قبل على أن نلتقي يومين في الأسبوع، يوم الأربعاء ويوم الخميس، بعد منتصف الليل.

كنتُ قد أنهيت جلسة علاج طبيعي، والحمد لله كان هناك تحسّن. ربنا جميل، تفاءلوا بالخير، إن شاء الله سنُشفى جميعًا، وسنكون بخير، وسيكون لدينا طاقة إيجابية جميلة للحياة.

سأتحدث اليوم عن قضية مهمة جدًا، وهي توصيف المسرح،

وبالتحديد توصيف الفرق المسرحية، لا توصيف المسرح نفسه. فعندنا في تاريخنا المسرحي، في السبعينيات، ظهر مسرح الفوانيس في الأردن، وظهر مسرح الحكواتي في لبنان، وظهر المسرح التجريبي في مصر، وظهر مسرح العمال. وفي الستينيات، في عهد الزعيم جمال عبد الناصر، (اختلفنا أو اتفقنا معه)، لكنه كان زعيمًا للأمة وزعيمًا لمصر، وكان منحازًا للفقراء والمساكين.

في الأردن كان مسرح الفوانيس، وفي لبنان مسرح الحكواتي، وفي مصر ظهر المسرح التجريبي في الإسكندرية، ولفت الأنظار بقوة، ثم تأسس استوديو الممثل في المركز السوفيتي، وبرزت أسماء كثيرة، وتحولت تجارب فنية إلى مشاريع نقدية وسينمائية ومسرحية.

ظهرت فرق مسرحية متعددة، منها مسرح العمال، ومسرح الفلاحين، وكانت هناك محاولات جادة قادها المخرج والمنظّر والناقد الدكتور أبو الحسن سلام، وكان ينافسه في هذا المجال أستاذنا الكبير محمود دياب، الذي ارتبط مشروعه الإبداعي

بالفلاحين ارتباطًا عميقًا. وقد حدث صدام فكري بينهما؛ لأن محمود دياب كان يرى أن مشروعه سبق وأنجز عددًا كبيرًا من المسرحيات عن مصر والفلاحين.

كانت هناك أربع فرق أساسية في مصر: المسرح الحديث، ومسرح الطليعة، والمسرح القومي، والمسرح القومي للطفل، وهي الفرق الرسمية. كما أُنشئت فرق المسرح العالمي، والفرق الاستعراضية، التي كان وراءها العبقري السيد بدير. كنا نسخر منه في شبابنا، ونقلّد طريقته، لكن الحقيقة أن ما قدّمه من أفلام ومسرحيات كان منضبطًا فنيًا بشكل مذهل، كوميديا راقية وليست تهريجًا، ولا يزال كثير مما قدّمه عصيًا على التقليد حتى اليوم.

صحيح أن هناك نجومًا معاصرين قدّموا أعمالًا جيدة أحيانًا، لكن المشكلة في كثير من الأحيان تكون في النص. فهناك كُتّاب يظهرون ثم يختفون، أو نصوص تُفسد أثناء التنفيذ. بعض النجوم يتدخلون لتغيير النص بحجة الضحك، فيخرجون عن النص، ويتوقف التصوير، ويُعاد كتابة المشهد، فيفسد العمل

كله. وقد جربتُ ذلك بنفسي، وتعرّضت لمعاناة شديدة.

السيناريو مهنة صعبة، إبداع نعم، لكنه يحتاج إلى انضباط. هناك نماذج منضبطة جدًا، مثل الدكتور وليد سيف في الأردن، لأن النص يكون مكتوبًا بالعربية الفصحى، فيكون الممثل محكومًا بالنص، ولا يستطيع الارتجال اللغوي. وهناك ممثلون كُثُر متمكنون من العربية الفصحى في الأردن والعراق، مثل محمود أبو العباس، وفرحان هادي، وعزيز خيون، وسامي قفطان، وغيرهم.

أما في الخليج، فعدد العاملين بالفصحى أقل، ولهذا كانت إذاعة الكويت تعتمد كثيرًا على أساتذة المعهد العالي للفنون المسرحية، لأن العمل فيها كان باللغة العربية.

أعود مرة أخرى إلى قضية توصيف الفرق. اليوم، أصبحت الفرق بلا توصيف، كل فرقة تفعل ما تشاء: مرة نص عالمي، ومرة نص عربي، ومرة كوميديا، بلا تخصص ولا هوية. أصبح الأمر فوضويًا.

أما المهرجانات، فقد تحدثت عنها من قبل، لكنها تحتاج إلى

نقاش أخلاقي وفني. أنا شخص ملتزم بقضايا المساواة، والعدالة الاجتماعية، والفقراء، والعمال، والفلاحين. لكنني حين شاهدت المسرح المباشر الذي يخاطب العمال والفلاحين، شعرت أن المباشرة الزائدة تضر بالعمل الفني، خصوصًا في الأدب والشعر المباشر.

كان هناك شعراء مباشرين، وكان لهذا الاتجاه وقته ودوره. وكذلك الأغاني المباشرة التي دعمت الزعيم في مرحلة معينة، وكذلك المسرح المباشر. لكن هذه الأعمال، رغم أهميتها التاريخية، لم تعمّر فنيًا طويلًا.

وجدتُ نفسي أكتب عن القضية الفلسطينية، منذ مسرحية «الأقصى في القدس يحترق» عام ١٩٦٩، ثم أعمال أخرى، إلى أن توقفت عند عنوان اعترض عليه أستاذنا يحيى حقي، رحمه الله، فنصحني بتغييره، واستجبتُ لنصيحته. وواصلتُ الكتابة عن المقاومة الفلسطينية، والمقاومة المصرية في حرب الاستنزاف.

ثم اكتشفت أمرًا خطيرًا: الأمية تسود المجتمع، ونسبتها

مرتفعة جدًا. والجمهور يريد الضحك، هذا هو مفهوم المسرح عند العامة، بل حتى عند بعض الطبقات العليا.

المسرح المصري بدأ في الكباريهات، عبر الاسكتشات، ثم تطور مع نجيب الريحاني وعلي الكسار. وفي العالم كله، تحب البرجوازية الضحك، بينما النخبة المثقفة تميل إلى المسرحيات الفخمة المكتوبة بالفصحى.

وقفتُ حائرًا: إلى أين أذهب؟ كتبتُ سبع مسرحيات عن النكسة وحرب الاستنزاف، وكتبتُ للطفل مسرحيات توعوية عن القضية الفلسطينية، ومن بينها مسرحية «سندس»، التي نجحت نجاحًا كبيرًا في مصر، وتُعرض سنويًا في مئات المدارس، دون أن أحصل على مقابل مادي يُذكر، لكنني كنت مؤمنًا بأنها رسالة.

ثم قررتُ أن أعمل في المسرح التجريبي، وكتبت عشرات النصوص، وأسست فرقًا مسرحية، لكنني اكتشفت أن المسرح التجريبي مسرح نخبة. وأنا كنت أريد الناس، أردتُ النزول إلى الجمهور.

دخلتُ التجريب في الرواية أيضًا، لكنني وصلت إلى قناعة أن الرواية ليست مجرد حكاية، بل بناء عالم جديد، لغة، واكتشاف. قد يرضي هذا النقاد، لكنه يظل حبيس الصفوة.

في المسرح الطليعي، لم أفهم الطليعة بوصفها تقدّمًا شكليًا، بل بوصفها التزامًا بقضايا الجماهير: تحرير سيناء، وبناء الإنسان، ومواجهة الأمية، والمقاومة. عملتُ مع شعراء كبار، واستلهمت تجارب عالمية مثل بريخت وناظم حكمت، وقدمتُ مسرحًا حواريًا استمر شهورًا، وهو أمر غير مسبوق.

كان حلمي الأكبر أن أصنع مسرحًا للفلاحين، أعيش بينهم، وأبني مسرحًا بسيطًا، وأعلّم الأطفال، وأصنع جيلًا جديدًا. حلمتُ بمسرح حقيقي، لكن الحلم لم يتحقق، لا في مصر، ولا في الكويت، ولا في الشارقة.

من سرق أحلامي؟ من حطّم القيم في داخلي؟ من قتل كل نبض مضيء كان في فكري للنهوض بالمسرح العربي والمصري والأدب العربي والمصري؟

تحية لكم من القاهرة، في هذا اليوم، لعلها تنفع الأجيال

القادمة، ولعلها تصل إلى من يحلم ببناء وطن جديد ويستطيع أن يحققه.

الحلقة ٢٨٦
نقد سعيد صالح وعادل أمام ومحمد صبحى ليس جريمة

كان من المفترض أن يكون لقاؤنا مساء الأمس، لكن لظروف خاصة، (وظروف نفسية واجتماعية)، لم أتمكن من عقد اللقاء. أتيت اليوم بعد جلسة علاج طبيعي، وهو ما يجعلني أشعر بشيء من الإرهاق والنعاس، لكنني أستعيد تركيزي الآن.

نحن اليوم في السادس من أكتوبر سنة ٢٠٢٢، وهي مناسبة عظيمة، أحيّي فيها عظماء الجيش المصري في السادس من أكتوبر، أبناء الفلاحين والعمال، أبناء الفقراء، هؤلاء الذين عبروا القناة سنة ١٩٧٣، الشباب الذين صنعوا معجزة تحطيم خط بارليف وهدمه. (وأيًا كانت النتائج)، فإن الأمر المذهل حقًا هو أن الإنسان المصري استعاد كرامته، واسترد تاريخه في تلك اللحظة بعد سنوات طويلة من الإهانة التي بدأت منذ عام ١٩٦٧ واستمرت حتى عام ١٩٧٣.

هذه الذكرى العظيمة عشنا أيامها بكل تفاصيلها. في مثل هذا

اليوم كنت أجلس على مقهى بمحطة الرمل، ومعي سعد الدسوقي وعادل شاهين، بعد أن تم استدعائي يوم الخامس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ إلى جهاز أمن الدولة، وكانت التهمة الموجهة إليّ أنني أقوم بأعمال مسرحية تحرّض الجماهير على الثورة أو على الاعتراض على حالة «لا سلم ولا حرب» التي استمرت طويلًا في مصر.

في ذلك اليوم كنا نجلس في حالة استياء وغضب مما جرى معنا في يوم وليلة الخامس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ في مقر أمن الدولة بشارع الفراعنة، وكان ذلك بأمر من العميد محمد خضر، الذي طلب منا ألا نتحدث عن الحرب أو ما شابه. في ذلك الوقت كنت أُحضّر ما يمكن تسميته بحرب فنية، وأُعدّ أعمالًا فنية للمقاومة، حتى لا ينسى الناس سيناء، واحتلال سيناء، وما حدث فيها في حرب ١٩٦٧.

إنها ذكرى عطرة، ذكرى الشهداء العظماء الذين استشهدوا في مثل هذا اليوم، أبناء الفلاحين والعمال، هؤلاء البسطاء الذين دافعوا عن مصر عبر تاريخها الطويل.

حديث اليوم يدور حول موضوع مهم، حدث حوله لغط شديد. هذا اللغط كان بسبب ما قيل عن الفنان فكري صادق، الذي تحدث في أحد البرامج وتكلم كلامًا طيبًا عن سعيد صالح، ثم أشيع أنه تحدث عنه بسوء، فظهرت برامج ومقالات عديدة، وحدثت حملة كبيرة، وانتهى الأمر باعتذار فكري صادق لابنة سعيد صالح.

لقد شاهدتُ بنفسي الحديث الذي أجراه فكري صادق، وهو قال فيه بوضوح إن عادل إمام ممثل أعلى، وإن سعيد صالح ليس كذلك. هو أخطأ فقط عندما قال إن سعيد صالح مثل غيره من الممثلين، وهذا غير صحيح. سعيد صالح ممثل كوميدي نجم، والنجم ليس مطلوبًا منه بالضرورة أن يكون ممثلًا عظيم الأداء.

هناك فرق بين النجم والممثل. كثير من النجوم في العالم وفي مصر ليسوا ممثلين عظامًا، لكن الناس تحبهم، وشباك التذاكر ينجح بهم. شباك التذاكر لا يعني أن هذا الفنان ممثل عبقري. قد يكون ممثل في دور صغير أكثر عبقرية في الأداء من نجم

كبير. النجم غالبًا تُصنع له توليفات فنية: شكل جذاب، قصة حب، مشاجرات، عصابة، مؤامرة فنية ينسجها المنتج والمؤلف والمخرج لصناعة نجم وهمي. وقد تحدثتُ عن هذا الأمر من قبل.

سعيد صالح نجم كوميدي لا يتكرر بسهولة. يخرج إلى المسرح فينفجر الجمهور ضحكًا. رأيت هذا بنفسي في العراق، حيث كان الجمهور يكاد يفتك بالمسرح أثناء عروضه. حضرت مهرجانًا هناك، وكانت فرقته تقدم العرض ليلة أو ليلتين، وكان الإقبال غير مسبوق.

سعيد صالح نجم، نعم، لكن عادل إمام نجم، وفوق ذلك ممثل جيد. هذا واقع. عادل إمام نجم وممثل، بالخبرة وبالكم وبالكيف. (سواء اختلفنا أو اتفقنا معه)، فهو موجود وله تاريخ وأعمال متعددة في السينما والمسرح والتلفزيون.

ما حدث هو حملة شديدة على فكري صادق. أنا لا أدافع عنه، لكنه تحدث برأي فني، وربما كان أسلوبه استفزازيًا، لكنه اعتذر. وأنا أرى أن هذا الاعتذار لم يكن ضروريًا. متى أصبح

الرأي الفني جريمة؟ هل يُمنع أن نتحدث عن نجيب محفوظ؟ أو عن طه حسين؟ أو عن سعيد صالح؟ ما هذا الرعب الذي نعيشه؟ هذا هو الإرهاب الحقيقي.

أنتم تمارسون إرهاب الفن. لستم أقل من داعش، بل أنتم «دواعش الفن». تهاجمون كل من يبدي رأيًا.

جاءت ممثلة شابة اسمها عبير صلاح الدين، وقالت إن الأستاذ محمد صبحي آذاها ولم يُنصفها ولم يمنحها دورًا مناسبًا. محمد صبحي نجم كبير وقيمة فنية كبيرة، لكن لديّ عليه ملاحظات كثيرة جدًا. لا يوجد شخص عمل معه إلا واشتكى منه ماديًا. يعطي العاملين معه ملاليم، ولا أحد قال إنه تعامل معه بشياكة أو تقدير مادي حقيقي.

قلتُ هذا الكلام لمحمد صبحي نفسه في ندوة بدار الأوبرا في المجلس الأعلى للثقافة. قلت له: أنت تظلم الكُتّاب، وتعطيهم ملاليم، وتكتب أسماءهم بخط صغير. سألني: من المتحدث؟ قلت له: أنا السيد حافظ. فأنكر ذلك، فقلت له: مثلما حدث مع مهدي يوسف، زميلي في الجامعة، مؤلف «يوميات ونيس»،

والذي كنتُ أنا مخرج إحدى مسرحياته سنة ١٩٦٨، وكان بطلها. كنا نُملي النصوص لأننا لم نكن نملك ثمن الآلة الكاتبة.

ومع ذلك، عندما تأتي للمقارنة بين محمد صبحي وعادل إمام، فقد كتبتُ منذ عشر أو خمس عشرة سنة مقالًا في جريدة الأهرام عن هذا الأمر... كِفّة محمد صبحي في المسرح أعلى من كِفّة عادل إمام. لماذا؟ لأن محمد صبحي صنع مكتبة مسرحية متكاملة، مكتبة مسرحية مصوّرة عالية القيمة كما وكيفًا. أمّا مكتبة عادل إمام المسرحية فهي قليلة نسبيًا، لا تحتوي على الكمّ والكيف نفسيهما، وإن كانت تضم مسرحيات جيدة ومستوية، فيها ممثلون كبار، وإضاءة جيدة، وضحك حاضر، لكن الفكر فيها قليل. الفكر في مسرحيات عادل إمام محدود، بينما الصناعة كبيرة ومتقنة.

أما المسرحيات عند محمد صبحي فالفكر فيها كثير، والضحك فيها أيضًا كثير، فنجح في صناعة معادلة صعبة تركت أثرًا واضحًا في تاريخه وفي التراث المسرحي. هذه مسرحيات كبيرة جدًا ولها رصيد حقيقي، وقد قلتُ هذا الكلام وكتبته في

مقال منذ أعوام في جريدة «الأهرام المسائي»، ويمكن الرجوع إلى مقالاتي في صفحة المسرح منذ نحو عشر أو خمس عشرة سنة.

نحن نعيش حساسية فنية غريبة؛ كأن الحديث عن سعيد صالح أصبح محرّمًا. لماذا لا نتحدث عنه فنيًا؟ سعيد صالح نجم، نجم كبير كوميدي، نعم، لكن هناك نجوم كوميديا كثيرون. غير أن عادل إمام يتفوّق، ويجب أن يتفوّق. لماذا؟ لأن عادل إمام ممثل جيد جدًا، إلى جانب كونه كوميديًا، ولأنه أذكى، ولأنه طوّر نفسه.

في المقابل، اتجه سعيد صالح إلى الانتماء إلى الترانيم والأغاني اليسارية، وإلى الكُتّاب اليساريين، وإلى أغاني الشعب، وكان يريد أن يقوم بدور شبيه بما فعله الشيخ إمام، لكن هذا الدور لم يؤثر كثيرًا؛ لأنه ارتبك بين منطقتين: بين أن يكون ممثلًا للشعب، وممثلًا للطبقة الاستهلاكية أو البرجوازية. واللعب على الحبلين لا يصلح؛ إمّا أن تكون هنا أو هناك.

أعود لأقول إن ما حدث مع عبير صلاح الدين أمر غير لائق. من العيب أن يخرج محمد صبحي ليقول: هذه كومبارس، وهذه كومبارس وتافهة. هذا لا يليق، ولا يصح من فنان كبير. كثير من الممثلين اشتكوا منه، وكلهم تقريبًا اشتكوا من خلفه، صدقني.

حتى الفنان الراحل علي السيد، رحمه الله، الممثل البسيط، وقف ذات ليلة في الاستوديو وخاطبه محتجًا. كان يعمل معه في مسلسل، وقال له: حرام عليك، هذا يعطيني أربعة آلاف، بينما حقي أربعون ألفًا. وكان علي السيد زميله في الدفعة. حكى لي يومها وهو يبكي فجرًا، قال لي: عملت معه كذا وكذا، فصرخ فيّ، وقال لي في النهاية: أنت محظوظ أنك تعمل معي.

في المقابل، رأيت ممثلًا كوميديًا يحكي أنه كان يتمنى العمل مع عادل إمام، وكان أجره مئة وخمسين جنيهًا في الليلة، فقال له عادل إمام: لا، ستأخذ ألفًا وخمسمئة. وهذا الممثل ما زال حيًا، وخرج في حديث قريب يؤكد هذا الكلام.

هذا هو الفارق بين عادل إمام ومحمد صبحي. عادل إمام لا

يدفع من جيبه، لكنه يجعل المنتج يدفع، وهو كريم مع الممثلين الذين يعملون معه. أما محمد صبحي، فهو المنتج، فيمسك المال، ويُمسكه بقسوة على الناس. نعم، هو فنان كبير، وأستاذ كبير، وصاحب طاقة عظيمة، لكن المال عنده «قطّارة».

رأيتُ بنفسي حال مهدي يوسف، المؤلف الكوميدي العظيم، كانت ظروفه المادية سيئة للغاية. سألته: كيف يتركك هكذا؟ كم يعطيك؟ فقال لي: مبلغ هزيل. قال لي إن محمد صبحي كان يعطيه ألفًا وخمسمئة جنيه في الحلقة، بينما سعر الحلقة وقتها في السوق كان ستة آلاف جنيه. قال لي: يعطيني ألفًا ونصف فقط.

هذا هو الرصيد الذي سيبقى: الفن الجميل، والضحك الهادف. أما حين تشتكي عبير صلاح الدين، وهي أصغر منه سنًا ومكانة، وحتى لو كانت كومبارس أو ممثلة متكلمة، فليست الشكوى وحدها هي القضية. صدقني، كل من جلست معهم، وكل من صاروا نجومًا بعد ذلك، اشتكوا منه. هذا يعني أن هناك خطأ.

قلتُ له هذا في ندوة: إنك لا تعطي المؤلفين ولا الناس

حقوقهم. سألني: من هم؟ قلت له: مهدي يوسف، حتى اسمه تضعه بخط صغير. فبدأ يبرر. وأنا رأيي أن التبرير للسلوك الخاطئ خيانة، ونحن أكثر شعب يبرر، وربما أسوأ شعب في هذا الباب.

أنا لا أقرأ الآن لأن نظري ضعيف، وأحتاج إلى نظارة جديدة. أعذروني على ذلك.

في النهاية، أرجوكم اسمحوا للناس أن تتكلم. ما حدث مع فكري صادق كان ظلمًا. عندما ناقشتُ سلوكًا خاطئًا حدث معي، هاجموني هجومًا شرسًا. أنا لا أسبّ أحدًا. أقول: فلان فنان جيد، لكن فعل معي كذا وكذا. لماذا يُمنع الكلام؟

عندما تحدثتُ عن سناء شافع، ثارت الدنيا. أنا فقط حكيت ما حدث معي، وهو كان حيًا وقتها. وعندنا قاعدة غريبة: إذا مات الإنسان نقول «الله يرحمه» ولا نذكر شيئًا. لكن الله قال: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره) (الزلزلة).

أنا لا أهاجم أحدًا، أنا أروي ما حدث معي. لذلك أرجو من

محمد صبحي ألا يهتز كيانه بسبب شكوى ممثلة شابة. عبير صلاح الدين قالت ما حدث معها، وفكري صادق فنان مظلوم، لم يأخذ فرصته كاملة، وهو صاحب طاقة كبيرة، تحدث عن سعيد صالح وعن عادل إمام، مدح عادل إمام، وقال رأيه في سعيد صالح، فقامت الدنيا.

أيها المتشددون في الفن، أيها الإرهابيون، اتركوا الناس تتنفس، دعونا نتكلم. حتى في الفيديو تريدون خنق الناس. دعوا الناس تحكي ما حدث معها، وتروي مذكراتها، وإلا انتشر الفساد. وأخطر أنواع الفساد هو فساد النفوس، وفساد الأفكار، وفساد الأوطان، وفساد الروح، وفساد المعرفة.

نحن نعيش وسط كيانات فاسدة، فكيف نتنفس؟ كيف تتحملنا السماء؟ هذا الكم من الشر هو ما يجعل غضب الطبيعة، والزلازل، والأعاصير، والجفاف، تعبيرًا عن غضب السماء. أنا لست واعظًا، لكن كثرة أفعالنا الهزيلة تجعل الغضب مفهومًا.

أرجو أن نرحم بعضنا بعضًا.

الحلقة ٢٨٧
انقذونى من لصوص التاريخ

اليوم هو يوم الخميس السادس من أكتوبر، وأكتوبر عندي شهر عزيز وغالٍ، وكانت أيام أكتوبر أيامًا حافلة وعظيمة. كانوا هم على الجبهة يقدمون السلاح، ونحن كنا في الجبهة الداخلية نقدم المسرح. كنت أقدم مسرحًا في السادس من أكتوبر وفي المقاومة، واستخدمت أشعار زكي عمر، واستخدمت أشعار محمود درويش، وسميح القاسم، وعبد الرحمن الأبنودي، واستخدمت أشعار المقاومة، كما استخدمت أشعار سيد حجاب، واستخدمت أشعارًا كثيرة.

كان هناك شاعر في الإسكندرية اسمه غراب (وكان شاعر عامية جيدًا). وفي السادس من أكتوبر، أقول لكم أولًا: نعيمًا. ذهبت فحلقت ذقني وشعري، لأنني كنت قد خرجت في اليوم السابق بذقني وشعري، وكلمني أحد تلاميذي في الهاتف وقال لي: إنني لم أحلق، وسألني لماذا تركت شعري، فقلت له إنني منذ نحو خمسة عشر يومًا لم أضع يدي على ذقني ولا على

شعري، فقال لي: اذهب واحلق. فنزلت وحلقت (لكي أبدأ من جديد)، وأصبح شكلي جيدًا، والحمد لله.

وبالعصا أيضًا لا توجد مشاكل، يجب أن نتعامل مع العكاز على أنه أمر طبيعي، فالحياة تسير وجميلة، ولكل سن جماله.

اليوم سأتحدث عن قضية. قضيتي اليوم نوع من السرقات؛ أنا أُسرق، يا قوم. يسرقونني، يسرقون تاريخي. تقول لي: يسرقون تاريخك؟ أقول لك: نعم. نحن في مصر أول بلد اخترعت سرقة التاريخ، فمصر هذه الأمة العظيمة أول بلد يسرق التاريخ.

كيف أقول لك؟ منذ أيام الفراعنة، يأتي فرعون يعمل ويبني وينجز، ثم يأتي الفرعون الذي بعده، فيجد المعابد والتاريخ مكتوبًا، فيقول لهم: أزيلوا عبارة (تم إنجاز كذا وكذا في عهد الأمير كذا أو الملك كذا)، واكتبوا أن هذا حصل في عهدي.

وتاريخي يُسرق وأنا على قيد الحياة، فماذا سيفعلون بي عندما أموت؟ (وأنا قريب من الموت، قريب، أودع وأنتظر). يسرقون تاريخي، وكيف يسرقون تاريخي؟ سأقول لك كيف.

المغرب له فضل كبير عليّ، كبير جدًا، وما كُتب عني في المغرب يفوق الوصف. النقد الكبير هناك، ولهذا أعود إلى الموضوع: لماذا أنشر على وسائل التواصل ما أنجزته في مسرح الطفل، وما أنجزته في المسرح، من مسرحيات هنا وهناك، في الكويت، وفي العراق، وفي المغرب، وفي تونس، وفي مصر؟ لماذا أفعل ذلك؟ لأنني أُسرق، يسرقون تاريخي.

كيف يُسرق تاريخي؟ يُسرق من جهتين.

أعصابي تتعب مما يحدث، فأنا أعيش في واقع كأنه برميل رائحته قذرة، في مستنقع. انظر، خذ عندك: ظهر شخص في دولة من دول شمال إفريقيا، دولة أعتز بها جدًا، جامعاتها ممتازة، وأساتذتها الجامعيون على مستوى رفيع. هذا الشخص دكتور جامعي.

وسأحدد قليلًا حتى لا يُتهم شمال إفريقيا كله، هذه الدولة هي الجزائر. والجزائر عندي عظيمة وعلى رأسي، ولها فضل كبير عليّ. الجزائر كانت أول من احتضن تطوير فكرة الرواية عندي، والطاهر وطار أثّر فيَّ أكثر من نجيب محفوظ، وهذه

حقيقة، وكتبت ذلك من قبل، ولم أكن أجامل. الطاهر وطار أثر فيَّ ككاتب أكثر من نجيب محفوظ، وكتبت هذا. وعندما كلمته في الهاتف أنا والمستشرق الروسي فلاديمير شغال من الكويت في الثمانينيات، من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانت مكالمة دولية، وكنت أسعد إنسان في الدنيا أن أسمع صوته.

ما الذي حدث؟ ظهر فجأة من الجزائر دكتور جامعي، تواصل معي منذ نحو أربع أو خمس سنوات، وقال إن هناك دراسات جامعية تُكتب عني. قلت: حسنًا، فالجزائر صاحبة فضل كبير عليّ، منذ أيام الدكتور صالح بوكية، وليلى بن عائشة، والدكتورة جميلة مصطفى زكاي، والدكتور مصطفى، والدكتور مفتاح خلوفة، والدكتور بيو خلفه، والدكتور نادي سعدون، والدكتور سعيد بوجين، والكاتب والناقد والمفكر، وغيرهم كثيرون من الجزائر أصحاب فضل عليّ.

لكن هذا الشخص ظهر لي متخفيًا، ولم أذكر اسمه حتى لا أشهّره، لكنه ستجدون له كتابات عن نفسه، ويكتب مسرحيات

لم تُمثل، ولا مسرحية واحدة منها عُرضت. فجأة وضعني في رأسه.

وفجأة بدأ يعمل مسرحيات قصيرة جدًا. وأنا كنت قد كتبت مشروع المسرحيات القصيرة جدًا متأثرًا بصامويل بيكيت، وذلك في أواخر الستينيات. قلت إنني سأكتب مئة مسرحية قصيرة، وبدأت الكتابة، ونفذت على المسرح. أخرجت مسرحيتين في قصر ثقافة شبين، في قاعة الأفراح، التي حوّلتها إلى مسرح، وكانت الكراسي متحركة، فكانت تجربة عظيمة.

جعلت المسرح من الداخل تُعرض فيه المسرحية الواحدة لمدة سبع دقائق، ثم تُعرض بممثلين آخرين وإخراج ثانٍ، ثم بممثلين ثالثين وإخراج ثالث، ثم بممثلين رابعين وفرقة أخرى وإخراج رابع. أخرجت المسرحية أربع مرات، وهي سبع دقائق فقط، وقسمت المسرح من الداخل إلى أربعة أركان: أمام، وخلف، ويمين، ويسار، لأن الكراسي متحركة، والمسرح كان فارغًا، والجمهور يختار. وكانت كل

المسرحيات تبدأ في وقت واحد وتنتهي في وقت واحد، سبع دقائق فقط.

وكانت التجربة مذهلة حقًا. اسم المسرحية كان «عربة الله»، وبدأت أعمل هذه المسرحيات القصيرة جدًا، ونُشرت سنة ١٩٧٠، وأكرر: سنة ١٩٧٠.

نُشرت هذه الأعمال سنة ١٩٧١. وإلى شباب المستقبل القادم أقول: ابحثوا في مجلة «الثقافة»، المجلة التي كان رئيس تحريرها الدكتور عبد العزيز عبد العزيز، وكان إبراهيم سعفان مدير التحرير فيها. نشرتُ سنة ١٩٧١ ثلاث مسرحيات قصيرة جدًا في صفحة واحدة من مجلة «الثقافة». وفي سنة ١٩٧٢ ستجدون أيضًا مسرحية ثانية وثالثة منشورة في المجلة نفسها. نُشرت عدة مسرحيات في عهد عبد العزيز الدسوقي، وكان إبراهيم سعفان مدير التحرير.

وفوجئت بالأخ الجزائري، وبدأت المشكلة. ثم نشرتُ سنة ١٩٧٦ في مجلة «صوت الخليج» في الكويت نحو سبع أو ثماني مسرحيات قصيرة جدًا. أقول هذا للشباب حتى يعرفوا

تاريخي وتاريخ غيري من الناس، لأن هناك ضلالًا وزيفًا وكذبًا وقلة أدب على تاريخ الناس. في مجلة «صوت الخليج» سنة ١٩٧٦ نشرتُ سبع أو ثماني مسرحيات في أعداد المجلة الصادرة من الكويت.

ثم فوجئت بأن هذا الكاتب، أو هذا الكُتيّب، أو هذا الأستاذ الجامعي الذي تُكتب عنه رسائل جامعية، يدّعي أنه أول من أسس المسرحيات القصيرة جدًا في الوطن العربي. وهو من مواليد سنة ١٩٦٢. (يعني عندما كتبتُ أنا هذه الأعمال كان عمره ثماني سنوات). عندما كتبتُ ونشرتُ كان طفلًا يلعب الكرة في الشارع.

مجلة «الثقافة» التي كان رئيس تحريرها عبد العزيز الدسوقي سنة ١٩٧١، ستجدون فيها في أعداد ١٩٧٢ أيضًا مسرحيات أخرى منشورة. كانت هناك عدة مسرحيات منشورة في عهده، وكان إبراهيم سعفان مدير التحرير.

ماذا حدث بعد ذلك؟ قال الأخ إنه لم يكن يعلم، ثم وجد دكتورًا مصريًا ضالًا. (ونحن في مصر لدينا جيش من الضالين، ولدينا

أيضًا شرفاء وقامات وعظماء لا يبيعون التاريخ ولا يبيعون شيئًا، لكن لدينا كذلك جيشًا من النصابين). تاريخ عمره سبعة آلاف سنة في سرقة التاريخ.

هذا الأستاذ الجامعي في أحد أقسام جامعة حلوان يكتب كتابًا يقول فيه إن فلانًا الجزائري هو أول رائد للمسرحيات القصيرة جدًا. يقول لي في الهاتف: أنا كتبتُ عن فلان الجزائري. قلت له: وأين تاريخي أنا؟ فقال: (أنا لا أعرف). قلت له: أُمرِّر ماذا؟ أُمرِّر ماذا؟

يا لصوص، أنتم تسرقون تاريخي.

يا قتلة.

أستاذ جامعي ومؤرخ مسرحي في جامعة حلوان يكتب كتابًا عن كاتب جزائري معروف فقط بالضجة التي يصنعها حول نفسه، ويُدرِّس في الجامعة، وتُكتب عنه أعمال، وأعماله لم تُمثَّل، ثم يكتبون عنه كرائد. هذا لأن المؤرخ المسرحي قال ذلك، الأستاذ الجامعي الكاذب.

(معلش، أنا انفعلت قليلًا).

دعونا نترك هذا الآن، وننتقل إلى السرقة الثانية، إلى المصيبة الثانية.

صديقي الشاعر الكبير، والمثقف الجليل الكبير، مدير ندوة أسبوعية في قصر ثقافة الأنفوشي، الأستاذ الشاعر والناقد الموهوب الكبير، عضو مجلس الاتحاد، صديقي الأستاذ جابر بسيوني، أقام ندوة قدم فيها صديقي أيضًا الدكتور فوزي خضر، الشاعر الكبير والباحث الكبير.

في الندوة قيل إن فوزي خضر هو أول من أسس كتابة المسرحية القصيرة جدًا، وضُرب المكتب تأكيدًا على ذلك. وهذه الندوة مسجلة وموجودة على الإنترنت.

يا جابر بسيوني، أنت تمحو تاريخي. سنة ١٩٧١ عندما نشرتُ، أين كنتَ أنت؟ وكان فوزي خضر صديقي معي في ذلك الوقت، وكان يعمل معي في مدرسة النجاح. لم أره كتب مسرحًا، ولم أره شرح مسرحية.

أنتم تسرقون تاريخي. الذي في مصر يسرق تاريخي، ويقول إنه الأول، ويحلف ويضرب على الطاولة، ويقول إن فوزي

خضر هو أول من أسس المسرحية القصيرة في العالم العربي وفي مصر. هذا كلام موثق؟ (موثق يا كذاب؟)

أين التاريخ؟ هاتوا ما يثبت. أين نُشر؟ في أي مجلة؟ وفي أي سنة؟

أنتم تمسحون تاريخي وأنا على قيد الحياة، فماذا ستفعلون بي عندما أموت؟ هل ستأخذون نصوصي كلها وتسرقونها وتدّعون أنكم من كتبها، ويضيع التاريخ؟

المصريون يشاركون في هذا. الأستاذ الجامعي الجزائري الذي لا أذكر اسمه حتى لا أشهّره يسرق، والأستاذ الجامعي المصري الضالي في جامعة حلوان، المؤرخ المسرحي، يكتب كتابًا عن ريادة المسرحيات القصيرة جدًا في الوطن العربي، وكأنني لم أكن موجودًا.

لماذا أكتب دائمًا أنني أنجزت كذا وكذا؟ ليس استعراضًا، بل لأن عندنا أنجاسًا في الوسط الفني والأدبي، والشرفاء قلة. أنجاس يسرقونني.

هناك كاتب كتب في مجلة «الحوار المتمدن»، اسمه سيد

حافظ، كتب ثلاث أو أربع مسرحيات غريبة جدًا بعناوين غريبة، ولم تلقَ نجاحًا، فسافر إلى الكويت، وعمل هناك عدة سنوات، وكتب مسرحية أطفال، ثم عاد إلى القاهرة، وأنشأ دار نشر خاصة، وخسر أمواله كلها، ثم عاد مرة أخرى. هذا تاريخي.

وأين التسعون مسرحية التي كتبتُها للمسرح التجريبي؟ وأين المسرحيات التي قُدمت في العراق، وفي الكويت، عشر مسرحيات للأطفال، واثنتان للكبار، والتي قُدمت في تونس، وفي المغرب، وفي الجزائر، وفي العراق؟ كل هذا يُمحى.

كلاب.

خونة.

هذا البلد مليء بالخونة وتزوير التاريخ، والوطن العربي كله أصيب بالعدوى نفسها. حضرت مهرجانًا في دولة عربية، وكنت عضو لجنة تحكيم، وشاهدت عشر مسرحيات، تسع منها مسروقة. في دولة خليجية، تسع مسرحيات مسروقة، والبجاحة أن السارق يكتب اسمه عليها، ومعه دكاترة وكتاب

خليجيون.

وقال لي الدكتور مصطفى رمضاني إن شابًا مغربيًا سرق مسرحية للكاتب الكبير أمين بكير، وقدّمها على أنها من تأليفه. ولولا أن مصطفى رمضاني قرأ المسرحية لقالوا إنها من تأليف هذا الشاب.

نحن ابتُلينا في هذه الأمة باللصوص. أنا أكتب التاريخ لشباب قادم، لشباب المستقبل. أرجوكم لا تثقوا في كل ما يُكتب، ابحثوا وفتشوا حتى تصلوا إلى التاريخ الحقيقي. هذا الوطن ابتُلي، وهذه الأمة ابتُليت بسارقي الأدب، وسارقي الإبداع، وسارقي الفرح، كما ابتُليت بسارقي قوت الفقراء، الذين شربوا دماءهم.

أنا منفعل، وحزين. حزين على هذا الوطن، وحزين على ما يحدث.

ألتقي معكم الأسبوع القادم إن شاء الله. تحية لأكتوبر، وتحية لرجال أكتوبر، وتحية للفنانين العظماء في أكتوبر، وتحية لمحمد نوح، وتحية لزكي عمر، وتحية لكل من عمل من أجل

أكتوبر، وتحية لعبد الرحيم منصور، وبليغ حمدي، وتحية لكل من غنّى لأكتوبر، وتحية لعبد الحليم حافظ، وأم كلثوم، وكل من غنّى لأكتوبر.

تحية لمن ماتوا من الجنود العرب على الجبهة المصرية، سواء كانوا من العراق، أو من الكويت، أو من الأردن، أو من سوريا. تحية لشهداء مصر العظام في السادس من أكتوبر. تعظيم سلام لهذا الوطن، لأبناء الفقراء والعظماء من الفلاحين في امتداد الوطن العربي.

أنحني إجلالًا لهم، وأقول: ارفعوا رؤوسكم، فغدًا أجمل، إن شاء الله، غدًا أجمل بشباب مصر وشباب الوطن العربي القادم.

تحياتي

السيد حافظ – السادس من أكتوبر

الحلقة ٢٨٨
جائزة نوبل

مساء الخير ،اليوم هو الأربعاء.

عندنا لقاءات يومي الأربعاء والخميس، واليوم هو موعدنا. وقد قدمت الموعد قليلًا، ساعة تقريبًا، فجعلته الساعة الحادية عشرة، لأن الشتاء قد جاء، فقلت: نجعلها الساعة الحادية عشرة.

اليوم الأربعاء، الثاني عشر من أكتوبر ٢٠٢٢.

لم يأتِ أحد بعد، لكنني أريد أن أبدأ. أريد أن أتحدث اليوم في موضوع مهم جدًا.

الموضوع الذي سأتحدث فيه اليوم أقدمه لكم من القاهرة.

السيد حافظ، الأربعاء ١٢ أكتوبر ٢٠٢٢.

تم الإعلان عن جائزة نوبل، والناس في مصر انقسموا؛ هناك من يهاجم الجائزة، وهناك من يقول: متى يظهر كاتب مصري جديد؟

هل نجيب محفوظ هو آخر من حصل على الجائزة؟

وهل مصر افتقدت نجيب محفوظ؟

ومن الذي يستحق الجائزة؟

بصراحة، الموضوع شائك جدًا.

جائزة نوبل... جائزة نوبل.

أهلًا وسهلًا، أنا لا أرى من دخل الآن...

أهلًا بكِ...

آه، الكاتب الكبير الأستاذ رفقي بدوي، صديقي العظيم، في مصر.

مساء الخير يا أستاذ، المبدع العظيم، الشجاع.

السؤال: لماذا لا يوجد في مصر من يحصل على نوبل بعد نجيب محفوظ؟

نجيب محفوظ قيمة أدبية كبرى، وقيمة ثقافية وأدبية كبيرة جدًا.

ولكن الكلام الذي سأقوله الآن سيُغضب كثيرين.

نجيب محفوظ، في كل إنتاجه الأدبي، لم يذكر القضية الفلسطينية لا بالسلب ولا بالإيجاب.

نجيب محفوظ، في كل إنتاجه الأدبي، لم يذكر حرب الاستنزاف، ولم يذكر المقاومة، ولم يذكر أن إسرائيل سحقتنا في ١٩٦٧، ولم يذكر أنها سحقت الفلسطينيين.

لم يتطرق إلى هذه القضايا أبدًا.

ومع ذلك، لقي حظوة واهتمامًا كبيرًا لدى اليسار واليمين الفلسطيني، واليسار واليمين المصري، واليسار واليمين في كل أرجاء الوطن العربي.

فحصل على الجائزة لأنه لم يأتِ على سيرتهم لا بمدح ولا بذم.

لم يهاجمه أحد، ولم يقل له أحد: أنت تجلس مع السفير الإسرائيلي بينما يُذبح الفلسطينيون.

لم يهاجمه أحد، ولم يقل له: هذا خطأ، وأنت قيمة كبيرة وأستاذ كبير.

حصل على نوبل، وبعد ذلك لم يحصل عليها أحد.

هل جائزة نوبل هذه الجائزة العظيمة، ذات الاسم الكبير، تستحق كل هذا التقديس؟

نعم، تستحق، لأنها جائزة مالية ضخمة جدًا، ولا توجد جائزة تضاهيها.

هي مهمة ماديًا جدًا للأديب.

لكن إذا نظرتَ إلى جميع من حصلوا على جائزة نوبل، فأنا

أقول إن ٩٠٪ منهم مستواهم عادي، جيد، لكنه ليس ممتازًا ولا عبقريًا.

وفيهم من هم سيئون جدًا في الكتابة.

مرة حصل عليها كاتب، لا يعرف لغته إلا أهل مدينته، مدينة عدد سكانها عشرة أو اثنا عشر مليونًا، ومع ذلك حصل عليها.

كيف تُمنح؟

هناك خفايا لا نعرفها.

نعرف بعضها فقط.

نعرف أن هذه الجائزة تُمنح لمن يكتب أشياء تُرضي كبارًا خفيين، لا نراهم، يتحكمون في العالم، ويتحكمون في الثقافة، ويتحكمون في كل شيء.

عندما أُعلنت جائزة نوبل الأخيرة، أول من هاجم الكاتبة التي حصلت عليها كان الناقد والكاتب والمثقف الكبير الأستاذ أمل سالم.

(معذرة، أنا قادم من جلسة علاج، فدعوني أشرب قليلًا من الماء).

أول من كتب الأستاذ أمل سالم، وكذلك الأستاذ رفقي بدوي، وتحدثوا عن ذكر الإسرائيليين، ودور السلام مع إسرائيل، مع فاروق شوشة، في حديث سابق.

والذي يريد أن يطبع، فليطبع، والذي يريد أن يفعل شيئًا فليفعله، كل إنسان حر.

نجيب محفوظ سلك طريقًا، وحصل على الجائزة.

هل كان الوحيد الذي يستحقها؟

لا.

كان هناك من هو أفضل منه.

يوسف إدريس كان يستحقها.

توفيق الحكيم كان يستحقها.

وغيرهم كثيرون.

لكن نجيب محفوظ كان أذكى.

كان فهلويًا، ابن بلد، يعرف كيف تُدار الأمور.

نجيب محفوظ أمهر كاتب قلد الأدب الأوروبي الحديث، وقدمَه

بنكهة مصرية.

قلد الرواية الأوروبية الحديثة، لكنه صاغها بطعم مصر.

كان صنايعيًا، أستاذًا في الصنعة.

نجيب محفوظ كتب ما يقرب من ١٢٠ فيلمًا سينمائيًا، كثير منها مع صلاح أبو سيف، وبعضها لم يُكتب اسمه عليه.

هذا ما قاله فريد شوقي في تسجيل موجود على يوتيوب.

نجيب محفوظ أسس مدرسة تقول لك:

كن موظفًا ملتزمًا، مطيعًا، هادئًا، محترمًا، بلا موقف سياسي، تحصل على جائزة عالمية.

هل هو موهوب؟

نعم.

هل هو عبقري؟

هو صنايعي كبير.

وعندنا صنايعية كثيرون في الكتابة.

هناك من يمسك الرواية ويصنعها صناعة جيدة جدًا:

يعرف الحبكة، يعرف الشخصية، يعرف كيف يركب الحدث، ويخرج عملًا جيدًا، مثل أي حرفة متقنة.

لكن هل هذا هو الإبداع؟

هذا مرحلة من مراحل الإبداع.

الأستاذ أمل سالم فتح الباب على مصراعيه ببوست على فيسبوك، فقامت الدنيا:

هذه ضعيفة، كيف حصلت على نوبل؟

وأنا أقول: ٩٠٪ ممن حصلوا على نوبل، لا نعرف كيف حصلوا عليها.

نوبل مثل الجوائز العربية.

إذا أردت أن تفهم كيف تُمنح نوبل، فانظر كيف تُمنح الجوائز العربية.

جائزة البوكر مثلًا:

جائزة عظيمة.

لكن كم كاتبًا حقيقيًا يفوز؟

٣٪، ٤٪، ٥٪ فقط.

هناك من هو أفضل، لكن لا يملك المال لإرسال روايته إلى لندن بالبريد.

إرسال الرواية كان يكلف ألف جنيه، واليوم أصبح آلافًا.

الذي لا يملك المال، لا يستطيع المنافسة.

إذن، من يحصل على الجائزة هو من يملك القدرة المالية، سواء كان موهوبًا أو نصف موهوب.

هل البوكر طاهرة اليد؟

لا، والله لا.

وأقول هذا بعد تجربة شخصية، في جلسة مع كاتب كبير في الكويت، هو طالب الرفاعي، كاتب موهوب جدًا.

قال لي: كنت رئيس لجنة تحكيم البوكر، وجاءني اتصال من الدكتور جابر عصفور.

قال له: عندك فلانة الفلانية، نجحوها.

قال: يا دكتور، أنا لست وحدي في اللجنة.

قال له: أنا قرأت الرواية، وهي جيدة، نجحوها.

وهنا تتكشف الأمور.

هذا يحدث فعلًا.

قال لي إن طالب الرفاعي إنسان نقي جدًا، فارس، أخلاقه أخلاق فرسان، كاتب حقيقي، ومهموم بالكتابة منذ صغره.

فقال لي إنه استفز الأمر، وقال لهم: لا بد أن أطبق القانون، من ينجح ينجح، ومن لا ينجح لا ينجح.

وتلك السيدة لم تحصل على الأصوات.

قال لي إن جابر عصفور استطاع أن يتجاوزني، وأن يلعب في عقول أعضاء اللجنة.

واجتمعنا مرة واثنتين وثلاثًا، ولأول مرة في تاريخ البوكر نجلس سبعًا وثمانيًا وتسع جلسات متتالية، ويتأخر إعلان النتيجة، ويدخل الإنجليز، وتحدث مشاكل، فقط لأنه يريد أن يمنح تلك السيدة الجائزة.

هل جابر عصفور وحده المسؤول؟

لا.

جابر عصفور قيمة عظيمة، وهناك قيمة عظيمة أخرى في دولة عربية أخرى، ترفع السماعة وتقول: نجّحوا فلانة.

ومن لجنة التحكيم؟

هاتوا أرقام هواتفهم.

وهذا يحدث في البوكر.

وأنا أصدق طالب الرفاعي تمامًا.

وأقول هذا عن معرفة وتجربة شخصية.

جابر عصفور أستاذ كبير، وقرأت له كتبًا كثيرة، واستفدت منها، وهو صاحب مشروع ثقافي ضخم، أصدر مطبوعات، وصنع أشياء عظيمة، وكان وزير ثقافة، ورجل تنوير ورائد.

لكن السلوك الإنساني شيء آخر:

(نريد أن ننجّح فلانة، نريد أن ننجّح فلانة).

وهذا لا يحدث في البوكر فقط.

كان هناك أستاذ اسمه الدكتور حامد أبو أحمد، رحمه الله.

الدكتور حامد أبو أحمد كان مسؤولًا عن المسابقات الأدبية

والجوائز في اتحاد الكتّاب في فترة من الفترات، قبل مجيء أخينا المبدع الكبير والناقد الكبير علاء عبد الهادي.

لا أعرف الآن ما الذي يحدث، لكنني أحكي لكم واقعًا عشته، وكان علاء عبد الهادي طرفًا فيه.

الدكتور حامد أبو أحمد كان أستاذًا مؤدبًا، جنتلمان، راقيًا، مثقفًا، ناقدًا كبيرًا.

قدّمت ثلاث مسرحيات، لا رواية، بل ثلاث مسرحيات كاملة.

وضعتها في مظروف، وكتبت عليه:

يا جاد، فضّ هذا المظروف وقدّمه للجنة.

لم أفز.

اللجنة لم تخترني.

بعد سنة، ذهبت إحدى تلميذاتي، التي أحبها جدًا، وأصبحت كاتبة معروفة، الأستاذة سعاد سليمان، وقدّمت أوراقها إلى اتحاد الكتّاب.

قالوا لها: هاتي النسخ.

فتحوا الدولاب، فأخرجوا النسخ القديمة، وأخرجوا مظروفي كما هو.

كان عليه ورقة ملصقة مكتوب فيها اسمي، والمظروف مغلق بالدبّاسة، لم يُفتح، ولم يُقرأ.

أي إن الدكتور حامد أبو أحمد منح جوائز دون أن يفتح المظاريف.

قلت: هذا غير معقول.

وقالت لي سعاد سليمان إن المظروف كما هو.

قلت لها: ربما يكون حظك أفضل من حظي.

علاء عبد الهادي صديقي جدًا، نختلف في سياسات إدارة الاتحاد، لكن هذا موضوع آخر.

هو صديق عمر، وكاتب وناقد كبير.

وكان عضوًا في لجنة التحكيم.

قال لي إنه قال للدكتور حامد أبو أحمد: سأقرأ كل الأعمال وأسجلها.

فقال له: لا، أنت لن تقرأ.

قال: إذًا ماذا أفعل؟

قال له: تنظر إلى الأسماء، المعروف تأخذه، وغير المعروف تتركه، اختر ثلاثة أو أربعة وانتهِ.

فقال علاء عبد الهادي: لا، هذا لا يصح، وأنا أعتذر.

واعتذر بالفعل.

أنا أقول هذا الكلام، وأعلم أنني أزعج كثيرين، لأن الناس تحب أن تداري وساختها.

وأنا لا أكشف الوساخة شماتة، ولا فضيحة، وإنما من أجل الجيل القادم.

من أجل الشاب الذي يأتي بعدنا، حتى لا يكرر وساختنا.

أنا أحكي لكم وساخة جيلنا حتى لا تكونوا مثلنا.

لا تكونوا مثلنا أبدًا.

أنا أتبرأ من أفعال هذا الجيل، ومن خيانته للأمانة العلمية، والأمانة الأدبية، والأمانة الثقافية.

وحكى لي الأستاذ محمد توفيق، المخرج العظيم، رحمه الله، وكان مخرجًا إذاعيًا ومسرحيًا عبقريًا، وكان مديرًا لمسرح الحكيم، الذي سُمّي بعد ذلك بأسماء عدة.

كانوا يغيرون أسماء المسارح بلا احترام للتاريخ.

خيانة حتى الذكرى.

خيانة التقدير.

توفيق الحكيم فارس، اختلفتَ معه أو اتفقتَ، لكنه مفكر، وصاحب جهد جبار.

وقال لي الأستاذ عزيز خيون إن محمد مندور، وعلي الراعي، وغيرهم، كانوا يأتون قبل الصيف، يأخذون نصوص المؤلفين بالعشرات، مقابل مبالغ تتيح لهم قضاء الإجازة.

وهم أنفسهم الذين كتبوا عن نص محمود دياب:

(الأرض لا تنبت الزهور: نص ضعيف ولا يصلح).

والتقرير موجود.

وهم أنفسهم الذين ذبحوا علي سالم، فذهب إلى إسرائيل.

هذه خيانات.

خيانات حقيقية.

وأنا عشت مثلها شخصيًا.

في الكويت، شاركت مع صديقي الشاعر الكبير محمد يوسف في مسابقة.

حصل هو على الجائزة الأولى، وأنا لم أصلح حتى للثانية أو الثالثة.

وفي العام التالي فاز هو أيضًا.

سألت: من اللجنة؟

أسماء مصرية.

يريدون أن يميتك وأنت موهوب.

وبعد عشرين سنة من موت محمود دياب، يكتبون اسمه على باب المسرح القومي، ويقولون: عرض لمحمود دياب.

بعد أن مات واستراحوا منه.

هذا هو سلوك الجوائز.

أما نوبل، فهي مسخرة.

تُمنح أحيانًا لمن لا علاقة لهم بالكتابة.

وكما قال برنارد شو، ورفض استلامها:

(إنها لا تستحق).

الجوائز ليست مقياسًا.

هي أرزاق.

تأتي لهذا أو ذاك.

هناك من أخذها ولم يكتب شيئًا ذا قيمة.

فلا تضخموا الأمر.

شكرًا للأستاذ أمل سالم، لأنه فتح الباب.

والكاتب الحقيقي يكتب، سواء نجح أو لم ينجح.

وأقول لكم: لا تظنوا أن الكاتب في أوروبا يعيش في نعيم.

هناك من يعيش على الفتات.

إما أن تختار المهنة، أو تختارك هي، لتقدم فكرًا، أو مشروعًا، أو أملًا للحياة.

تحياتي لكم جميعًا.

من القاهرة، من الهرم.

تحياتي، حب بلا حدود.

السيد حافظ، العبد الفقير إلى الله.

الحلقة ٢٨٩
هل الكتاب ورثة الأنبياء؟

مساء الأمل، مساء المحبة، مساء الورد.

مساء الخريف الجميل الذي يأتي إلينا بهواء رطب حنون، ذلك الحنان الذي افتقدته البشرية في هذه الأيام العصيبة اقتصاديًا وثقافيًا ومعنويًا واجتماعيًا.

مساء الأمل في غدٍ أفضل، في عالم أفضل، في ظروف أجمل إن شاء الله.

اليوم هو يوم الخميس الثالث عشر من أكتوبر، وعنوان الحلقة اليوم يقع في نفس المجال الذي تحدثت فيه بالأمس، حول سؤال: هل الكُتّاب ورثة الأنبياء؟ وهل الشعراء ورثة الأنبياء؟

أود أن أحكي لكم، قبل أن أنسى، عن كتاب مهم حصلت عليه اليوم من صديقي، المخرج الكبير الجميل عباس أحمد.

هذا الكتاب بعنوان «الشخصيات المصرية في المسرح»، تأليف عباس أحمد، وهو كتاب مهم بالفعل.

عباس أحمد، الفنان العراقي الكبير، يقدم في هذا الكتاب

مجموعة كبيرة من الكُتّاب والمخرجين والممثلين الذين تعاون معهم أو تعاونوا معه، وكتب لي فيه إهداء يقول فيه:

«إلى السيد حافظ، وهو يقاسمني عمري الفني والأدبي والفكري، أهديك ثمرة حياتي وسفري».

الكتاب صدر عن دار نشر على نفقة المؤلف الخاصة، ونُشر في مدينة بورسعيد، مدينته، بعد أن مكث هذا الكتاب سبع سنوات في هيئة الكتاب المصرية، ولم يُنفَّذ، ولم يُرد عليه لا بالموافقة ولا بالاعتذار، ثم نُقل إلى الهيئة العامة لقصور الثقافة، وظل أربع سنوات أخرى دون أن يُنظر فيه.

وبعد أحد عشر عامًا كاملة، اضطر الأستاذ عباس أحمد إلى طباعته على نفقته الخاصة.

قد يقول قائل: أنت ممسك بالكتاب وفرحان به لأنه كتب عنك.

لا، لم يكتب عني، وهو حر، كتب عن كثيرين ولم يكتب عني، وهذا حقه الكامل.

لكنني أتحدث عن كتاب مهم، كتبه مخرج مهم، في مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ هذا البلد، يوثّق فيه قامات فنية

عظيمة ساهمت في المسرح المصري.

لكن من العيب، كل العيب، أن ينتظر مخرج كبير مثل عباس أحمد أحد عشر عامًا حتى يُطبع كتابه، ثم يضطر لطباعة الكتاب على نفقته الخاصة.

هذه إهانة له، وإهانة لهيئة الكتاب، وإهانة للهيئة العامة لقصور الثقافة.

عيب كبير ما حدث.

وأقول هذا للشباب حتى تعرفوا أنكم لستم المقصودين وحدكم حين لا تُطبع كتبكم، فالأمر ليس متعلقًا بالموهبة، بل بالشللية والمجموعات المغلقة.

مبارك لصديقي العظيم عباس أحمد صدور هذا الكتاب، وإن شاء الله سأكتب عنه مقالًا قريبًا بإذن الله.

موضوعنا اليوم: هل الفنانون، وهل الأدباء، وهل الشعراء، ورثة الأنبياء؟

المفروض أن يكونوا كذلك.

لكنني سأحكي لكم حكاية غريبة جدًا.

في ظرف تاريخي بين عامي (٢٠٠٥-٢٠٠٦)، ذهبت إلى دولة الإمارات، وكانت ظروفي الحياتية معروفة، لكن كان لي حظ سعيد أن أعمل في مؤسسة تحت قيادة الأستاذ سيف المري.

عملت في البداية في التدقيق لمدة أربعة أشهر، ثم انتقلت لأتولى تنسيق المؤسسة إعلاميًا، فقامت الدنيا ولم تقعد.

قال لي الأستاذ سيف المري، الشاعر والكاتب الإماراتي الكبير، وهو من خيرة رجال الإمارات: نريد أن نصدر مجلة اسمها «الشاشة».

وافقت، وأصبحت مسؤولًا عنها.

مجلة «الشاشة» تهتم بكل ما يخص الشاشة: شاشة السينما، شاشة التلفزيون، شاشة الهاتف، أي شاشة.

والاسم من اختياره، لا من اختياري.

وكان السؤال: من سيكتب في المجلة؟

وهنا أردت أن أضرب مثالًا للأخلاقيات التي يجب أن يتحلى بها الأدباء والفنانون، حتى لا تفعلوا مثلنا، ومثل الجيل الذي

ترونه أمامكم.

لا يوجد أحد عظيم على الإطلاق؛ قد يكون الإنسان عظيمًا في الكتابة، لكنه سيئ الخلق.

وسيئ الخلق يعني (حاقد، فاسد السريرة، خائن، يكتب تقارير على زملائه، يخون المهنة، ويخون القلم).

فلا تكونوا مثلنا.

اخترت أن يكتب في المجلة كبار المبدعين، منهم: نور الشريف، يوسف شاهين، محمود ياسين، المخرج السوري الكبير نجدة أنزور، النجم أحمد السقا، عبد الرحمن الأبنودي، أحمد فؤاد نجم، سيد حجاب، وفاء سالم، وفاء الحكيم، إبراهيم عبد المجيد، محمود قاسم، مصطفى محرم، أسامة أنور عكاشة، مجدي صابر، هاني رمزي، نبيل سليمان، عبد الرحمن بن زيدان، عبد الكريم برشيد، عز الدين المدني، وغيرهم كثير.

حين صدرت المجلة، كانت صدمة حقيقية، إذ لم يكن أحد يتوقع أن يجتمع كل هؤلاء في مجلة واحدة، وصدرت تسعة أعداد.

وقال لي عبد الرحمن الأبنودي يومها كلامًا لا أنساه، معبرًا عن دهشته من جمعه هو وأحمد فؤاد نجم وسيد حجاب في مجلة واحدة.

ثم قلت: لا بد أيضًا أن نتيح الفرصة للمظلومين الذين لم يأخذوا حقهم، مثل عبد الغني داوود.

قد تختلف أو تتفق معه، لكنه كاتب، والكتابة ليست بالضرورة عبقرية خارقة؛ يكفي أن يكون الكاتب جيدًا.

وجلبت أيضًا كتابًا شبابًا، مثل إبراهيم الحسيني، الذي كان شابًا صغيرًا آنذاك، وأصبح اليوم رئيس تحرير مجلة «مسرحنا».

وبدأت تصلني خطابات من مصر ومن دول عربية مختلفة، كلها مكائد وشكاوى، تطالب بقطع أرزاق كُتّاب آخرين، بحجج واهية، مثل اتهامهم بسرقة موضوعات أو عدم أحقيتهم بالكتابة.

وكان الهدف دائمًا واحدًا: قطع الرزق، وتشويه السمعة.

حتى وصلت خطابات إلى الأستاذ سيف المري، تقول إنني بلا

قيمة، وإن الكُتّاب الذين أستكتبهم بلا قيمة، ومنهم عبد الغني داوود.

وكان رد الأستاذ سيف المري إنسانيًا نبيلًا، حين قال:

(أنا كنت أقرأ جريدة السياسة فقط لأقرأ عمود السيد حافظ).

وهنا أقول: انظروا إلى الأخلاق، وانظروا إلى الفرق بين المثقف الحقيقي ومدّعي الثقافة.

ثم فوجئت بأن بعض هذه الخطابات كان يكتبها شاب من الإسكندرية اسمه علي كرار، وهو شاب كنت قد قابلته من قبل، ووقفت بجانبه، وشجعته، وساعدته.

وهنا (انقلب السحر على الساحر).

وكنت أستضيفه في مجلة «رؤية» في الأيام التي كان المال متوفرًا لديّ، وكانت المجلة في حالة جيدة، وكان يأتي يوميًا، يجلس، يشرب الشاي، ثم القهوة، ويتمدد ويسترسل في الجلوس بلا اكتراث.

وكان من بين من عرفوا ذلك الفنان الكبير حمدي أبو العلا.

لكن الطعن لم يكن فيّ وحدي، بل جاء أيضًا في عبد الغني

داوود، وكان ذلك في رسائل موجهة إلى الأستاذ سيف المري.

أمسك الأستاذ سيف الرسائل، ولم يصمت، إذ وصلت رسالة، ثم ثانية، ثم ثالثة.

وهل صمت المصريون عني، خصوصًا وأنا أتولى رئاسة تحرير مجلة «الشاشة»؟

أبدًا، أبدًا.

شكاوى متواصلة، فقط لأننا لم ننشر لهذا أو ذاك.

يرفع أحدهم الهاتف، وهو شاب يعمل في مجلة «الكواكب»، لا أعرفه، ويقول: لماذا لم تنشروا هذا الموضوع؟

أقول له: لأن الموضوع كُتب عنه من قبل، ولأن الفيلم نفسه خضع لنقد سابق، بل وكتبت عنه ناقدة مشهورة جدًا، ولن أذكر اسمها.

قلت لها: هناك من كتب عن الفيلم، اكتبي موضوعًا آخر.

قالت: أنت تحاربني.

قلت: أنا لا أحارب أحدًا، أنا أبحث عن مجلة محترمة، وعن مادة جيدة.

قلت لها: هناك وجهتا نظر، والفيلم أجنبي، وربما لم يشاهده سوى عشرات أو مئات قليلة، فكيف يتحول إلى معركة؟

لكن المشكلة أن كثيرًا من الكُتّاب لا يوفون في التعاون مع بعضهم البعض.

ودليل ذلك ما حدث مع كتاب المخرج الكبير عباس أحمد، الذي تعرفت عليه سنة ١٩٦٨ في مهرجان الإسكندرية الأول للثقافة الجامعية، حين أخرج مسرحية «الطاعون»، وكان من أبطالها آنذاك مراد منير، الذي أصبح لاحقًا مخرجًا كبيرًا.

منذ ذلك الوقت، بيني وبين عباس أحمد تاريخ طويل.

أن يظل كتابه أحد عشر عامًا حبيس الأدراج في هيئة الكتاب سبع سنوات، ثم أربع سنوات أخرى في الهيئة العامة لقصور الثقافة، دون أن يُطبع، ثم يُجبر على طباعته على نفقته الخاصة، فهذا عيب.

بل هو خلل حقيقي في عقلية المثقف المصري.

هذا حقد.

حقد على كل ما يحمل قيمة.

هناك خلل في تكويننا، ونحن بحاجة إلى إعادة تكوين، وإلى إعادة نظر شاملة فيما نحن فيه.

وأقول هذا الكلام تحديدًا للشباب، وللأدباء الشباب.

لا تكتبوا شكاوى ضد بعضكم كما يفعل هذا الجيل.

لا تدخلوا اللجان وتطعنوا في زملائكم.

أرجوكم.

سعيد الكفراوي وغيره (وهو صديق وأديب كبير)، لن أذكر اسمه احترامًا لحالته الصحية، لكن الطعن لا يجوز.

لا تفعلوا ذلك.

كونوا نزهاء، حتى لو كنتم مختلفين.

أنا شخصيًا، ما حدث لي مع كاتب في مسابقة ما، آذاني سبع سنوات كاملة، ومنع أعمالي من دخول تلفزيون الكويت.

اسمه نادر خليفة، الكاتب والسيناريست الكبير.

سبع سنوات من الأذى.

ودخلت تلفزيون الكويت لاحقًا بمعجزة سماوية.

وحين جاء إلى مصر ودخل مسابقة، وأُحضرت أعماله لتقييمها، منحتُه الجائزة، لأن إحدى مسرحياته كانت جيدة، بينما كانت بقية الأعمال المقدمة رديئة.

قلت: من الأفضل أن تذهب الجائزة للعمل الجيد.

كتب إليّ يسألني: لماذا فعلت ذلك؟

قلت له: لأنها الأمانة.

الأمانة نفسها جعلتني أنصف دكتورة كانت قد آذتني، وكتبت عني مقالًا مؤذيًا منذ ما يقرب من عشرين عامًا.

مرت السنوات، ونضجت، وأصبحت أستاذة ودكتورة مرموقة، وقدمت كتابًا إلى جهة حكومية.

قالوا: سيد حافظ هو من سيقيّم الكتاب.

أرسلوا لي الكتاب بسيارة من الجهة الحكومية، وطلبوا رأيي: هل يُطبع أم لا؟

كتبت: يُطبع فورًا، لأن الكتاب يحتوي على جمع وتوثيق لنصوص نادرة لم تُعرف من قبل، تخدم المسرح المصري.

وحددت التقييم بنسبة ٧٥٪.

وعندما ذهبت لتسليم التقرير، قالت لي المسؤولة: أنت تمدحها.

قلت: بيني وبينها ما بيني، لكنها آذتني، نعم، لكن لا علاقة لذلك بالأمانة.

نفس الأمر أكرره دائمًا:

إياك أن تخون ضميرك، حتى لو آذاك الآخرون.

عبد الغني داوود، صديقي، آذاني وكتب مقالًا قاسيًا عن رواية لي.

غضبت، نعم، لكن غضبي كان بسبب تدني الخطاب النقدي، لا بسبب النقد نفسه.

قلت له كلامًا شديدًا في الهاتف، ثم تصالحنا بعد أربع سنوات، لأن الحياة لا تستحق.

لكن النقد شيء، وتحليل الشخصية وتشويهها شيء آخر.

حين يدخل الناقد في اتهامات مثل (جنون العظمة، والنزعات النفسية)، هنا لا يصح الأمر.

دافع عن عملك، نعم، بشراسة، ولكن بعلم.

وحين تُسأل: هل فلان كاتب؟

قل الحقيقة.

قل: كاتب.

هذه أخلاق الفرسان.

حين تحكم، احكم بعدل.

طوال حياتي تعرضت للأذى من أصدقاء ومقربين، لكن لم أمنع أحدًا من فرصة.

إذا جاءت الفرصة، قدّمها له.

إبراهيم عبد المجيد، صديقي العظيم، توسط مرة بيني وبين عبد الغني داوود.

قال له: السيد حافظ زعلان، كلمه.

اتصل بي عبد الغني، وقال لي: إبراهيم عبد المجيد يريد الكتابة عندك، وهو محرج.

قلت: دعه يكتب.

وكتب في مجلة «الشاشة» ومجلة «الأطفال المغامر»، لأن

السيرة النقية لا تُشطب.

أنت تكبر، والآخر يصغر بأفعالك، لا بكراهيتك.

هذه نصيحتي، وأنا لا أحب النصائح، لكن السن له حكمه.

لا تكرروا أخطاءنا. لا تكتبوا شكاوى كيدية.

وحين تكتبون نقدًا، اكتبوا علمًا ومعرفة، لا سبًّا.

وإذا كنت تحكّم على شخص رديء، أو وضيع، أو حتى من آذاك، فتذكّر أنك قاضٍ، والقاضي جزء من معنى العدل الإلهي.

الله هو العدل.

ولهذا أقول في النهاية:

نحن، الشعراء والأدباء والكتّاب، لسنا ورثة الأنبياء.

نحن بشر، أكثرنا ضعفاء وخونة، وأقلنا صفوة نادرة.

محبة من القاهرة، من الهرم،

حيث يقبع الكائن العجوز الجميل،

السيد حافظ.

الحلقة ٢٩٠
الكاتب بين اختيار التاريخ أو التكريم

اليوم هو الخميس العشرون من أكتوبر سنة ٢٠٢٢.

تأخرت عن موعد اللقاء في اليوم السابق لأسباب صحية اضطررت بسببها إلى إجراء بعض التحاليل الطبية، منها تحليل الدم، وقد تبين أن نسبة الكوليسترول مرتفعة قليلًا، لكن الأمور في تحسن والحمد لله، سواء فيما يخص القدم أو خشونة الساق، والحالة العامة أفضل.

حديثي اليوم عن اختيار الكاتب.

اختيار الكاتب مسألة شديدة الأهمية، وخاصة اختيار الكاتب المسرحي، ولذلك يمكن أن يكون عنوان هذه الحلقة: الكاتب المسرحي والاختيار.

على امتداد الوطن العربي، لدينا عدد كبير جدًا من كتّاب المسرح. بعضهم كتب المسرح لأنه يراه سهلًا، وبعضهم يضع عينه على المستقبل، وبعضهم يكتب وهو يفكر في اللحظة الآنية فقط.

هناك كاتب يكتب وهو يضع نصب عينيه المستقبل، ويخطط لمشروع طويل الأمد.

وهناك كاتب آخر يكتب من أجل اللحظة، من أجل أن يصنع مسرحية سريعة، ليكسب منها بعض المال.

لدينا كتّاب مسرح حقيقيون، يحبون المسرح، ويحبون العمل المسرحي ذاته.

ولدينا كتّاب يكتبون المسرح لأنهم مضطرون، أو لأنهم مأزومون، أو لأنهم يريدون المكسب السريع.

وهنا نصل إلى جوهر المشكلة:

هناك من يكتب حوارًا مسرحيًا وهو لا يعرف ما هي الإضاءة المسرحية، ولا يفهم الديكور، ولا يعرف جغرافيا المسرح، ولا يعرف الإلقاء المسرحي، ولا يعرف مما يتكون البناء المسرحي، ولا يعرف كيف يُعد الممثل، ومع ذلك يكتب مسرحًا، ثم يقول: هذا أدب.

يقول: أنا أكتب أدبًا، والتمثيل شأن آخر.

ثم يأتي مخرج طيب، ربما لم يمارس المسرح يومًا، لكنه يحب

التجربة، فيجتمع الاثنان في حالة من العشوائية.

رأيتُ بنفسي مخرجًا كبيرًا جدًا، في الإسكندرية، في فصل الصيف، جالسًا على شاطئ البحر يلعب الطاولة، بينما كان الممثلون يؤدون مسرحيته على الخشبة، ومنهم يونس شلبي وسعيد صالح.

قلت له: الممثلون في الداخل يؤدون العرض، ألا تدخل لتتابع؟

قال: لا، هم متعاونون مع بعضهم.

كان هذا مسرحًا صيفيًا، والمنتج يريد المال، وكان المسرح مؤجرًا (مسرح إسماعيل ياسين آنذاك، قبل أن يُهدم).

المسألة كانت ببساطة: نعمل مسرحًا لنكسب بعض المال.

هذا نوع من المسرح، وهو موجود في سلم النجاح الاجتماعي، وهو مسرح التهريج والفارس والكوميديا من أجل الكوميديا، وهو في قمة النجاح الجماهيري لأنه يخاطب الأغلبية الساحقة من الجمهور، الجمهور الذي لا يرى في المسرح رسالة، بل وسيلة للضحك فقط.

هذا يذكّرنا بالفرق الجوالة القديمة، التي كان فيها المهرج

والكلاون، يضحكون الناس بالنكات والحكايات، مثل الحكّائين في بغداد قديمًا، أو في بعض مناطق أوروبا.

لكن المسرح الحقيقي، وكتابة المسرح، والعمل المسرحي الجاد، مسألة معقدة وعظيمة، ومن يدخل هذا المجال يحترق بناره.

حين نأتي إلى مثال مثل بديع خيري، وعلاقته بنجيب الريحاني (وهناك تسجيل موثق لهذه الحكاية)، نجد نموذجًا واعيًا للاختيار.

جلسا معًا، قرآ المسرحيات الفرنسية، قاما بإعدادها، وصنعا أعمالًا جميلة ومضحكة، وأضافا إليها لمسات سياسية خفيفة، فصار العمل ممتعًا وله مضمون.

هذا ليس مسرحًا سياسيًا بالمعنى العميق، لكنه يوهم بالسياسة، ويقدّم إيحاءات، مثل السخرية من المحافظ أو من السلطة، دون أن يكون ذلك موقفًا فكريًا جذريًا.

وهذا النوع من الالتفاف على الرقابة كان شائعًا.

بديع خيري كان مثقفًا ثقافة عالية، راقيًا، واعيًا بما يفعل.

كان يعرف أنه يصنع نوعًا من المسرح يُسمى في أوروبا الفودفيل، وكان يقلده عن وعي.

وكما في المسرح، كذلك في الرواية.

نجيب محفوظ نقل البناء الروائي الأوروبي إلى الرواية العربية، لكنه نقلها بذكاء، فصارت الرواية عربية الموضوع والروح، وإن كان البناء مستلهمًا من أوروبا.

ثم جاء أبو السعود الإبياري، وهو قامة عظيمة في صناعة الكوميديا والضحك.

عمل لإسماعيل ياسين أفلامًا ومسرحيات كثيرة، لكنه لم يحظَ بتقدير نقدي، لأن النقاد كانوا يبحثون عن الفكرة الثقيلة، بينما هو يصنع الضحك من أجل الضحك.

والضحك من أجل الضحك ليس عيبًا.

أن تضحك الناس وتأخذ أجرًا مقابل ذلك ليس خطيئة.

وقد تحدثت سابقًا عن المقارنة بين محمد صبحي وعادل إمام.

كلاهما يقدّم مسرحًا كوميديًا، لكن عادل إمام يقدّم صناعة ضحك خالصة، مع ومضات فكرية نادرة، بينما محمد صبحي

يقدّم قليلًا من الضحك وكثيرًا من الفكرة، وكان معه لينين الرملي، الذي نقل المسرح الأوروبي إلى صيغة عربية واعية.

هنا يأتي اختيار الكاتب:

هل يختار أن يعمل مع نجم كبير ويفصّل له النص؟

كما فعل سعد الدين وهبة حين كتب نصوصًا مفصلة للمسرح القومي، ولم تُعرض خارج هذا الإطار.

ثم تنبّه سعد الدين وهبة، وترك المناصب، وجلس في البيت، وكتب مسرحًا من أجل المسرح والفكر، فنجح نجاحًا هائلًا.

لكن آخرين لم يلحقوا أنفسهم:

أبو السعود الإبياري لم يفعل، وبديع خيري لم يفعل، بينما توفيق الحكيم فعل.

توفيق الحكيم اشتغل في البداية مع أولاد عكاشة في مسرحيات تجارية، ثم تنبه للفكرة، وكتب المسرح الجاد، واصطدم بما سُمي بالمسرح الذهني، وهي تسمية ظالمة.

هو كاتب مسرحي كبير، لكن حين دخل الجد، حورب، فاضطر إلى نشر مسرحياته في كتب، وصنع ما نسميه اليوم الأدب

المسرحي.

وهناك من كتبوا من أجل السوق فقط، مثل بسيوني عثمان، الذي كان يقول لي: لماذا تتعب نفسك؟ خذ مسرحية أجنبية واقلبها.

اعترف أنني حاولت ذلك مرة ولم أستطع.

لأن هذا النوع له ناسه وأساتذته.

٩٠٪ من الأفلام المصرية منقولة لقطة بلقطة عن أفلام أجنبية، ولذلك كانت مهرجانات أوروبا تقول لنا: هذه بضاعتنا رُدت إلينا.

الواعي، مثل نجيب الريحاني، لم يطبع مسرحياته، رغم أنه كان قادرًا على ذلك.

وكذلك يوسف وهبي، كتب عشرات المسرحيات ولم ينشرها في كتب.

أما غير الواعي، فينقل نصًا أجنبيًا، ويضع اسمه عليه، ويطبعه بوقاحة، والتاريخ كفيل بمحاسبته.

تعلمت الكثير من محمد عوض، حين عملت معه على

مسرحية، وتعلمت كيف تتحول المسرحية الجادة إلى كوميديا تحمل الفكر نفسه.

اشتغلنا أشهرًا، وبروفات طويلة، لكن العمل أُوقف بقرار إداري، وأُعطي لشاب آخر.

نحن نعلّم الشباب أحيانًا العكس:

بدل أن نعلّمهم القيمة، نعلّمهم الرفض من أجل الرفض.

في لجان القراءة، كثير من الشباب يرفض النصوص فقط ليثبت أنه ناقد.

وهكذا تُدار الأمور.

فما رأيكم في أن يقال: هذه السيدة أرهقتنا كثيرًا بكتابتها، وذلك فقط لكي يذهبوا إليّ ويطلبوا مني رفض الكتاب؟

لم أرفضه، وقلت لهم: الكتاب جيد.

قالوا لي: أحقًا تراه جيدًا؟

قلت: نعم، هو جيد، وهذه سيدة جيدة، وكتاباتها جيدة.

وأصررت على أن يخرج الكتاب إلى النور، رغم أنها كانت قد

آذتني من قبل، وكتبت عني مقالًا سيئًا ومسيئًا.

لكن لا، لا يصح ذلك، فهذا يتعارض مع (الضمير الأدبي).

لقد فقدنا الضمير الأدبي، وتحولنا إلى آلات في الأدب على كل المستويات: من المسرح إلى السينما، إلى التلفزيون، إلى القصة، إلى الرواية.

أصبحنا أضحوكة بين شعوب العالم.

الكاتب، في اختياره، إن أراد أن يدخل التاريخ، فعليه أن يدرك أن المسرح، حين يقرأه الناقد أو المفكر، يجب أن يجد فيه قواعد المسرح العالمية، والقواعد الأدبية، والهدف، والبناء، والشكل.

أما أن تكون المسرحية مجرد حوار من نوع: قال له ماذا؟ قال له كذا، والبطل وجهه كذا أو قال له «أف!» فقط، فكيف يُحلَّل هذا النص؟

كيف يُطلب من النقاد تحليل مسرح الفارس؟

كيف سيحللون النكات والقفشات؟

مثل النكتة الشهيرة: «تاكسي رايح وتاكسي جاي»؛ ماذا

سيكتب النقد عنها؟

وماذا سيُدرَس فيها؟

إن المسرح الكوميدي الفارس، الموجَّه إلى الجماهير، له مكانه، لكنه ليس المسرح كله.

لدينا صديق مؤلف اسمه سمير زايد، كتب ما يقارب خمسًا وأربعين مسرحية، مثّلها كبار نجوم مصر، حيث إن نحو تسعين في المئة من نجوم مصر مثّلوا في أعماله.

وكانت جميعها مسرحيات فيديو، تُعرض لثلاثة أيام، ثم تُصوَّر، ثم تُحفَظ لتباع لاحقًا على أشرطة الفيديو.

قال لي سمير زايد: أنا لم أكتب في حياتي مسرحًا بعد قراءة كتاب مسرحي، ولا أحب قراءة الكتب المسرحية.

أنا أذهب لمشاهدة المسرحيات، فأأخذ الفكرة وأقلبها، وأعيد تقديمها.

وهو شخص ظريف ومهذب للغاية.

حدثت معه واقعة طريفة حكاها لي المنتج عبد الحميد داوود (رحمه الله).

إذ أعطى سمير زايد مسرحية فيديو لأحد المنتجين، وأثناء البروفات كان من بين الممثلين وحيد سيف، الذي قال: هذه المسرحية مثّلتها من قبل، ولن يحدث كذا وكذا.

فقيل له: لا، سيحدث.

فقال: لكن اسمي كان مختلفًا، وهذه المسرحية سبق تقديمها.

وحين واجهوا سمير زايد، قال لهم ببساطة: نعم، بعتها أربع أو خمس مرات، لكن بأسماء مختلفة.

وقال: هاتوا لي مشاهدًا واحدًا يقول إنه شاهد المسرحية من قبل.

وهنا نصل إلى الحقيقة المؤلمة:

ذاكرة الجمهور العربي في المسرح (ذاكرة سمك).

يشاهد المسرحية، وإن كانت مكررة، لا يشعر بالمشكلة، وكأنه لم يشاهدها من قبل.

هنا تكمن المسألة:

هناك صنّاع حقيقيون للكوميديا والمسرح الكوميدي، يعرفون الصناعة، ويعرفون المقاس، ويصلحون نصوصًا كثيرة،

وتُسند إليهم أعمال كبيرة.

فالكوميديا هنا صناعة، وهنا اختيار.

والسؤال الحاسم هو:

هل تريد التاريخ أم تريد «الطبيخ»؟

بيرم التونسي لخص القضية كلها حين قال إنه يكتب عملًا للتاريخ، وعملًا للطبيخ.

فالطبيخ من أجل لقمة العيش، والتاريخ من أجل البقاء.

أما كاتب المسرح الحقيقي، فهو الذي أخرج ومثّل وفهم المسرح، وعرف خشبته، وجغرافيتها، شمالها وجنوبها ووسطها، وعرف كيف يُدار الديكور، وكيف يُملأ الفراغ الزمني بين دخول الممثل وخروج آخر، وكيف تُصاغ اللحظة المسرحية بدقة.

فكتابة المسرح (ذهب)، لكنها ذهب دقيق.

أما اليوم، فإن معظم ما يُكتب مسرحًا (للأسف) رديء، بنسبة تقارب التسعين في المئة.

مجرد حوارات، وقليل من الضحك، وملء فراغ، بهدف الكسب فقط.

الحالة الفنية ليست جيدة، لا في مصر وحدها، بل في الوطن العربي كله.

المسرح ليس بخير، والرواية ليست بخير، والقصة القصيرة ليست بخير، والشعر ليس بخير.

نحن نعيش في زمن الجدب، والجفاف الثقافي، والزور الفني والأدبي والاجتماعي والسياسي والعلمي.

والكارثة الكبرى، حين ننظر إلى كثير من أساتذة الدراما، فنجد أن عددًا كبيرًا منهم لا يستحق لقب أستاذ، ولا حتى ناقد.

يسأل عن رسالته العلمية، فيقول لك: كتبت عن فلان، وهو شخص لم يقدم سوى ثلاث أو أربع مسرحيات فاشلة.

المسرح هو صفوة الفنون، لكنه قُتل في غفلة من الزمن.

وهو رقيّ، لكنه ذُبح على أيدي المدعين، وصنّاع الزيف والنفاق.

نحن في أزمة أخلاقية قبل أن تكون فنية.

أزمة ضمير.

وأقول للجيل القادم:

لا تكونوا مثلنا.

لا تفتحوا الأبواب على مصراعيها لكل من هب ودب ليصعد خشبة المسرح، أو يكتب رواية، أو شعرًا.

إنه زمن الفوضى.

لكن، وسط هذا الظلام، سيظهر كاتب عظيم لم يأخذ فرصته بعد، ومسرحي كبير، وشاعر لم نسمع قصيدته بعد، وسينمائي لم نرَ فيلمه بعد.

غدًا أفضل.

غدًا أفضل أيها القادمون من زمن آخر.

حاسبونا بقسوة، ونقّوا التاريخ، وألقوا الرديء في مزبلة التاريخ.

نحن فسدنا، ليس جيلي فقط، بل الأجيال التي تلته.

وأورثنا الفساد، فخرجت أجيال أكثر رداءة وخيانة للفن.

نحلم بأن يأتي جيل آخر، جيل عظيم، ينهض بالفن والمسرح والأدب.

وأعتذر عن الإطالة، وعن الغياب السابق لأسباب صحية، والحمد لله، الأمور بخير.

وغدًا أجمل إن شاء الله.

حلقة اليوم بعنوان: الكاتب بين اختيار التاريخ أو اختيار «الطبيخ».

فاختاروا التاريخ، ولا تلعبوا على الحبلين، فالتاريخ هو الباقي.

تحياتى ومحباتى

السيد حافظ

من القاهرة ،أم الدنيا

الحلقة ٢٩١

الوفاء والنكران

كنت أقول إن حلقة اليوم، المؤرخة في السادس والعشرين من

أكتوبر عام ألفين واثنين وعشرين، هي حلقة عن الوفاء والنكران. وكنت في بدايتها أتحدث عن هذا الموضوع، ثم انتقلت للحديث عن جيل الستينيات.

نحن، حين خرجنا من النكسة، خرج جيلنا محمَّلًا بمشكلة كبيرة جدًا؛ كنا في حالة غضب شديد، حالة غضب تجاه الجيل الذي سبقنا. كنا نشعر بنفور، ونحمل غضبًا مكتومًا، ولذلك كنا نذهب ونحتشد ونتجه إلى أستاذنا نجيب محفوظ، لا لشيء إلا لنستمع إليه.

كان الأستاذ نجيب محفوظ يجلس في مقهى، وكان هذا في أواخر الستينيات وبدايات السبعينيات. كان يجلس ومعه ثلاثة قروش ونصف من الشباب أمثالنا، لأن هذا المبلغ كان شرط الجلوس. كانت قهوة «ريش» غالية بالنسبة لنا، ولذلك كنا نجلس في «قهوة البستان»، نراه من بعيد، ونرى الأدباء من حوله.

كان معنا أحيانًا ثلاثة تعريفات أو قرش صاغ، ثمن القهوة أو الشاي، فكنا نجلس هناك فقط لنراه. ثلاثة قروش ونصف، في

ذلك الوقت، كانت مبلغًا كبيرًا؛ كنت أستطيع أن أدخل بها الأوبرا يوم الجمعة صباحًا، وأنا طالب، لأستمع إلى أوركسترا الأوبرا القديمة في ميدان العتبة، أوركسترا سيمفوني كامل، وأجلس أتابعه.

كان نجيب محفوظ لا يمد يده ليحاسبه أحد، ولا يحب أن يحاسبه أحد. كان يدفع حسابه بنفسه، ثم ينهض ويذهب إلى بيته المطل على النيل، ويجلس هناك من الخامسة إلى السابعة مساءً.

كنت أحاول أن أكتشف أين يجلس بقية الكتّاب، فعرفت بوجود الندوة الثقافية القريبة من سوق الحميدية في باب اللوق. كانت تُعقد يوم الاثنين، وليس الثلاثاء. وكان يجلس فيها الأستاذ نعمان عاشور، والدكتور صبري حافظ (الذي لم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد، وكان يعمل في المجلس الأعلى للثقافة والفنون في قسم الأدب عند الأستاذ يوسف السباعي).

كنت أذهب لأجلس هناك، وأحيانًا كان يحضر الناقد الكبير الدكتور محمد مندور، وأحيانًا يحضر غيره. وكان من

المعروف أن الجلوس هناك يتطلب أن يكون معك خمسة قروش احتياطيًا، لأنك ستدفع ثمن الشاي.

كانت المقاهي الثقافية مشتعلة بالحوار. كنا نذهب لنسمع، ونذهب لنتعلم. أما الأجيال الجديدة، فلا تذهب لتسمع ولا لتتعلم، وإنما تذهب لمصلحة.

والمصلحة تعني أن يكون في الندوة رئيس تحرير مجلة، أو مسؤول صفحة ثقافية، أو مسؤول برنامج إذاعي، أو مدير تحرير جريدة، أو مسؤول في المجلس الأعلى للثقافة، أو مسؤول عن النشر. حينها تجد الندوة ممتلئة بعشرين أو ثلاثين أو أربعين شخصًا. أما إذا كنت أديبًا بلا وظيفة أو منصب، فلن يأتيك سوى اثنين أو ثلاثة من أصدقائك على الأكثر.

أقول هذا لأنني تلقيت اليوم مكالمة من صديق في المغرب، ناقد كبير وكاتب عظيم. قال لي: إنك زرتنا منذ خمس سنوات، وكانت هناك حياة ثقافية، أدباء ومثقفون ولقاءات. أما الآن، فلا توجد حياة، لأن المصالح اختفت.

ما الذي حدث؟ لماذا كان جيل الستينيات يتركنا نسمع فقط؟ أنا أعتبر نفسي من جيل السبعينيات، وهو من أفضل الأجيال أدبيًا وثقافيًا. وقد قال ذلك الأستاذ محمد حسنين هيكل في حواره مع لميس الحديدي، إذ أكد أن جيل السبعينيات هو أفضل جيل أنجبته مصر، لكنه لم يحصل على فرصة سياسية أو ثقافية أو أدبية للنهوض بالبلد.

جيل الستينيات كان جيلًا عظيمًا، ولم أقل غير ذلك، لكنه كان قاسي القلب. أتذكر أن من أفضل من تعامل معنا في ذلك الجيل كان أستاذنا الكبير يحيى حقي، الذي أضعه فوق رأسي. ذهبت إليه وأنا شاب صغير مع أخي محمد حافظ رجب، فاحتفى بنا، ونزل بنفسه ليشتري الكعك احتفالًا بقدومي من الإسكندرية.

كنت أكتب آنذاك مشاعر بالعامية، وكان هو متزوجًا من فرنسية، وعرفت لأول مرة معنى القهوة الفرنسية. كانت تجربة إنسانية وثقافية عميقة.

لكن خيبة جيل السبعينيات كانت في أنه يأكل بعضه بعضًا. لا يكتفي بالاختلاف، بل يتحول الاختلاف إلى افتراس. يقول هذا

إن ذاك لا يعرف الكتابة، والآخر يرد عليه بالمثل.

أذكر واقعة غريبة حدثت عام ثلاثة وسبعين تقريبًا، حين كتب أستاذنا سعد الدين وهبة مسرحية «رأس العش». قررت مناقشتها في نادي المسرح بالإسكندرية، وأرسلت الخبر إلى جريدة الأخبار، فنُشر في عمود «أبو نظارة»، وكان هذا العمود يُقرأ بالملايين.

كان خبرًا صغيرًا، لكنه كان يصنع مجدًا. اليوم، قد تُكتب صفحة كاملة ولا يقرأها أحد.

ذهبت إلى قصر الثقافة صباحًا، وكنت أعمل في الحكومة لمدة تسعة أشهر فقط في حياتي، براتب عشرة جنيهات. خلال هذه الفترة، أُجري معي خمسة وثلاثون تحقيقًا، فقط لأنني كنت أتعامل مع مثقفين مغضوب عليهم سياسيًا، وأفتح لهم أبواب العمل المسرحي.

كانت التحقيقات عبثية، تطال فنيي إضاءة يتقاضون جنيهًا واحدًا في الشهر، أو عمال نظافة، فقط لأنهم يعملون مع فنانين.

كل ذلك حدث لأنني كنت أحتضن جيلي، بعدما تعقدت من الجيل السابق. لكن سعد الدين وهبة حماني، وكنت أكتب له شكاوى بأسلوب أدبي، وكان يستمتع بذلك الأسلوب.

كان يستقبلني في مكتبه صباحًا، رغم سهره الطويل، ويطلب القهوة ثم يأمر بإدخالي قبل الجميع. وكان يحتضنني، ويحميني حتى من الرقابة وأجهزة الأمن.

ساعدني أيضًا سليمان جميل، والموسيقار الكبير أخو فايدة كامل، وقدموني إلى نجيب محفوظ، وساندني أمل دنقل، الذي دافع عني مع علي سالم.

الجيل الذي جاء بعدنا لم يكن رحيمًا، وكان قاسيًا، ناكرًا، انتقاميًا بلا سبب. جيل الستينيات، رغم اختلافنا معه، كان متماسكًا.

النكران هو الخطر الحقيقي. ومن لا تاريخ له، لا مستقبل له. ومن لا ماضي له، لا مستقبل له.

أطلت الحديث، ولي حديث آخر عن فنان وكاتب جميل سأحكي عنه لاحقًا.

هذه حلقة عن الوفاء والنكران.

كانت هذه الحلقة عن الوفاء والنكران.

كنت أتحدث في بدايتها عن جيل الستينيات. نحن، حين خرجنا من النكسة، خرج جيلنا مثقلًا بمشكلة كبيرة جدًا؛ إذ كنا في حالة غضب شديدة، حالة نفور وغضب من الجيل الذي سبقنا. كنا نذهب محتشدين إلى أستاذنا نجيب محفوظ لنسمع منه. كان يجلس على المقهى، وكنا في تلك السنوات شبابًا في أواخر الستينيات وبدايات السبعينيات. كان الأستاذ نجيب محفوظ يجلس، ومعه ثلاثة صاغ ونصف من الشباب الذين يشبهوننا، يجلسون لأن القهوة كانت غالية علينا. كنا نراه من بعيد، ونرى الأدباء حوله. القهوة بثلاثة تعريفات، والشاي بقرش صاغ. لم يكن معنا المال دائمًا، فكنا نذهب حين يتوفر معنا المبلغ. كانت الثلاثة صاغ ونصف في ذلك الوقت مبلغًا كبيرًا؛ كنت أدخل بها الأوبرا يوم الجمعة صباحًا طالبًا، لأستمع إلى أوركسترا الأوبرا القديمة في ميدان العتبة، أستمع إلى سيمفونية كاملة.

كان الأستاذ نجيب محفوظ لا يمد يده أبدًا ليحاسب عن أحد، ولا يحب أن يحاسبه أحد. كان يدفع حسابه ويمضي إلى بيته القريب من النيل، ويجلس هناك ساعتين.

(كان نظامه صارمًا في حياته، لا يطلب شيئًا ولا ينتظر من أحد شيئًا).

كنت أبحث عن بقية هذا الجيل، فعرفت أن هناك الندوة الثقافية القريبة من باب اللوق، حيث كان يجلس يوم الاثنين الأستاذ نعمان عاشور، والدكتور صبري حافظ، وكان يعمل في المجلس الأعلى للثقافة والفنون الأدب عند الأستاذ يوسف السباعي. كنت أذهب لأجلس وأستمع، وأحيانًا يكون معهم الدكتور محمد مندور، وأحيانًا غيره من النقاد المعروفين.

كان لا بد أن يكون معك مبلغ احتياطي لتدفع ثمن الشاي.

كانت القهوة مشتعلة بالفكر، وكنا نذهب لنسمع ونتعلم. أما الأجيال الجديدة فلا تذهب لتسمع ولا لتتعلم، بل تذهب إلى الندوات بحثًا عن مصلحة.

(المصلحة هنا تعني وجود رئيس تحرير، أو مسؤول صفحة

ثقافية، أو برنامج إذاعي، أو مسؤول نشر).

إن لم يكن هناك صاحب مصلحة، لا يحضر أحد.

أقول هذا لأنني تلقيت مكالمة من صديق عظيم، ناقد وكاتب من المغرب، قال لي: إن الحياة الثقافية هناك صارت بلا حياة، لأن المصالح اختفت.

لماذا كان جيل الستينيات قاسيًا؟

أتذكر أن أفضل من تعامل معنا كان أستاذنا الكبير يحيى حقي، الذي احتفى بي وأنا شاب صغير، وفتح بيته لي، وعلمني معنى الاحتفاء الحقيقي بالمبدع الشاب.

(كانت تلك المرة الأولى التي أعرف فيها القهوة الفرنسية).

جيل السبعينيات من أفضل الأجيال أدبيًا وثقافيًا، كما قال الأستاذ محمد حسنين هيكل، لكنه لم يحصل على فرصة سياسية أو ثقافية أو أدبية حقيقية. كان جيلًا مكتومًا عليه.

جيل الستينيات جيل عظيم، لم أنكر ذلك، لكنه قسى.

جيل السبعينيات أكل بعضه بعضًا. كان كل واحد يهدم الآخر.

أحكي واقعة: كتب الأستاذ سعد الدين وهبة مسرحية «رأس

العش»، فقررت مناقشتها في نادي المسرح بالإسكندرية. نُشر خبر صغير عن الندوة، وكان الخبر الصغير آنذاك يقرأه الملايين.

(في ذلك الزمن، كان الخبر الصغير يصنع مجدًا).

عملت في الحكومة تسعة أشهر فقط، وأُجري معي خلالها عشرات التحقيقات، لأنني كنت أستضيف فنانين مغضوبًا عليهم، وأدعم المواهب الفقيرة.

كنت أتعرض للتحقيق لأنني أحتضن المهمشين.

كنت شابًا في الرابعة والعشرين من عمري، وكنت مؤمنًا بأن احتضان الموهبة واجب.

ساعدني سعد الدين وهبة، وحماني، واحتضنني.

ساعدني سليمان جميل، وقدّمني إلى نجيب محفوظ.

ساعدني أمل دنقل، ودافع عني.

لكن الجيل الذي جاء بعدنا كان أكثر قسوة، أكثر جحودًا، أكثر نكرانًا.

النكران بلا سبب.

لماذا يُترك مخرج كبير سنوات يعمل على مسرحية لا تخرج للنور؟ لماذا يُقتل الإبداع بالإهمال؟

نحن الآن نختار الفشل. نأتي بالفاشلين ونسلمهم المؤسسات. نقيم مسابقات ضخمة، بلجان تحكيم فاشلة، فتفرز نتائج فاشلة، إلا استثناءً واحدًا.

(المنظومة من الأساس خاطئة).

جيل الستينيات كان متماسكًا. حين اتصل بي سعد الدين وهبة، طلب مني ألا أذكره وحده، بل أذكر يوسف إدريس ونعمان عاشور ومحمود دياب.

(هنا تتجلى قيمة التماسك).

جيل السبعينيات قال: أنا ثم أنا، فضاع.

الجيل الذي تلاه خان الجميع.

هناك خلل فني وثقافي وسياسي وأدبي وأخلاقي.

نبني عمارات، ونقيم مولات، لكن هذا ليس هو الحضارة.

الحضارة هي الإنسان.

إذا لم نـهتم بالإنسان، فلا أمان ولا سلام.

النكران أوصلنا إلى حافة الهاوية.

من لا تاريخ له، لا مستقبل له.

أطلت الحديث، وسأكمل في لقاء آخر عن فنان وكاتب جميل.

تحية محبة بلا حدود، وإلى الجيل القادم الحقيقي، لا الجيل العابر.

الحلقة ٢٩٢
الناس الحلوة في حياتى

الخميس ،السابع والعشرون من أكتوبر عام ألفين واثنين وعشرين.

العالم ما زال يعيش في اضطرابات شديدة. ما زالت الحرب الأوكرانية الروسية مستمرة، وما زال العالم كله متأثرًا بها. معظم المسارح في مصر مغلقة طوال الأسبوع، ولا تعمل إلا يومين فقط، وهذا أمر لم نعتد عليه من قبل.

الأجواء الثقافية عامةً ليست في أفضل حالاتها؛ الندوات فقيرة الحضور، خمسة أو ستة أشخاص فقط، وأحيانًا سبعة، يحضرون ندوة أو تجمعًا ثقافيًا، تُدعى إليه مجموعة من الشعراء لقراءة بعض القصائد، في مشهد مؤلم يعكس حالة المشهد الثقافي.

اليوم يوم صعب في حياتنا الثقافية والفنية؛ فقدنا اليوم اثنين من القامات الكبيرة. فقدنا الكاتب الكبير بهاء طاهر، الكاتب العظيم الذي عشت بداياته وأنا صغير، حين بدأ يكتب، وحين قُوبل بالقسوة والسخرية من بعض رموز اليسار في مقاهي

وسط البلد، في ميدان التحرير، وفي مقاهي إيزافيتش، وريش، والبستان. كنت وقتها في الثامنة عشرة من عمري، وشهدت تلك المرحلة عن قرب.

رأيت كيف كان يُسخر منه، وكيف كان يُنظر إليه باعتباره مذيعًا يريد أن يكتب، وكيف أن أسماء كبيرة سخروا منه، ثم صاروا بعد ذلك أصدقاءه ويحترمونه احترامًا شديدًا. كان إنسانًا محترمًا، ومترجمًا قديرًا، وله دور مهم حين كان يعمل في البرنامج الثقافي الثاني، حيث كان الكاتب بعد التسجيل يحصل على أجر كان يُعد وقتها كبيرًا جدًا.

شهدت مرحلة بهاء طاهر وإبراهيم أصلان، وسمعت من يقول عنهما إنهما شابان صغيران، وإن من يريد أن يصبح مؤلفًا فليمر من هنا. رأيت صبر بهاء طاهر، واستمراره، وتمسكه بمشروعه، وأخلاقه العالية، وأدبه الجم، ومساعدته لزملائه، حتى أثبت نفسه وحقق نجاحًا مبهرًا، وتحولت رواياته إلى أعمال سينمائية وتلفزيونية.

العجيب في بهاء طاهر أنه حين قالوا له: أنت كبير أدباء مصر،

رفض هذا اللقب، وقال: (أنا لا أريد ذلك، لا أريد أن أُوضع في هذا الموضع). حتى وهو في السبعين وما بعدها، ظل متواضعًا، رافضًا الألقاب، وهذه سمة العظماء.

كما فقدنا اليوم المخرج والمترجم الكبير فيصل الياسري، الذي عرفته منذ أكثر من أربعين عامًا. فيصل الياسري العراقي، العروبي، المثقف، الرقيق، صاحب الثقافة العالية. أعزي زوجته الفنانة الكبيرة هند كامل، التي كانت بطلة لمسلسل مهم في الكويت، وهي واحدة من أبرز نجمات الخليج، ممن تحبهم الكاميرا ويحبهم الجمهور.

بعد كل هذا الحزن، لا بد أن نتحدث عن الإيجابيات، وعن الناس الذين وقفوا معي وساعدوني. ليس كل الناس خونة، فهناك ناس طيبة، ولهذا قررت أن يكون لنا يوم في الأسبوع نتحدث فيه عن الناس الحلوة في حياتي.

من هؤلاء، الكاتب الكبير يحيى حقي. كنت في الثامنة عشرة من عمري، أكتب الشعر، عامية وفصحى، ففرحت بما أكتب، وأخذني أخي لمقابلته. استقبلني بتواضع عظيم، وقرأ شعري،

وقال لي: (جيد). ثم سألني عما أكتب غير الشعر، فأخبرته أنني أكتب المسرح، وطلب مني أن أرسل له نصًا مسرحيًا.

أرسلت له مسرحية، فطلب مني تعديل عنوانها، ثم رد عليّ برسالة قال فيها إنه منبهر، وإن مجالي الحقيقي هو المسرح، ونصحني بترك الشعر. هذه الرسالة غيّرت مسار حياتي. ظل يراسلني وأنا شاب في العشرين من عمري، وكان هذا دعمًا لا يُنسى.

كما لا أنسى الناقد الكبير إبراهيم فتحي، الذي رافقته عامًا كاملًا، وتعلمت منه الكثير. رأيته يغضب مرة واحدة فقط، حين شعر أن عليه أن يقدّم فكرًا جديدًا لا يهادن، وكان موقفًا علّمني معنى الاستقلال الفكري.

ومن الناس الحلوة في حياتي أيضًا، الصحفي الكبير سيد شحاته، الذي وقف بجانبي في فترة صعبة، وأدخلني عالم الصحافة، وعلّمني الكتابة اليومية، وكان أستاذًا بحق. أدعو الله أن يشفيه ويشفي كل مريض.

ولا يمكن أن أنسى الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور، الذي

نشر لي وأنا شاب صغير، ووضع اسمي إلى جوار أسماء كبيرة، وأرسل لي أجرًا كان وقتها مبلغًا فلكيًا بالنسبة لي. ظل يدعمني، ويشجعني، وينشر لي، وكان له فضل كبير في مسيرتي.

ومن الناس الحلوة أيضًا الدكتور جابر عصفور، الذي رغم الخلافات التي حدثت بيننا، وقف مواقف نبيلة، وساهم في تحسين أوضاع المبدعين، ورفع قيمة التفرغ، وكان فارسًا في مواقفه.

هذه بعض الوجوه المضيئة في حياتي. لا أستطيع أن أذكر الجميع، لكنني أردت أن أقول إن هناك دائمًا ناسًا حلوة تستحق الشكر.

سنتوقف عند هذا الحد اليوم، على أن نواصل كل يوم خميس الحديث عن الناس الحلوة في حياتي، لأن الحديث عن الخيانة لا يكتمل دون الحديث عن الوفاء.

إلى اللقاء الأسبوع القادم، إن شاء الله.

محبة بلا حدود.

الحلقة ٢٩٣
ثقافة الزحام

كان هذا اللقاء يوم الأربعاء، الثاني من نوفمبر عام ٢٠٢٢.

بدأت الحديث بالإشارة إلى أنني اشتريت نظارة جديدة، وكانت رخيصة وجميلة، والحمد لله أن الأمور بخير. بعد ذلك انتقلت مباشرة إلى موضوع اللقاء.

كنت قد عدت للتو من عند الطبيب، وقد طمأنني على حالتي الصحية، وقال إن الأمور مطمئنة وسيتم العلاج، والحمد لله.

انتظرت قليلًا حتى يكتمل الحضور، فأنا أبدأ دائمًا حين يكون هناك ثلاثة أشخاص على الأقل. (البركة في القلة لا في الكثرة). حين يظهر الشخص الثالث أبدأ، ثم يتجمع الناس بعد ذلك، سواء امتلأت القاعة أو لم تمتلئ، فالمهم أن نبدأ.

بعد اكتمال العدد، بدأت الحديث قائلًا:

إن كلامي اليوم يدور حول ثقافة الزحام، وما نتج عنها من إبداع الزحام.

ثقافة الزحام مشكلة حقيقية لدينا. الشارع المصري مزدحم

منذ زمن بعيد، وليس هذا أمرًا طارئًا.

حين افتتح المعز لدين الله الفاطمي القاهرة، وبعد أيام قليلة من افتتاح العاصمة الجديدة، نزل العزيز بالله الفاطمي ليتفقدها، فوجدها فجأة مزدحمة، متسخة، ومضطربة. كانت مليئة بالتراب، في الشوارع وفي المحال، وبدأ الناس يأكلون ويتحركون في الشوارع.

(هذا الاكتشاف حدث بعد أيام قليلة فقط من افتتاح العاصمة).

وظلت القاهرة على هذا الحال منذ افتتاحها في العصر الفاطمي، بعد وفاة المعز لدين الله، وكان معه ابنه الحاكم بأمر الله.

ومنذ ذلك الحين، والقاهرة مدينة مزدحمة، متسخة، ومضطربة.

فلا يمكن القول إن هذا السلوك وليد اللحظة؛ هناك شيء متجذر في الجينات، شيء مرتبط بالزحام ذاته.

هذه الزحام أنتجت نوعًا من الثقافة الخاصة بها:

تحرك بالكتف، وطلب التوسعة، والعبور وسط الحشود.

تجد في الشارع الواحد: شخصًا يقود حمارًا، وآخر يقود بقرة، وآخر يسحب أبناءه، وآخر يقود ماعزًا، وكلهم يتحركون في منظومة واحدة متشابكة.

اليوم ترى سيارات فاخرة تسير بجوار مركبات بدائية، ترى مركبة باهظة الثمن بجوار مركبة بسيطة، وبجوار دراجة، وبجوار بائع خضار، وبجوار عابر سبيل حافي القدمين.

كل هذا في شارع واحد، في منظومة واحدة، في مشهد يومي معتاد.

في بعض المناطق يقل الزحام قليلًا بسبب وجود قدر من التنظيم، لكن الحكومة لا تستطيع أن تغطي كل الشوارع بالنظام والرقابة، ولذلك تظل ثقافة الزحام مسيطرة.

هذه الثقافة فرضت علينا نوعًا من السلوك، حتى في الفنون.

نحن لا نحب الإيقاع الهادئ، لا نحب البطء، لا نحب النعومة.

نريد الصخب، الحركة، الضجيج.

(نحب كل ما هو مزدحم، حتى في السمع).

هذا الزحام خلق لدينا حالة أقرب إلى الهستيريا.

أصبح كثير من تصرفاتنا غير طبيعية.

انعكس ذلك على كتاباتنا.

لدينا عدد هائل من الكُتّاب، وهذا في حد ذاته ليس أمرًا سيئًا، فالكم قد يصنع الكيف، لكن المشكلة أن هذا الكم في أغلبه هستيري.

الكتابة أصبحت بلا هدوء، بلا نفس، بلا صفاء للقلب أو الروح.

هناك فوضى، وأنا أسميها زحامًا.

ترى الكاتب يكتب ولا يريد أن يعود إلى ما كتب، لا يريد أن يحذف، لا يريد أن يراجع، كأنه يريد التخلص مما كتب بسرعة، كأنه ارتكب فعلًا ويريد الانتهاء منه.

أحيانًا يقف شاعر ليلقي قصيدة تمتد نصف ساعة.

(لو جلس هذا الشاعر ونقّى قصيدته، لحصل على عشر أبيات عبقرية).

الرواية الطويلة العريضة يمكن، بالحذف والتنقية والتصفية، أن تتحول إلى عمل قصير مذهل.

تنقية التجربة الإبداعية، تشذيبها، وإعادة ترتيبها، قد تنتج قصة قصيرة رائعة أو رواية قصيرة قوية.

قرأت عملًا لأحمد خالد توفيق عن العاصمة الجديدة، وكان المثال واضحًا على أن المسألة ليست كمًا فقط ولا كيفًا مجردًا، بل هي اختيار التجربة نفسها.

أنا أتفق أن الكيف أهم من الكم في الإبداع، لكنني أتحدث هنا عن كيفية اختيار التجربة، وعن التعامل معها بهدوء، وعن منحها وقتها الطبيعي.

هذا الأمر يحتاج إلى إعادة نظر، أي إلى إعادة تكوين كاملة للعمل نفسه. فالقضية ليست في الجزء المفرد، بل في العمل ككل، إذ إن الشيء بالشيء يُذكر.

أذكر أنني كنت أعمل مرة على مسرحية في الكويت، ولم أكن أجيد التعامل مع التكنولوجيا الحديثة، ولا أعرف كيف أُدخل الناس أو أضيفهم في البث أو الفيديو. كنت بحاجة إلى أحد من تلاميذي يجلس معي ويعلّمني كيف أفعل ذلك.

وفي سياق الحديث عن العمل المسرحي، كنت أتابع عرضًا

مسرحيًا شاركني فيه أحمد عبد الحليم، وكنت أشاهد العرض فقلت له: (هذا الجزء يجب أن يُزال). سألني: أي جزء؟ فقلت: (النهاية طويلة جدًا). إغلاق المسرحية بأغنية تمتد لثلث ساعة أمر مبالغ فيه، والجمهور في أفضل الأحوال لن يصبر أكثر من خمس دقائق.

قلت له: يجب أن يُزال هذا الجزء، وأن يُحذف، وأن يُخفف. لكنه اعترض قائلًا: كيف يُحذف؟ وأين الكاتب الغنائي؟ وأين الملحن؟ ودعوا الجميع ليشهدوا الرأي.

قلت لهم: أنا أقول رأيي، والفيصل بيني وبينكم هو العرض نفسه. بعد يومين، دعونا الصحفيين لحضور عرض مجاني، أغلقنا الأبواب، وقدمنا العرض كاملًا دون توقف أو توجيه، أي عرضًا عامًا شاملًا.

بعد انتهاء العرض، تحدث الصحفيون جميعًا عن النهاية. قالوا إنهم ظلوا يصفقون لأنهم اعتقدوا أن المسرحية انتهت، لكن الأغنية استمرت قرابة نصف ساعة، فبدأوا يتساءلون: ما هذا؟ لماذا كل هذا الطول؟

حينها بدأ النقاش الجاد، جلسنا في اليوم التالي، وحذفنا قرابة ثلث العمل.

وفي تجربة أخرى، كنت أخرج مسرحية من تأليفي، فوجدت نفسي أحذف مشهدًا كاملًا، بل أحذف شخصية كاملة.

(الحذف ليس ضعفًا، بل شجاعة فنية).

هذا هو جوهر المسألة: التصفية.

تصفية التجربة الإبداعية، وتنقيتها من الزوائد. لكن المشكلة لدينا هي الزحام.

نحن نكتب كثيرًا، نكتب بلا توقف، نكتب ثم نكتب ثم نكتب. لكن الكتابة لا تنتهي عند الكتابة الأولى. يجب أن نكتب، ثم نعود فننقّي، ونصفّي، ونشذّب.

التنقية تشبه تمامًا تنقية الأرز: تزيل الحصى، تزيل الشوائب، تزيل ما ليس من جوهره.

(التشبيه شعبي لكنه دقيق).

هكذا الإبداع: تحذف كلمة، تحذف سطرين، تحذف خمس صفحات، وربما تحذف مئة صفحة.

أنا شخصيًا حذفت من إحدى رواياتي ما يقرب من مئة وخمسين أو مئة وستين صفحة، وحذفتها كاملة دون تردد.

ويمكن أن نسمي هذا غربلة.

(وهو تعبير شعبي جميل ودقيق).

هذه الفكرة ليست جديدة، بل موجودة في تراثنا العربي القديم. فقد تحدث علماء البيان والبديع عن التجربة الإبداعية، وعن كيفية أخذها، وتنقيتها، والوقوف أمامها بوعي ومسؤولية.

تنقية التجربة، تصفيتها، غربلتها، حتى يخرج العمل خالصًا نقيًا.

لكن ما يحدث عندنا اليوم هو العكس.

حين أحب كاتبًا موهوبًا، وأكون بيني وبينه مساحة إنسانية، أقول له: هنا احذف، وهنا خفف، وهنا أعد النظر. بعضهم يتقبل ذلك بمحبة، وبعضهم يرفض.

يقول لك: أأعيد كتابته؟

نعم، أعد كتابته.

فهو ليس قرآنًا، وليس إنجيلًا.

يمكنك أن تعيد الكتابة مرة ثانية وثالثة.

في الطبعة الثانية، من حقك أن تغيّر.

أنت لست إلهًا، بل إنسان يتطور، ويتغير، وتزداد معلوماته.

نجيب محفوظ نفسه قال إن معلوماته عن التاريخ الفرعوني، في أعماله الأولى، كانت ناقصة.

(تأمل عظمة هذا الاعتراف).

قال: لو أُتيح لي الوقت، وأدركت إمكانية إعادة الكتابة بالمعلومات الجديدة، لفعلت.

لكن الظروف لم تسمح. كان مطلوبًا منه العمل، وكان بحاجة إلى المال، فكتب للسينما، وشارك في أفلام، بعضها باسمه وبعضها دون اسمه.

وكان الأجر وقتها ثلاثمئة جنيه، وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الزمن.

إذًا، حين تكون المعلومات ناقصة، وحين يتغير وعيك، لماذا لا تعيد كتابة العمل؟

هذه مسألة ثقافية مهمة.

ثقافة الزحام صنعت عندنا ارتباكًا، وضبابية، وحالة تشبه العمى الليلي.

نختار مسؤولًا عن النشر، نأمل أن يكون مثقفًا، ثم نكتشف أنه غير مؤهل، أو انتهازي، أو صاحب مصلحة، أو كاذب.

ولو بدأت أسرد أسماء من تولوا مواقع ثقافية في مؤسسات النشر، لوجدت أن بعضهم مرضى نفسيون، أو تحوّلوا إلى ذلك بسبب السلطة.

لدينا مشكلة حقيقية في الاختيارات.

ثقافة الزحام جعلت المسؤول يختار شخصًا مطيعًا، ضعيف الفكر، محدود الثقافة، فقط لأنه يقول: حاضر، نعم، تحت أمرك.

أما الشخص الثائر، صاحب الرؤية، فلا يطيل البقاء في أي منصب.

(يصطدم سريعًا).

يصطدم بعشرات الكيانات الثقافية المريضة.

لدينا كلاب ثقافية، وقطط ثقافية، وأشكال متعددة من التشوه

الثقافي، مصحوبة بجنون عظمة وبارانويا.

ثقافة الزحام أنتجت تشكيلًا غير سوي، جعلت معظم الأدباء في الوطن العربي، أو غالبيتهم، مرضى.

وهؤلاء المرضى جزء من النظام الثقافي العام، لا في مصر وحدها، بل في الوطن العربي كله.

في تجارب سابقة، مثل الكويت والعراق، كان الاختيار يتم على أساس الكفاءة. كانوا يتنافسون على العناصر الجيدة.

لكن مع الزمن، تغيّر الأمر.

قيل صراحة: (نحن لا نريد عمالقة، نريد من يقول حاضر).

ولهذا، حين يأتي شخص صاحب فكر يريد التطوير، لا يستمر.

كما حدث مع تجارب معروفة في أكثر من بلد.

هذه هي النتيجة النهائية لثقافة الزحام:

إبداع بلا تصفية،

مؤسسات بلا كفاءة،

واختيار قائم على الطاعة لا القيمة.

وهكذا انتهى تقريبًا المسرح الشعبي.

لم يبقَ إلا عامًا واحدًا في مسرح الشارقة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مكان آخر تابع للشيخ سلطان القاسمي (جزاه الله خيرًا وبارك فيه على ما يفعله للمسرح، وما يقدمه للمثقفين). ذهب إلى هناك، لكنه لم يعمل، ولم يُسمح له بالعمل، لأن المطلوب في النهاية هو الخدم، المطلوب هو الخدم فقط.

هذه هي النتيجة، ولا شيء يأتي من فراغ.

فالزحام الذي نعيشه ليس زحام حياة فقط، بل زحام شارع، وزحام ثقافة، وزحام فكر.

حين أجد في الإمارات، منذ سنوات، أن هناك مئتي دار نشر، يقولون إن لديهم مئتي رواية ومئتي روائي.

بينما في مصر، لدينا في الشهر الواحد نحو مئتي رواية تُطبع.

أي أننا نطبع مئات الروايات شهريًا.

وأنا أعرف جيدًا أن كثيرين لن يرضوا عني، ولا أسعى لأن يرضى عني المثقفون ولا الشعراء ولا العلماء. الحمد لله.

إذا كان في الإمارات مئتا روائي، ففي مصر لدينا ألفان.

وأقسم بالله، لو كان لدينا قدر بسيط من الوعي، لكان كثير من هؤلاء قد جلسوا مع أنفسهم وخجلوا مما كتبوه، وربما ألقوا به في القمامة.

ومع ذلك، فأنا متأكد أن وسط هذا الكم، يوجد على الأقل عشرة مبدعين رائعين.

القانون الفكري يقول: (الكم يصنع الكيف).

لكن هؤلاء العشرة ضاعوا وسط الزحام، ضاعوا مبدعون عباقرة، وضاعت مشاريع عظيمة لم ينتبه إليها أحد، ولم يكتب عنها أحد.

في هذه الأيام، وبعد أن اشتريت نظارة جديدة، بدأت أقرأ بتركيز أكبر، ووجدت أشياء جيدة فعلًا.

تواصلت مع بعض الناس، وقلت لهم: انتبهوا، أنتم جيدون في هذا الجانب.

بعضهم تقبّل النصيحة، وبعضهم لم يتقبل، وبعضهم استمع ثم همس ساخرًا في الخفاء.

أنا أقول ما عليّ، والله شهيد.

حين أرى موهبة عظيمة بها بعض العيوب، لا أريد لها أن تبقى معيبة. أريد أن أختصر لها الطريق، أن تكبر، وأن تنضج.

حين كانت تُطبع لي سيناريوهات المسلسلات في شركة صوت القاهرة، كان الأستاذ محمد زكي يطبع منها مئتي نسخة.

وكانت المسلسلات تضم أحيانًا ثلاثمئة ممثل.

وكان يأتي إليّ مؤلفون شباب موهوبون، يطلبون نسخة كاملة من المسلسل ليتعلموا منها.

لم أكن أرفض.

كنت أطلب نسخة إضافية، وأعطيها للشاب أو للفتاة، ثلاثين حلقة كاملة، كل حلقة في أربعين أو خمسين صفحة، أي ما يقرب من ألف صفحة.

أقول له: خذ، تعلّم، واحملها في كيس، وتعلّم.

بعضهم قال لي لاحقًا: تعلمت منك.

وبعضهم أنكر.

والمنكرون كثيرون، لكن هذا لا يهم.

المهم ألا يخجل الإنسان مما فعل.

يجب على الإنسان أن يقف أمام نفسه وقفة حقيقية.

هذا الزحام ينتج الكثير من الغث، والقليل من السمين الثمين (بالضم، لا بالكسر).

لدينا مثقفون فاسدون، وقبيحون، ورديئون، وكثرتهم لا تُحصى.

وفي هذا الزحام، يضيع عشرة مبدعين حقيقيين.

أجد نفسي أحيانًا أدافع عن هذا أو ذاك، أقول إن فلانًا جيد، وفلانة جيدة.

وأحيانًا أقول لشاب: غيّر المسار، اترك الشعر، ادخل القصة، أو الرواية.

فإذا قال: أنا شاعر فقط، أقول له: ابقَ شاعرًا، لكن لا تفرض نفسك في مجال لا تجيده.

أما من يفهم، فيغيّر الطريق، ويستجيب.

أقول له: هذا ليس شعرًا، جرب القصة القصيرة، فإن نجحت استمر، وإن لم تنجح انتقل للرواية، وإن لم تنجح جرّب

السيناريو.

ما دمت تحب الكتابة، فالكتابة مرض، ووباء جميل.

قيل: أصابته الكتابة فأصابَه الفقر.

وهذا صحيح.

وسط هذا الزحام الهائل في النشر والطباعة، ومع وجود آلاف الروايات التي تُطبع سنويًا في مصر، أنا متأكد أن هناك عشر روايات عظيمة لم ننتبه إليها.

كنت أتحدث مع ابنتي، وقلت لها: قديمًا، حين كانوا يضايقونني في التلفزيون، كنت أذهب إلى الإذاعة.

فإذا ضايقوني في الإذاعة، أذهب إلى المسرح.

فإذا أغلقوا المسرح، أذهب إلى القصة القصيرة.

كنت أتنقل.

أما الآن، فقد أُغلق كل شيء.

شركة واحدة فقط تنتج، وإذا لم تختارك، تجلس في البيت.

أنا في البيت، وغيري من كبار الكتاب والمفكرين في البيت.

ناس لهم مكانة كبيرة، لكن لا إنتاج، ولا فرص.

الشركة الواحدة لا تمتلك رؤية، ولا تمتلك جيشًا من المثقفين.

الكل متشابه، كما يقول المثل الشعبي: (كلنا صابون).

فيُختار شاب صغير يتحرك كثيرًا، فيُقال: هاته.

أما الكبار، فخطأ واحد يكفي لإقصائهم.

ومع ذلك، نحن لا نموت.

نحن نكتب للتاريخ.

لكنني أقول: هذه المرحلة انتهت.

أنا أتحدث الآن للجيل القادم، ليس الجيل الحالي، بل الذي بعده.

الجيل الحالي فيه كثير من الفساد، مع وجود استثناءات طيبة، لكنها بلا قوة ولا مؤسسات تحتضنها.

لا توجد مؤسسة واحدة حقيقية تحتوي الشباب والمفكرين الكبار معًا.

الأمة ضائعة، والأمة عليها العوض.

جيل اليوم يأكل ولا يشبع، تُكلمه فلا يسمع، يذهب فلا يعود.

جيل قاسٍ، إلا من رحم الله.

والاستثناء نعمة من الله.

هنا أنهي حديثي.

وسأكمل لاحقًا حديثًا عن أجمل الناس الذين مروا

الحلقة ٢٩٤

الناس الحلوة فى حياتى ج٢

يسرى الجندي/ ماري الياس/ حنان قصاب

الخميس ،الثانى من نوفمبر

(أحيانًا ينسى الإنسان اليوم والتاريخ واسم اليوم)، فهناك شعوب حية، وشعوب ميتة.

بصراحة، ننتظر قليلًا حتى يكتمل العدد، ثم نتوكل على الله ونتحدث عن حلقة اليوم: الناس الحلوة في حياتي. أتمنى أن تكونوا بخير وبصحة جيدة. الشوارع مزدحمة جدًا، والناس تتشاجر فيما بينها، كل واحد يسبق الآخر، وحالة عامة غير لطيفة. نحن بحاجة إلى قدر أكبر من التسامح، أو إلى أخلاق تُمنح بالمجان، لأن طاقة القسوة المنتشرة في الشارع المصري طاقة رهيبة فعلًا.

حلقة اليوم من سلسلة الناس الحلوة في حياتي. في المرة الماضية، قال لي أحد الأصدقاء: لقد تحدثت عن أصدقاء من العرب، فماذا عن المصريين؟ لذلك سأتحدث اليوم عن

الأصدقاء المصريين أيضًا.

أول شخصية مصرية أتحدث عنها اليوم هو الأستاذ يوسف الجندي، صديقي العزيز.

تعرفت إليه في مؤتمر أدباء الأقاليم عام ١٩٦٩ في الزقازيق. كان قليل الكلام، لكنه كان يقدم بحثًا مهمًا. وقتها حدثت مشكلة تتعلق بجائزة، وقدمت شكوى، وحين قابلني الناقد الكبير في بغداد أخبرني أن الشكوى عولجت، وتم إنصافي.

بدأت علاقتي بيوسف الجندي منذ ذلك الوقت. وفي عام ١٩٧٦، كنت مسافرًا إلى الكويت، ونزلت من عمارة البنك الصناعي في شارع رمسيس، حيث كانت هيئة الثقافة الجماهيرية، فالتقيته مصادفة. أخذ الكارت الذي يسمح له بالدخول، وقال لي: لا تسافر، سأكتب عنك دراسة. وقتها لم يكن مطروحًا كمؤلف مسرحي، بل كان باحثًا جادًا، ومؤلفًا جيدًا، وإنسانًا واقعيًا، صاحب شهامة ورجولة. قلت له: شكرًا، وأنت تستحق أن يُكتب عنك.

سافرت إلى الكويت، ثم عدت، وتقابلنا مرة أخرى. كنت أعمل

على مسرحية في الثقافة الجماهيرية، وجلبت عصام السيد للإخراج، وطلب مبلغًا كبيرًا. وافق يوسف الجندي على ميزانية خاصة. هكذا كان، يدعم موهبة زميله، لا يحاربه ولا يعرقله.

بعد ذلك أصبح مسؤولًا عن المسرح في الثقافة الجماهيرية. وأشهد له بالأمانة. في أحد الأيام، نصحني قائلًا: اترك مسرح الأقاليم، فالمسرح سينتهي، واتجه إلى التلفزيون. وقتها لم أقتنع، فقد كنت مؤمنًا بأن المسرح هو أبو الفنون.

مرت الأيام، وعندما عدت إلى القاهرة في أوائل التسعينيات، وجدت نصيحته صحيحة. تذكرت أيضًا نصيحة وحيد حامد القديمة حين قال لي: اترك المسرح، واذهب إلى الإذاعة والتلفزيون.

من المواقف المهمة في حياتي أن مجموعة قدمت شكوى ضدي في الإسكندرية عام ١٩٨٧، وكان يوسف الجندي مسؤولًا وقتها. رفض الشكوى تمامًا، وقال: هذا سيد حافظ. لم يفعل كما فعل آخرون، لم يُدخلني لجانًا، ولم يساوم، بل

وقف موقفًا أخلاقيًا نبيلًا. هكذا يكون الأصدقاء، وهكذا تكون الفروسية.

حتى عندما شاهد مسرحية لي في القطاع الخاص، وانتقدتها نقدًا قاسيًا، لم يغضب، ولم ينزعج. قال لي: الكبير لا يغضبه النقد. أما الأقزام في الثقافة والمسرح والصحافة، فهم من أفسدوا المشهد الثقافي، وجعلوا مصر مليئة بالأقزام بدل العظماء.

العظماء الحقيقيون اليوم في بيوتهم، غائبون عن المشهد.

يوسف الجندي هو أحد الناس الحلوة في حياتي في مصر.

أما الناس الحلوة في حياتي في الوطن العربي، فأذكر منهم الدكتورة حنان قصاب، والدكتور مي الياس من سوريا. لم أكن أعرفهم، ولم ألتق بهم، لكنهم وضعوني في موسوعة كتاب المسرح في الوطن العربي في أوائل الثمانينيات، الصادرة عن وزارة الثقافة السورية. هؤلاء أهرامات ثقافية حقيقية.

في سوريا، كتبوا عني باعتباري أحد أهم كتاب المسرح. أما في مصر، فقد كُتب عني بأسطر قليلة، وباستخفاف، وكأن

الأمر لا يستحق. سألت نفسي: لماذا يُقدَّم المبدع المصري في بلده بهذا الشكل الساخر؟

رغم ذلك، بعد عشرين عامًا، التقيت في مهرجان قرطاج بأصدقاء أعادوا الاعتبار. كما أذكر صديقي الكاتب الكبير محمود قاسم، الذي كتب عن أعمالي للأطفال في موسوعة، رغم ضيق المساحة.

تحية من القلب للدكتورة حنان قصاب، وللدكتور مي الياس. هؤلاء شرفاء. والحركة الثقافية السورية، في رأيي، أكثر نزاهة من الحركة الثقافية في مصر، حيث تُمارَس الخيانة أحيانًا بين المبدعين أنفسهم.

رحم الله يوسف الجندي، ذلك الإنسان العظيم الذي لم يُنصفه حتى الجهاز الثقافي الذي عمل فيه. مات، وهو لا يزال ينتظر تقديم آخر أعماله.

نحن جيل يخون نفسه بنفسه، جيل مليء بالخونة، وقلة فقط تستحق الاحترام.

أطلت عليكم اليوم، لكن محبة بلا حدود. نلتقي الخميس القادم

للحديث عن الناس الحلوة في حياتي، ونلتقي أيضًا في حديث آخر قريبًا.

محبة من هنا، من مصر.

إلى اللقاء.

الحلقة ٢٩٥

سر مصر

أعتذر عن التأخير قليلًا، فقد كنت أتحدث مع صديق، وسرق الوقت مني بعض الشيء، فسامحوني. تأخرت قليلًا، فهناك من انتظر ثم غادر، وقال إن الحديث لن يكتمل، ولكن لا بأس، ربما لم يكن من نصيبهم أن يسمعوني. على أي حال، إن شاء الله حين نجتمع مرة أخرى سأبدأ مباشرة.

اليوم هو الأربعاء التاسع من نوفمبر عام ألفين واثنين وعشرين. أول ما يظهر أحد، سنتحدث.

حديث اليوم تأخر قليلًا، وحديث اليوم عن طارق، أو الأستاذ طارق، الذي وصل مبكرًا كعادته، ودائمًا يذكرني بالموعد، وهذا أمر رائع، فشكرًا له.

موضوع اليوم موضوع مهم. مصر... لماذا تتميز مصر عن غيرها من الدول العربية؟ ولماذا اسم مصر تحديدًا؟

لن أقول، كما يقول رجال الدين، إنها ذُكرت في القرآن عدة مرات، سواء كانت إحدى عشرة مرة أو سبع مرات، فهذا ليس

مجالي، ولست متخصصًا في هذا الشأن.

هناك من يقول إن مصر متميزة لأنها بلد ذات حضارة، فيها الأهرامات والآثار، وبالتالي فهي بلد مهم. حسنًا، الأهرامات في حقيقتها مقابر للملوك، وكان عددها كبيرًا، وقد هُدم عدد منها في عصور مختلفة. وصلاح الدين الأيوبي هدم بعض الأهرامات ليبني القلعة التي نسميها اليوم قلعة محمد علي، وهي في الأصل قلعة صلاح الدين الأيوبي، لكنه توفي في الشام قبل افتتاحها بأيام قليلة.

وعلى فكرة، دائمًا ما ترتبط العواصم الجديدة في مصر بلعنة غريبة، لا أعرف سببها. عندما بُنيت العاصمة القديمة، ثم العاصمة الجديدة في عهد إخناتون، توفي بعد أيام قليلة، وحدث انقلاب. وعندما أسس عمرو بن العاص عاصمة جديدة للمسلمين، واجه مشكلات كبيرة. وحتى القاهرة نفسها، في صورتها الجديدة، لم يلبث من أسسها طويلًا حتى توفي. ليست هذه قضيتنا الآن، لكن تظل مسألة العاصمة الجديدة في مصر مرتبطة دائمًا بما يشبه اللعنة عبر التاريخ.

أنا مؤمن بوجود لعنات، ومنها لعنات واقعة على الشعب المصري، مثل لعنة العبودية. فلا يوجد شعب في العالم احتُل آلاف السنين كما احتُل هذا الشعب، سواء قلنا ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف أو سبعة آلاف سنة. مصر دائمًا تثير القلق والتساؤل: ما سرها؟ ولماذا هي مصر تحديدًا؟

ذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أن الشيخة موزة، زوجة حاكم قطر، سألته يومًا: ما سر مصر؟ وهذه الحكاية رواها هيكل بنفسه في أحد حواراته. فاتصل بالسفير المصري وطلب منه كتاب «شخصية مصر» لجمال حمدان.

جمال حمدان تحدث عن الجغرافيا باعتبارها الأساس في تاريخ الشعوب: موقع مصر، مناخها، تركيبتها السكانية، تربتها الزراعية، جبالها، بحيراتها، نهر النيل، البحر الأحمر، والبحر المتوسط. لكنه في وسط هذا الحديث الجغرافي المهم، كتب كلامًا بالغ الأهمية عن الشخصية المصرية، وقال إنها لا تحب النقد، وتحب المدح، وتميل إلى الزيف. هذا كلام خطير، وأهم من الجغرافيا نفسها، لأنه يتعلق ببناء الإنسان.

نحن نريد أن نبني الإنسان، ولا بد أن نكتشف عيوب الشخصية المصرية من أجل إصلاحها، لا من أجل الهجوم عليها. أما إذا تركناها على حالها، فهذه مصيبة كبرى، ونحن جميعًا نسير نحو مصيبة، في مصر والعالم العربي والعالم كله، لكننا نتظاهر بأننا لا نرى شيئًا.

سر مصر، في رأي العبد الفقير، هو الشخصية المصرية نفسها. هذه الشخصية التي يشكل التحايل والنفاق جزءًا كبيرًا منها، نتيجة تراكمات امتدت لآلاف السنين. كتب التاريخ القديمة مليئة بأمثلة على النفاق السياسي والاجتماعي منذ العصور الفرعونية.

ومع ذلك، فإن أعظم ما يميز مصر، ولن تجده في أي بلد عربي أو غير عربي، هو قدرتها الفريدة على استيعاب الآخر. الشعب المصري هو الشعب الوحيد الذي يستطيع أن يحب الآخر ويتعايش معه حتى لو لم يعرفه. أي جنسية تأتي إلى مصر، وتعيش في أحيائها الشعبية، تذوب فيها، وتتحول إلى جزء من النسيج الاجتماعي، بل وتصبح أسماء العائلات

نفسها دليلًا على هذا الانصهار.

العِرق في مصر غير نقي، لكنه حيّ، ومختلط، وغني. وهذا سر عبقريتها. مصر بلد استطاع عبر التاريخ أن يحتوي الجميع، وأن يصهرهم داخله، سواء كانوا من الشام، أو العراق، أو فلسطين، أو غيرها.

الشارع المصري له طعم، وله رائحة، وله حياة. مليء بالعيوب، ومليء بالحب. مليء بالقبح، ومليء بالجمال. مليء بالفوضى، ومليء بالإبداع. من هذه الفوضى خرجت أعظم الألحان، وأصدق الفنون، وأعمق المشاعر.

الشعب المصري شعب فقير، مظلوم، جائع، مريض، لكنه شعب ضاحك، قادر على تحويل المأساة إلى نكتة، والألم إلى أغنية. هذه الروح الخفية هي التي صنعت عباقرة مثل سيد درويش وكمال الطويل.

هذا الشعب قد يبدو متناقضًا: حقيرًا وعظيمًا، وضيعًا ونبيلًا، لكنه فريد، ولا يشبه أي شعب آخر في التاريخ. ولهذا ستبقى مصر، رغم الجوع، ورغم الذل، ورغم الفقر. ستبقى لأنها

قادرة على الصبر، وقادرة على الاحتمال، وقادرة على احتواء الجميع.

هذا الشعب يحتاج إلى ميثاق أخلاقي جديد، شبيه بقانون «ماعت» الذي وضعه الفراعنة قبل آلاف السنين. نحتاج أن نعيد بناء الإنسان، لا أن نمجّد الوهم.

مصر ستبقى، بهزائمها، بعفويتها، بفوضاها، وبعنادها. ستبقى، نعم، ستبقى.

تحياتي،

التاسع من نوفمبر عام ألفين واثنين وعشرين

الحلقة ٢٩٦
شخصيات جميلة في حياتى

مساء الخير، مرحبًا.

اليوم الخميس السابع عشر من نوفمبر عام ألفين واثنين وعشرين.

كيف حالكم؟ كيف تسير الأمور؟ أسأل الله أن تكونوا جميعًا بخير، وأن يشفي المريض، وأن يرزق من ضاقت به الحال، وأن تُحل مشكلات المعذّبين، وأن تصبح الحياة أجمل إن شاء الله.

مبروك لمصر، ومبروك للوطن العربي، فوز محمد صلاح بجائزة أفضل لاعب في العالم باختيار الجماهير. هذا إنجاز جميل ورائع بكل المقاييس. مبروك لمحمد صلاح، ومبروك للوطن العربي كله. حصوله على هذه الجائزة حدث استثنائي، ويؤكد أن المكافح يصل، حتى لو لم يكن ابن نادٍ كبير، أو مدعومًا منذ البداية، فقد هرب من الإحباط ونجح بإصراره.

عنوان حلقة اليوم هو: الناس الحلوة في حياتي.

سأتحدث عن نموذج مهم في مصر، نموذج مؤثر في بداياتي. كنت شابًا وكتبت مسرحية ستة رجال في معتقل عام ١٩٦٨، وقدمتها لفرقة الإسكندرية لتمثيلها. تولّى ذلك الأستاذ محمد غنيم، (وهو من أعظم الإداريين في تاريخ الثقافة الجماهيرية، أو من أعظمهم على الأقل، وخليفة حقيقي لمدرسة الإسكندرية).

كنت قد كتبت المسرحية عام ١٩٦٨، وقدمتها له عام ١٩٧٢ أو ١٩٧٣. أخذها وقدمها للجنة قراءة، وكان من بين أعضائها الأستاذ منير فتح الله، (وهو إنسان خلوق، ومخرج كبير، وكاتب كبير، وصاحب مشروع مسرحي مهم، أسّس فرقة عادل خيري المسرحية في الإسكندرية حفاظًا على التراث الكوميدي، وحفاظًا على نجوم الإسكندرية).

من بين هؤلاء النجوم كان الفنان محمود عبد العزيز. وأقولها بصدق: كان أقلهم موهبة في بداياته، لكن الله يقسم الأرزاق، وكان حظه مختلفًا، فأصبح نجمًا كبيرًا.

محمد غنيم لم يكن من الأصدقاء المقربين، ولا من الأعداء،

بل من أولئك الذين يقفون في المنتصف بموضوعية. أذكر موقفًا لا أنساه، حين التقيت الأستاذ منير فتح الله في قصر ثقافة الحرية، فأخذني بحب واحترام، وشجعني تشجيعًا حقيقيًا، ولم يتعامل معي باعتباري شابًا صغيرًا، بل باعتباري كاتبًا له مستقبل.

قال لي كلامًا دافعني إلى الأمام بحب شديد، وانتقد بمرارة قلة اهتمام بعض المحافظات بالمسرح، مؤكدًا أن الإسكندرية ـ رغم تاريخها ـ أصبحت من أقل المدن تقديمًا للعروض المسرحية.

ومن الناس الحلوة في حياتي، (رحمه الله)، الأستاذ ناجح ما ناجي، الذي كان مساعدي وصديقي وأخي. لم يكن يجاملني، ولم يكن يدّعي دعمًا زائفًا، لكنه كان صادقًا، والصداقة الصادقة أثمن من أي نجاح زائف.

ولا أنسى الأستاذ رمضان عبد الحفيظ، الذي أخرج لي مسرحيات مهمة مثل الخنساء، والعودة الزرقاء، والفلاحة عبد المطيع. هؤلاء من الناس الحلوة الذين لا يُنسون.

ومن لبنان، الدكتور سهيل إدريس. كنت شابًا في العشرينات، وكتبت قصة قصيرة بعنوان أحزان مواطن بلا عنوان. أرسلتها إليه بالبريد، وكتبت في الخطاب: اسمي السيد حافظ، كاتب من مصر. ففوجئت به ينشر القصة في عدد خاص من مجلة الآداب، إلى جوار أسماء كبيرة، من بينها يوسف إدريس.

كانت دفعة هائلة في حياتي، وقدمني للحركة الأدبية بقوة، وكتب عني في المقدمة، وأنا لم أكن قد تجاوزت الخامسة والعشرين. تلك أخلاق الكبار، وتلك شجاعة الفرسان.

ومن الناس الحلوة في حياتي أيضًا، في ليبيا، الدكتور محمد إبراهيم الفقيه. (يا له من إنسان، ويا له من كيان ثقافي نبيل).

في زمن القذافي، كانت ليبيا مفتوحة للمثقفين العرب، وكانت مجلة الأسبوع الثقافي منبرًا حقيقيًا. دعم الثقافة بكرم نادر، وكان يرسل مكافآت حقيقية تساوي رواتب موظفين.

بعد سنوات طويلة، التقينا في التسعينيات، عندما كان هناك مشروع ثقافي كبير بين ليبيا ومصر. وأقول للتاريخ: كثير مما قيل عن القذافي كان ظلمًا، فقد كانت المؤسسات تُسجَّل باسم

الشعب الليبي، لا باسمه الشخصي.

ومن الشخصيات الحلوة في حياتي أيضًا، الفنان الكبير هشام عبد الحميد، نجم السينما والمسرح والتلفزيون، وصديق عزيز.

أما عن سعد الله ونوس، فقد جمعتني به مواقف عديدة، منها موقف في الكويت، حين قال جملة لا أنساها أبدًا:

(أنا والسيد حافظ خرجنا من ثدي واحد، هو التراث العربي).

هذه شهادة أعتز بها.

كما لا أنسى موقفي مع الدكتور نادر القنة، حين تدخلت لفتح باب الحوار بينه وبين سعد الله ونوس، إيمانًا بأن دعم الشباب واجب أخلاقي قبل أن يكون موقفًا ثقافيًا.

ومن سوريا أيضًا، الكاتب والناقد الكبير نواف يونس، صديق العمر منذ سنوات طويلة، والذي أرجو له الشفاء العاجل. (هو قلم نزيه، يعرف كيف يميز الذهب من الزيف).

الناس الحلوة في حياتي كثيرون، وسأكمل الحديث عنهم إن شاء الله في الحلقة القادمة.

ويوم الأربعاء القادم سأتحدث عن المواقف التي رأيتها وعشتها في حياتي.

شكرًا جزيلًا لكم جميعًا.

نلتقي الأسبوع القادم على خير، من القاهرة، وتحياتي لكم.

الحلقة ٢٩٧

هل القومية العربية بخير؟

الأربعاء ،الثالث والعشرون من نوفمبر عام ألفين واثنين وعشرين

موعدنا الأسبوعي يوم الأربعاء.

نعيش هذه الأيام زحامًا عالميًا بسبب كأس العالم، ولذلك قررتُ أن أبدأ بعد قليل حتى يكتمل الحضور.

الطقس بدأ يميل إلى البرودة ليلًا في القاهرة، برودة خفيفة، لكنها تذكير بتغيّر الفصول.

أتمنى الشفاء العاجل لصديقي العزيز الأستاذ طارق، وأسأل الله أن يمنّ عليه بالصحة والعافية، فهو صديق غالٍ ومحترم، ووجود أمثاله في الحياة نعمة حقيقية.

حلقة اليوم من القاهرة، وسأتحدث فيها من ثلاث زوايا.

الزاوية الأولى:

القومية العربية لم تمت.

فوز المملكة العربية السعودية في مباراتها الأولى بكأس العالم لم يكن مجرد فوز رياضي، بل كان لحظة وعي عربي. هذا

الانتصار أكد أن العروبة ما زالت حية وقوية، وأن كل الدعوات التي حاولت هدم فكرة القومية العربية مجرد أوهام.

لا يوجد شعب عربي أفضل من شعب عربي آخر، ولا دولة أرقى من غيرها، ولا معنى للمقارنات السخيفة بين مصري وخليجي وسعودي وكويتي وإماراتي وبحريني.

كل هذا كلام فارغ.

العروبة موجودة، والإسلام موجود، والله يحفظه، والشعب العربي ما زال حيًا، يمتلك إحساسًا صادقًا بالانتماء.

شكرًا للفريق السعودي على هذا الأداء القوي.

الفرح الذي عمّ الشعوب العربية كان شيئًا عظيمًا، ورأينا أمير قطر وهو يرفع علم السعودية، وكأن العلم علم كل العرب.

حتى الأطفال شعروا بهذه اللحظة، وكان الفرح صادقًا وبريئًا.

شكرًا للمملكة العربية السعودية، شكرًا للفريق السعودي الذي أعاد لنا الإحساس بالقومية العربية، وأكّد أن أي نجاح عربي هو فرح لكل عربي.

على المؤسسات الحكومية في الوطن العربي أن تنتبه إلى هذه

الحقيقة: لا أحد أفضل من أحد.

الدول التي تنهض هي التي تمنح الفرصة للكفاءات، لا التي تحبس نفسها داخل حدود ضيقة.

قلتُ سابقًا إن سر عظمة مصر في فترات ازدهارها أنها منحت الجنسية للكفاءات العربية، فجاء اللبناني والمصري والسوري والعراقي، وصنعوا مجد الثقافة المصرية.

نجيب الريحاني كان من أصول عراقية، وحصل على الجنسية، وأصبح نجمًا مصريًا كبيرًا.

هكذا تُبنى الدول.

لو أن كل دولة عربية منحت الكفاءات العربية المقيمة لديها الجنسية والمكانة، لنهض الوطن العربي كله.

أما إذا بقينا نقول: هذا كويتي، وهذا مصري، وهذا سوري، وهذا فلسطيني، فسنُمحى من التاريخ.

هذه البهجة العربية كانت لحظة استعادة للوعي القومي، وشكرًا للفريق السعودي على هذه اللحظات السعيدة.

الزاوية الثانية:

سألني أحدهم: لماذا لم تتحدث عن أحداث الحادي عشر من الشهر؟

قلتُ لأنني أعرف تاريخ الشعب المصري جيدًا.

الشعب المصري عبر تاريخه الطويل شعب صبور، هادئ، وديع.

الثورة الحقيقية هي تغيير جذري في السلطة تقوده الجماهير، وهذا نادر في تاريخنا.

ما حدث في يناير كان فورانًا اجتماعيًا، لا ثورة بالمعنى العلمي الدقيق.

نحن شعب لديه نمط حياة خاص، ينتظر، يصبر، يتكيف.

ولهذا لم أتحدث عن تلك الدعوات، لأنها لا تنتمي إلى طبيعة هذا المجتمع.

هذه ليست إدانة، بل قراءة للتاريخ ولعلم الاجتماع (وهي نظرية تقول إن السلوك المتكرر عبر آلاف السنين يتحول إلى نمط جيني ثقافي).

نحن نعيش الواقع كما هو، إلى أن يتغير، أو يتم تغييره.

الزاوية الثالثة:

الكتابة اليوم أصبحت فعل عناد.

لم يعد الناس يقرأون الصحف كما في السابق، الإعلام تغيّر، والمنصات الرقمية أصبحت هي المسيطرة.

اليوم، يمكنك أن تشاهد سياسيين، وأطباء، وعلماء، ومفكرين، يتحدثون مباشرة إلى الناس.

العالم يتطور، وشكل الأدب يتغير، ونحن مطالبون بألا نتوقف عند القديم.

المستقبل يفرض علينا أشكالًا جديدة في الكتابة، روايات أقصر، ونصوصًا أكثر كثافة.

سألني أحد الروائيين عن مستقبل الرواية، فقلت له: نحن مقبلون على تحولات كبيرة، كما حدث في تجارب نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم، حين تغيّرت الأشكال بتغيّر الزمن.

يجب ألا نتوقف.

أرجوكم، لا تتوقفوا عند الماضي.

أظن أنني انتهيت اليوم.

وأعود مرة أخرى لأشكر المملكة العربية السعودية، وأشكر فريقها، لأنهم منحونا لحظة فرح وسط عالم مليء بالنكد.

وأشكر الشيخ محمد بن راشد، وأشكر الشيخ سلطان القاسمي، لتمسكه الدائم بالمسرح والثقافة والنهوض الحضاري.

لو كان في كل دولة عربية قائد يحمل هذا الوعي، لتغير وجه الوطن العربي.

تحية لكل من يعمل من أجل الجمال والحق والخير.

وغدًا، إن شاء الله، ألتقي بكم في حلقة جديدة من «الناس الحلوة في حياتي».

تحية لكم من مصر، من القاهرة.

الحلقة ٢٩٨
لماذا أحب جمال عبدالناصر؟

الذكريات الجميلة والذكريات البائسة، ولكلٍّ منا في حياته ذكريات جميلة وأخرى بائسة.

حديث اليوم يأتي في إطار هذه الذاكرة المتشابكة، بين ما هو مؤلم وما هو باعث على الأمل.

في الحقيقة، لم أكن متأكدًا من وضوح الصورة أمامكم، إذ لم يكن أحد ظاهرًا في البداية، فانتظرت قليلًا حتى يكتمل الحضور.

في البداية، أتمنى الشفاء العاجل لصديقي الكاتب والناقد والصحفي الكبير الأستاذ نواف يونس. تمتد صداقتنا منذ أن ذهبت إلى دولة الإمارات، وهو نعم الأخ ونعم الصديق ونعم الزميل، وأتمنى له الشفاء العاجل، وله ولكل مريض.

حديث اليوم بدأ من حوار دار بيني وبين صديق من الكُتّاب، وهو كاتب جميل، الأستاذ سعيد عثمان، صاحب رواية متميزة

ذات لغة خاصة. قال لي معاتبًا: عيبك الوحيد أنك تحب جمال عبد الناصر.

فقلت له: نعم، أحب جمال عبد الناصر، وسأظل أحب جمال عبد الناصر.

أتذكر جمال عبد الناصر على المستوى الشخصي، حين بلغت سن السادسة عشرة، وكان عليّ أن أستخرج بطاقة شخصية. ذهبتُ إلى مكتب السجل المدني في منطقة محرم بك بالإسكندرية. كنتُ سعيدًا، أشعر أنني أصبحت رجلًا ومواطنًا محسوبًا على الدولة.

لكن الموظف طردني بفظاظة، فشعرتُ بإهانة شديدة.

عدتُ إلى المنزل، ولم أذهب إلى المدرسة، وكتبتُ شكوى إلى الرئيس جمال عبد الناصر، قلتُ فيها إنني ذهبت لاستخراج بطاقة شخصية، فوجدت الموظفين يتناولون الطعام، وتم طردي بإهانة. كانت لغتي كبيرة على سني، لكن القراءة المبكرة منحتني اللغة والخيال والقدرة على التعبير (فالمعرفة تعطي اللغة، واللغة تعطي الخيال، والخيال يفتح باب الإبداع).

أرسلتُ الشكوى عبر البريد، وبعد أيام فوجئت باستدعائي إلى المكتب نفسه. حضر ضابط، واصطف الموظفون، وسأل: من الذي طرده؟ ومن الذي كان يتناول الطعام؟

ارتبك الموظفون، وبدأوا يرتعشون. شعرتُ بالخوف، لكنني قلت إنني لا أتذكر، فتم استخراج البطاقة لي في دقائق معدودة.

من هنا أحببتُ جمال عبد الناصر، لا كشعار سياسي، بل كتجربة شخصية.

وحين نجحت في المرحلة الابتدائية وانتقلتُ إلى الإعدادية، كان على أمي أن تدفع رسومًا مدرسية، فقيل لها إن التعليم أصبح مجانيًا، وإن الرسوم أُلغيت.

قلت لنفسي: لهذا أحب جمال عبد الناصر.

أنا لا أتحدث هنا عن عبد الناصر القومي أو السياسي، بل عن التجربة الإنسانية الخالصة، حتى لا يزايد أحد أو يحرّف المعنى.

في بيتنا بسيدي بشر، كان هناك شخص يُدعى أحمد عبد الجواد، أساء إلينا. كتبتُ شكوى أخرى، وتم التحقيق، وحُلّت

المشكلة دون أن أُهان، ونُقل الضابط المتجاوز من موقعه.

قلتُ لنفسي مرة أخرى: لهذا أحب جمال عبد الناصر.

عندما انضممتُ إلى منظمة الشباب الاشتراكي، أردتُ أن أقيم نشاطًا ثقافيًا واسعًا في المدرسة، يشبه ما كان يحدث في التجربة الصينية، مجلات حائط، وندوات، وتشكيلات طلابية. قوبل الأمر بالحذر والخوف، لكن الفكرة كانت أن نصل بالوعي إلى الشباب.

أخي كان يخاف عليّ، وكان يرى أنني أُقحم نفسي في متاعب، لكنني كنتُ أصرّ: أنا أحب جمال عبد الناصر.

في بيتنا، كان أبي متحفظًا على عبد الناصر، وجدي كان أكثر قسوة في موقفه، بحكم انتمائه لمرحلة ما قبل ثورة يوليو. كانت هناك تعقيدات اجتماعية واقتصادية، وتأميمات أضرت بالبعض، وكل هذا مفهوم.

لكنني رأيت الصورة من زاوية أخرى.

بعد وفاة عبد الناصر، جاء الانفتاح، وانتشرت الفوضى، وضاع الكثير.

سافرتُ إلى الكويت، وشهدتُ بعيني كيف كان المصري في زمن عبد الناصر مرفوع الرأس، وكيف تغيّر الحال لاحقًا.

في الكويت، حين حدثت لي أزمة كبيرة بسبب حادث سيارة، تدخل رجال دولة حقيقيون، وكان اسم عبد الناصر لا يزال خطًا أحمر، رمزًا للنزاهة والكرامة.

في زمن عبد الناصر، كان الأدباء يُكرَّمون، وكانت رواتبهم تعادل رواتب كبار المسؤولين.

نجيب محفوظ، توفيق الحكيم، جمال حمدان، حسين فوزي، وغيرهم.

وكان العرب يأتون إلى مصر طلبًا للعلم، لا طلبًا للرزق فقط.

كانت الكتب تصدر يوميًا، بأسعار رمزية، والمسرح متاحًا للجميع، والكرامة الإنسانية محفوظة.

كان اسم المصري يرفع الرأس، لا ينحني، ولا ينظر إلى الأرض.

نعم، أخطأ عبد الناصر، وسجن معارضيه، وهذا لا يُنكر.

لكن كثيرين ممن خرجوا من السجن كانوا يُستقبلون في بيته،

ويتحاور معهم، ويصالحهم.

كان إنسانًا، لا ملاكًا، لكنه كان منحازًا للفقراء.

لهذا خرج في جنازته ملايين، في مصر والعالم العربي.

ولذلك كتب عنه كبار المفكرين، وقالوا إن من يُطعم الفقراء لا يُحاسَب حساب القساة.

الإيمان الحقيقي أن تُطعم الجائع، وأن تنشر العلم، وأن تمنح الوطن نورًا.

نعم، أحب جمال عبد الناصر، رغم أخطائه، لأن إنجازاته كانت عظيمة، ولأن المصري في عهده كان إنسانًا له قيمة.

حكى لي كبار السن في الكويت أن الكويتيين كانوا يركضون خلف المصري ليعمل لديهم.

اليوم، صار المصري يلهث بحثًا عن فرصة، بأي ثمن.

لهذا أقولها بوضوح:

نعم، أحب جمال عبد الناصر.

وهذا ليس عيبًا.

عنوان هذه الحلقة: لماذا أحب جمال عبد الناصر.

تحياتي، ومحبة بلا حدود.

الحلقة ٢٩٩

الناس الحلوة فى حياتى

سمير الفيل.. مؤنس الرزاز.. جمال مطر.. حامد الملا

الجمعة الخامس والعشرون من نوفمبر عام ألفين واثنين وعشرين.

لقد تجاوزنا الحلقة رقم ثلاثمائة وخمسين تقريبًا، وهي رسائل موجّهة إلى الأجيال القادمة، إن وُجدت أجيال قادمة أصلًا. وهي أيضًا موجّهة إلى بعض من شباب هذا الجيل، ممن لا يزال يعنيهم الأدب والأدباء في هذه الحقبة من الزمن، سواء سُمِّيَت زمن السقوط، أو زمن الصعود، أو زمن العجائب.

الأغلبية تلعن هذه المرحلة من التاريخ لما فيها من تناقضات، وما تحمله من غرائب.

نحن نعيش هذه الحقبة بكل تشابكها وقسوتها. ووجود هذه المجموعة من الأصدقاء والمحبين يمنح البداية قوة ومعنى، ويجعل اللقاء ممكنًا ومثمرًا.

المنيا، تلك المحافظة العظيمة، التي تأتيني دائمًا بالأخبار الطيبة، شعبها شعب عظيم، وهي بلد جدي، وكنت أتمنى منذ

زمن أن أتعرف إليها عن قرب.

حديث اليوم يأتي ضمن سلسلة «الناس الحلوة في حياتي»، وسأتوقف عند أول اسم من مصر، وهو الكاتب الكبير سمير الفيل، المقيم في دمياط. لم نلتق وجهًا لوجه إلا لقاءات عابرة، لكنه رجل يتابع باهتمام كل من يكتب القصة القصيرة، وله حسّ خاص وأسرار فنية واضحة في كتابته.

كنت أقول منذ أيام قليلة لصديق لي إن أكبر خطأ ارتكبته في حياتي كان حين صدر قرار تعييني مدرسًا للغة الإنجليزية عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين، وكنت آنذاك في زمن كانت فيه الدولة تعيّن الخريجين فورًا. كان تعييني في مدينة كوم حمادة بمحافظة البحيرة، لكنني بدلًا من السفر إليها، حزمت حقائبي وسافرت إلى الكويت.

كنت نادمًا لأنني اخترت طريق الأدب والثقافة بدل الاستقرار الوظيفي. حتى في الكويت، حين قُبلت في وزارة التربية والتعليم براتب أعلى، فضّلت العمل في الصحافة براتب أقل، بدافع حلم قومي عربي، وحلم بالوعي، ومحاربة الجهل،

والنهوض بالثقافة.

لكنني اكتشفت لاحقًا أن كل ذلك كان حلمًا مثاليًا أكثر من اللازم.

أقولها بصراحة: تسعة وتسعون في المئة من الشعوب العربية لا يعنيها هذا الخطاب الثقافي. والدليل بسيط؛ آلاف المتابعين، لكن من يشاهد المحتوى الثقافي الحقيقي لا يتجاوز المئات. وهذه نسبة كاشفة.

كنت أتمنى لو بقيت مدرسًا، وتزوجت، وعشت حياة بسيطة، واشتريت أرضًا، وربيت عجولًا بدل أن أربي العقول. فالعجول تُدرّ مالًا، أما العقول فلا تجد من يرعاها.

القلة التي حاولت العمل معها لم تؤتِ ثمارها كما كنت أحلم.

في المقابل، ظل سمير الفيل في دمياط، يعمل بهدوء، ويقيم ورش كتابة، ويبحث عن المواهب الجديدة، ويكتب القصة والرواية بإخلاص، دون ضجيج. ولذلك أحبه وأقدّره.

وقد جاءه تكريم مستحق من الشيخ القاسمي، ضمن تكريم عدد من أدباء الأقاليم، وهو أمر يُشكر عليه.

الشخصية الثانية من «الناس الحلوة في حياتي» هو الروائي الراحل مؤنس الرزاز. تعرّفت إليه في عمّان في أول زيارة لي للأردن عام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين. كنت قد كتبت عنه قبل أن ألتقيه، دون أن أعرفه شخصيًا، وكتبت عن مجموعته القصصية دون أن أجد حتى نبذة تعريفية عنه.

حين التقينا، نشأت بيننا علاقة طيبة، وأجريت معه لقاءً صحفيًا، ونُشرت اللقاءات في الصحف. وعلى الرغم من الهجوم الذي تعرّضت له آنذاك، ظلت علاقتي بالرزاز علاقة تقدير متبادل.

وعندما توفي، كتبت عنه نصًا صادقًا، فقيل لي إنني كتبت ما لم تكتبه الصحافة الأردنية عنه.

الشخصية الثالثة هو جمال مطر، الشاعر والصحفي والفنان الإماراتي. تعرّفت إليه حين عملت في مؤسسة «الصدى». كان موقفه الإنساني معي موقفًا لا يُنسى.

حين علم بظروفي الاقتصادية، بادر بمنحي دعمًا ماليًا دون تردد، وقال لي بوضوح إن القيمة الإنسانية والثقافية لا يجوز

أن تُهان. كان موقفًا نبيلاً لن أنساه ما حييت.

ومن الشخصيات المهمة كذلك حامد الملا، الملحق الثقافي للسفارة العراقية في الكويت. شخصية نادرة، راقية، إنسانية. بفضله نُشرت أول مجموعة قصصية لي في العراق، وتلقيت مقابلها مكافأة مالية، وهي من اللحظات القليلة في حياتي التي شعرت فيها بأن الكتابة تُقدَّر حقًا.

في تلك الأيام، كانت العراق تطبع الكتب يوميًا، وكانت الثقافة مشروع دولة.

ثم تغيّر الزمن، وجاء الغزو، وانقلب المشهد، وضاعت أشياء كثيرة.

قال لي حامد الملا يومًا جملة لا أنساها: «صح النوم يا أستاذ».

كان يقصد أن الزمن تغيّر، وأننا أصبحنا من «العهد القديم».

نعم، الزمن تغيّر، ربما للأسوأ، وربما للأجمل، لا أدري. لكن المؤكد أن توزيع الكتب، وحضور الثقافة، لم يعد كما كان.

أحيّي سمير الفيل، وأحيّي كل الشخصيات الجميلة التي مرّت

في حياتي.

وسنلتقي الأسبوع القادم مع حلقة جديدة من «الناس الحلوة في حياتي»، لأن الناس بحاجة إلى من يذكر الجميل في الأحياء، ويخلّد ذكرى الراحلين، حتى نقول إن الدنيا ما زالت بخير، وإن فينا شيئًا جميلًا لم يمت بعد.

تحياتي، وشكرًا لكل من حضر وشارك.

وأتمنى الصحة والشفاء لي ولكل الأصدقاء.

السيد حافظ، القاهرة

الحلقة ٣٠٠
المناخ الثقافي والإرادة السياسية

اليوم الثلاثون من نوفمبر عام ألفين واثنين وعشرين

تأخرتُ عشر دقائق، وكنتُ قبلها جالسًا في المقهى مع صديق مخرجٍ وفنان مسرحي محترم، الأستاذ خالد عبد العزيز، المثقف ابن المنيا الجميلة، تلك المحافظة العظيمة بأهلها الطيبين. فالمنيا شعبها جميل، يسوده الحب والتعاون، وهو شعب شعبي بمعنى الكلمة.

كنتُ في انتظار اكتمال الحضور لنبدأ. وكنتُ جالسًا مع صديق مخرج جميل بالقرب من المنزل، لأنني لا أستطيع السير لمسافات طويلة، وهو المخرج محسن العزب. كما أحيّي الفنان والممثل القديم والناقد والكاتب المعروف أحمد الشريف، أحد رموز الخبرة والكفاءة.

بدأنا الحديث عن المناخ الثقافي، لا بمعناه المناخي من صيف وشتاء، بل باعتباره فصلًا من فصول الوعي، فنحن نعيش حالة ثقافية شديدة الخصوصية في الوطن العربي. الثقافة في

هذه المرحلة من تاريخنا تحتاج أن تُؤخذ بشيء من السخرية الممزوجة بالألم.

تلقيتُ اتصالًا من إحدى مدن المحافظات المصرية، وكان الحديث عن صراعات بين المثقفين، وعن ندوات لا يحضرها سوى عشرة أشخاص، سواء في الأقاليم أو حتى في القاهرة. وهذه الحالة ليست جديدة، لكنها كانت مغطاة قديمًا بازدهار جانبي، تمثل في مشروعات ثقافية كبرى.

كانت هناك استثناءات بالطبع، فبعض النجوم كانوا يجذبون الجماهير، مثل هشام الجخ، وعبد الرحمن الأبنودي، ومحمود درويش، وأحمد فؤاد نجم. لكن النجومية والجماهيرية كانت حكرًا على القلة.

قديمًا، في دار العلوم بالمنيرة، كان هناك حراك ثقافي حقيقي. في عهد جمال عبد الناصر، كان هناك مشروع ثقافي واضح؛ كتب تُنشر يوميًا، ومجلات إنسانية، ومسرح بتكلفة رمزية، بل بدعوات مجانية أحيانًا. كان الهدف دفع الناس نحو الثقافة. أما الآن، فقد عادت الطبقية الثقافية، وأصبحت العروض الفنية

حكرًا على القادرين. في الماضي كان المسرح القومي ومسرح توفيق الحكيم وغيرهما يعجّ بالحياة، أما اليوم فقد تغيّر المشهد.

المناخ الثقافي يصنع إرادة سياسية، وحين ترغب الدولة في شعب مثقف، فإنها تهيئ لذلك المناخ. وعندما جاء الانفتاح، وتوسّع القطاع الخاص، تغيّرت الأولويات.

في الكويت، حين عملتُ في المجلس الوطني للثقافة والفنون، كنا سبعةً وعشرين شخصًا فقط، لكننا كنا نحرّك مشهدًا معرفيًا كاملًا. كانت هناك مجلات، وصراع فكري صحي، وتيارات متعددة.

اليوم، كثرة المهرجانات لا تعني جودة حقيقية. لدينا عشرات المهرجانات المسرحية في الوطن العربي، لكن القليل منها فقط يمتلك قيمة فنية حقيقية.

الإنتاج السريع، والأعمال المصنوعة على عجل، أفرغت الفن من مضمونه. في الماضي، كان العمل يُنجز بإخلاص، وكان الفنان يؤمن بدوره الثقافي والاجتماعي.

المناخ هو الذي يوجّهك، ويجبرك أحيانًا على التنازل. لكن المناخ القومي الثقافي الحقيقي لا يقوم إلا بإرادة سياسية واعية. فحين تتوفر هذه الإرادة، تزدهر الثقافة كما حدث في مراحل تاريخية مختلفة.

الريادة الثقافية اليوم ليست في مصر كما كانت، لانشغالها بمشروعات أخرى، بينما تظهر ملامح حراك ثقافي في أماكن جديدة، يحتاج إلى وقت حتى يكتمل.

القارئ، مثل الإنسان، كائن سياسي، يتأثر بما يُقدَّم له يوميًا من محتوى. وعندما تسود السطحية، يغيب العمق.

المسرح في الكويت كان يومًا ما يهزّ مصر، لأن معظم الكفاءات المصرية كانت هناك. أما اليوم، فالمشهد مختلف.

في عام ألفين وسبعة، حين أُعلن عن مشروع ثقافي كبير في دبي، تقدمتُ بمشروع، وعملتُ منسقًا إعلاميًا ثم مديرًا للتطوير. لكن غياب الرؤية الشاملة جعل الجهد محدود الأثر.

لدينا عدد كبير من المهرجانات، لكن الجيد منها قليل. الجودة لا تُقاس بالعدد، بل بالتأثير والاستمرارية.

قديماً، كانت مراكز الشباب تنتج عشرات العروض المسرحية، وكان هناك دعم حقيقي للثقافة الجماهيرية. أما اليوم، فقد تراجع هذا الدور.

قبل أن أنهي حديثي، أشعر بحزنٍ عميق لفقدان الشاعر والمفكر عبد العزيز المقالح، ذلك الرجل الشريف الذي لم يبع وطنه ولم يخنه. كما فقدنا أمين إسكندر، والصحفي الوطني القديم، وهي أيام حزينة بفقدان فرسان الكلمة والموقف.

هؤلاء تركوا أثرًا لا يُمحى، وبقيت ذكراهم دليلًا على أن الثقافة الحقيقية لا تموت، مهما تغير المناخ.

الحلقة ٣٠١
وداعا صلاح فضل.. ذكرى عمنا يحيى حقى

كان من المفترض أن أسجل بالأمس، وقبل الأمس أيضًا، بل وكان من المفترض أن أسجل منذ يوم الخميس.

لكنني لم أكن قادرًا على ذلك.

اليوم العاشر من ديسمبر عام ألفين واثنين وعشرين، يوم ثقيل، يوم بدأ بخبر صادم؛ فقدت الثقافة العربية والمصرية الدكتور صلاح فضل.

والدكتور صلاح فضل شخصية تعرفونها جميعًا.

تعرفت إليه معرفة شخصية عام ألفين وسبعة، في مكتب الأستاذ سيف النبي، الشاعر الكبير، ورئيس تحرير مؤسسة «الصدى»، ذلك الرجل العبقري في عطائه.

دخلت المكتب، فوجدت الدكتور صلاح فضل، والدكتورة فاطمة بودي، صاحبة دار نشر «عيون».

والدكتورة فاطمة بودي سيدة محترمة ومثقفة، كنا أصدقاء،

وأحترم رأيها وثقافتها في الكتابة، ومن أجل الكتابة.

تحدثنا قرابة ربع ساعة عن الثقافة وعن الحياة. ثم انسحبت وتركتهم: الدكتور صلاح فضل، والأستاذ سيف النبي، والدكتورة فاطمة بودي.

كنت كلما أحتار في قضية تقييم أو حكم نقدي، أسأل نفسي:

هل يمكن أن يطلق على هذا كذا أم كذا؟

كنت أحب شجاعة صلاح فضل الفكرية، وكنت لا أحب (تردده القليل في الحكم على الآخرين).

ومع ذلك، يظل صلاح فضل قيمة كبيرة، وأحد القامات الكبرى في مصر، من جيل الكبار الذين تجاوزوا الثمانين.

كان هو وجابر عصفور من آخر هذه القامات.

أنا حزين جدًا على رحيل أستاذنا الدكتور صلاح فضل.

والغريب أن التاسع من ديسمبر هو ذكرى رحيل أستاذنا الكبير يحيى حقي، ذلك المبدع العظيم الذي قدم «قنديل أم هاشم» و«البوسطجي»، وقدم ابتسامة ودمعة، و«صح النوم»، ومجموعة قصص قصيرة جدًا.

كان رائدًا من رواد التنوير والتجديد في القصة الواقعية، وأخذنا إلى الواقع بشكل مختلف عما فعله أستاذنا الكبير نجيب محفوظ.

وأنا أمام يحيى حقي أنحني، وأخلع القبعة تمامًا؛ لأنه الأستاذ العظيم الذي احتوانا ونحن صغار.

قابلته عام ألف وتسعمائة وستة وستين، مع أخي محمد حافظ.

كنت أكتب الشعر العامي، فقال لي أخي: تعال لأعرفك على أستاذنا الكبير يحيى حقي.

ذهبت معه إلى روكسي، وكانت تلك أول مرة أركب فيها المترو، قادمًا من الإسكندرية.

استقبلنا هذا الشيخ الجميل، وجلسنا.

قال لأخي: «إزيك يا محمد؟»، ثم قال لي: «أنت بتكتب شعر؟ سمعني».

سمعته قصيدة، ثم ثانية، ثم ثالثة.

ومن يومها تعلمت من يحيى حقي أن الحكم على شاعر لا يكون إلا بعد سماع ثلاث قصائد.

قال لي: الشعر جيد، لكن ماذا تحب أن تكتب أيضًا؟

قلت له: أحب المسرح.

لم يثبطني، لم يقل لي إن هذا ليس مجالي، بل شجعني.

أرسلت له نصوصي بالبريد إلى الإسكندرية، فنصحني بتغيير أحد العناوين، وقال لي:

هذا العنوان قد يسبب لك مشكلات، فغيّره.

وبالفعل غيرته، وشجعني على التقديم في المسابقات، وقال لي إنني سأحصل على جوائز.

في بداية السبعينيات، كنت معجبًا جدًا بالناقد الكبير إبراهيم فتحي، ذلك الرجل الأسطورة، صاحب الإنتاج القليل، لكن القيمة الكبرى.

نحن نعاني من قلة الأعمدة الثقافية الحقيقية، وكثرة الادعاء.

ذهبت معه إلى مجلة «المجلة»، وكان يرأسها يحيى حقي.

وأمام عيني، قام يحيى حقي بتمزيق مقال لإبراهيم فتحي.

خرجنا، وكان إبراهيم فتحي شاحب الوجه، ثم قال لي:

هو لا يحب ما أكتبه، وأنا لا أكتب ما يريده.

ثم حدثني عن حالته النفسية، وعن التعذيب في السجن، وعن خوفه الدائم.

فهمت وقتها حجم الألم.

لاحقًا، أُبعد يحيى حقي عن المجلة، ولم يدافع عنه أحد:

لا نجيب محفوظ، ولا توفيق الحكيم، ولا إحسان عبد القدوس، ولا لويس عوض.

أسماء كبيرة، وسلوكيات صغيرة.

الله يرحم يحيى حقي.

لم يدافع عنه أحد.

أقول هذا لأننا نعاني من خيانة المثقفين، ومن النفاق الثقافي، ومن الازدواجية.

كثيرون يبتسمون في وجهك، ويطعنونك في ظهرك.

أتحدث أيضًا عن الكاتب الكويتي سليمان الحزامي، الكاتب المسرحي التجريبي المهم، الذي لم يأخذ حقه أبدًا، لا في حياته

ولا بعد موته.

كان مثقفًا حقيقيًا، مختلفًا، لكنه نُسي.

وأقول هذا الآن، لا لمصلحة، ولا لمنفعة، فهو رحل، ومصر والكويت نسيتاه.

وأنا أعطيه حقه بعد رحيله، ولو كنت مقصرًا من قبل، فأنا أعترف بذلك.

الحياة صعبة جدًا.

العالم غاضب، الزلازل، الفيضانات، الغلاء، والواقع القاسي.

لكن لا بد أن نتكلم، قبل أن يأتي الطوفان، وقبل أن نموت، وقد تركنا للأجيال القادمة حقيقة ما جرى في هذا الوطن العربي، وفي مصر خاصة.

سأظل أتكلم.

وسأظل أؤمن بأن القلة الشريفة أهم من الملايين الزائفة.

أسألكم الدعاء بالصحة لي،

والدعاء لصديقي نواف يونس.

وأتمنى لكم الصحة والعافية.

فأغلى ما يملكه الإنسان في هذا الزمن القبيح هو العافية.

محبتي بلا حدود.

وتحياتي.

الحلقة ٣٠٢
على الراعى ونعمان عاشور

أعرف أن الوقت متأخر اليوم، لكن ما بُذل من جهد كبير للوصول إلى هذه المرتبة، أو هذا المستوى في كأس العالم، يستحق الوقوف عنده.

لقد تحققت نتائج غير مسبوقة، وللمرة الأولى يحدث في إفريقيا أو في الوطن العربي مثل هذا الإنجاز، وأرجو أن تكون المرة القادمة أجمل بإذن الله.

بالأمس استفزتني كلمة كتبها أحد الأدباء الكبار في مصر، تتعلق بمن يموت من الفنانين؛ فنبدأ بعد وفاته نقول: فعل كذا، وفعل كذا، وكان كذا.

إذا كنا سنفعل ذلك، فلا داعي لكتابة التاريخ أصلًا، لأن التاريخ حينها يصبح بلا قيمة، كأنه طبخ يُعاد تسخينه.

أنا أحب جملة قالها صديقي الشاعر الكبير سعد الدين السلموني:

«اكشفوا وساخة موتاكم حتى يتعظ الأحياء فيتجهوا إلى

الطريق الصحيح».

المثقف الحقيقي هو الذي يشارك في الحياة الثقافية مشاركة عضوية؛ لا يجلس في بيته مغلقًا على نفسه، بل يشارك في الندوات، وفي النقاشات، وفي الكتابة.

هناك وقائع مهمة حدثت في حياتي، تكشف كثيرًا من سلوكيات بعض المثقفين، وتُظهر مقدار التناقض، بل والانحطاط الأخلاقي لدى بعضهم.

كان الأستاذ نعمان عاشور (رحمه الله) مريضًا في المسرح القومي عدة أيام، ثم خرج من بين المثقفين من شكك، ومن أساء، ومن طعن.

والسؤال البسيط:

هل رفع توفيق الحكيم سماعة الهاتف ليسأل: «هل تحتاج إلى مال؟ هل تحتاج إلى شيء؟»

هل اتصل نجيب محفوظ ليسأل عن حاله؟

هل فعل ذلك أي من كبار الأدباء أو المسرحيين؟

الجواب: لم يحدث.

هذا كله مذكور في كتاب «حياتي والمسرح حياتي» لنعمان عاشور.

يذكر فيه أنه جلس شهورًا بلا مال، وأن مدخراته نفدت، وأنه كان في حالة صحية شديدة السوء، إلى أن جاءه سائق سيارة الدكتور محمد مندور.

ثم جاءت المساعدة، لا من زملائه المثقفين، بل من موقف إنساني فردي.

نحن نعيش حالة غريبة:

نخاف من الموت، ونخاف من الحساب بعد الموت، ثم نتحدث عن الأموات بسوء، ونفتش في حياتهم، ونشوه تاريخهم.

الحساب عند الله، لا عند البشر، ولا على مواقع التواصل، ولا في مقاطع البث.

أنا لا أسبّ، ولا أستطيع أن أسبّ، لأني غير معتاد على قلة الأدب، لكنني أحكي وقائع.

والوقائع أحيانًا تجرح، لكنها ضرورية.

في كتاب «همومي وهموم المسرح» ذُكرت أسماء واضحة،

وذُكرت تقارير، وذُكرت بلاغات، وذُكرت وقائع أوقفت مسرحيات، واتُهم فيها كتاب كبار باتهامات خطيرة، دون دليل، ودون شرف.

وكل ذلك موثق.

في الكويت، في أوائل الثمانينيات، كان هناك رجال محترمون خدموا الثقافة العربية بإخلاص، وكان هناك آخرون أساءوا، كما يحدث في كل مكان.

لا أعمم، ولا أظلم، لكنني أفرق بين من يُحمل على الرأس، ومن يُترك لتاريخه الأسود.

حين توليت إدارة تحرير مجلة «الشاشة»، بفضل الله أولًا، وبفضل الأستاذ سيف النبي، حاولت أن أفتح المجال للكتاب الحقيقيين، لا للمتسلقين.

اتصلت بأسماء كبيرة، في مصر، وفي المغرب، وفي البحرين، وفي غيرها.

بعضهم استجاب، وبعضهم خاف، وبعضهم انسحب، لأن الخوف أصبح سمة عامة.

المؤامرات ليست جديدة، والكراهية ليست جديدة، والتشويه ليس جديدًا.

لكن التاريخ لا ينسى، حتى لو حاول البعض دفنه.

أنا لا أكتب عن نفسي تمجيدًا، ولا أعدد أعمالي فخرًا، لكنني أقول:

كم في هذا الوطن من مثقفين فقراء؟

وكم ابتلي هذا الوطن بالخيانة؟

إنها أمة ابتُليت ببعض أبنائها.

غدًا، إن كان في العمر بقية، سأتحدث عن «الناس الحلوة في حياتي»، أولئك الذين صنعوا مواقف حقيقية، لا شعارات، ولا ادعاءات.

الحلقة ٣٠٣
الناس الحلوة فى حياتى من الكويت ومصر والامارات

النهار كان يوم الخميس، الخامس عشر من ديسمبر عام ألفين واثنين وعشرين.

كنت أتهيأ لبدء حلقة جديدة، بعد انتظارٍ قصير، ريثما يكتمل حضور الضيوف. كان معنا قامات كبيرة من العراق، من المسرح والثقافة والفن، وفي مقدمتهم محسن العزب، الصديق، الشاعر، الإنسان، المخرج، المثقف، والراقي.

بقي لنا ضيف واحد، ثم نبدأ الحلقة، إن شاء الله.

عنوان حلقة اليوم هو: الناس الحلوة في حياتي.

حين أذكر أصدقائي، لا أتحدث عن حكايات خاصة أو عيوب شخصية. لا أقول إن فلانًا كان يسكر، أو أن آخر كان يقضي وقته في اللعب، أو أتناول مسائل شاذة أو خاصة. هذه أمور لا تخصني ولا تهم أحدًا.

أنا لا أتكلم في الخصوصيات، بل في القضايا العامة، الوطنية،

والمواقف الثقافية والفكرية.

الفنان أو الأديب يُقاس سلوكه حين يخون زميله خيانة موقف، لا خيانة شخصية. أما الخيانات الزوجية فهذه مسائل خاصة لا تُطرح ولا تُناقش علنًا.

وكثيرًا ما يُسأل الإنسان أسئلة لا تعنيه ولا تخص غيره، فيكون الرد الوحيد: هذا شأن خاص، لا علاقة لك به.

من الناس الذين أحبهم في حياتي، وأبدأ بهم اليوم، عمي سيد شُحْم.

أقول عنه عمي رغم أن الفارق العمري بيننا لم يكن كبيرًا، لكنني تعرفت إليه في أواخر الستينيات، في مقهى إزابيتش، الذي كان يقع في ميدان التحرير (حيث يوجد الآن أحد المطاعم الشهيرة).

كان سيد شُحْم رجلًا نادرًا، مناضلًا، يساريّ التوجه، معارضًا، وكانت السلطات تقبض عليه كلما زار تيتو مصر.

كان مؤمنًا بالحركات العمالية والنقابات، ويعرف تاريخها معرفة عميقة. لذلك كان مطلوبًا أمنيًا، بينما كنت أجلس في

المقهى أكتب، طالبًا لا أملك إلا شغفي.

كان يمر بالمقهى شعراء ونقاد وفنانون كبار، أراهم من بعيد. وفي أحد الأيام، لم يجد مكانًا للجلوس، فجلس بجواري، ومعه سعد. سألني عمّا أكتب، فأخبرته أنني أكتب نصًا مسرحيًا. شجعني، وقال لي كلمة لا أنساها أبدًا.

تعرفت إلى عمي سيد شُحْم معرفة حقيقية، وأقول إنه أنقذني. كنت طالبًا لا أملك ثمن الطعام، أتقاضى سبعة جنيهات في الشهر، أعيش بها، وأسكن، وآكل، وأعالج عيني. لم أستطع استكمال الدراسة بسبب المصاريف، فغادرت القاهرة وانتقلت إلى الإسكندرية.

بعد سنوات، فتح لي باب الكتابة.

قال لي: اكتب يوميًا.

كنت أكتب مقالًا كل يوم، أو عرض كتاب، أو رأيًا في فيلم أو مسرحية. جعلني أكتب باستمرار، وأضع اسمي مسؤولًا عن صفحة ثقافية، وأنا لم أبلغ الرابعة والعشرين.

هذا المبلغ الذي كنت أتقاضاه آنذاك هو ما أكملت به حياتي،

بل وتزوجت منه. كانت الأيام بسيطة، والحياة جميلة.

تمضي الأيام، وألتقي بشخصيات عظيمة أخرى.

ومن الناس الحلوين في حياتي أيضًا: مجدي نجيب.

مجدي نجيب فارس من فرسان الشعب.

شاعر كتب للوطن، وللحب، وللناس. كتب الأغاني التي صارت جزءًا من الوجدان، وغنى كلماته كبار المطربين.

وهو أيضًا رسام ومؤلف قصص أطفال، صاحب تجربة إنسانية وثقافية نادرة.

تعرفت إليه مصادفة، حين ذهبت إلى إحدى المجلات بحثًا عن لقاء. كان الموقف بسيطًا، لكنه ترك أثرًا عظيمًا في نفسي.

مجدي نجيب صاحب مقولة شهيرة عن الغربة والعمل، وعن النضال من أجل بناء بيت وحياة كريمة، لا من أجل الشعارات.

ابتعد عن العالم، لأن الوطن نسيه، لكن التاريخ لا ينسى.

ولا تزال كلماته وأعماله شاهدة على زمنٍ من الإخلاص.

ومن الشخصيات التي أعتز بها أيضًا: عزيزة البسام.

امرأة استثنائية في ثقافتها ووعيها. التقيتها في الكويت، في مكتبة الدسمة الثقافية، أثناء جمع مقالاتي المسرحية.

كانت مناضلة من أجل ثقافة المرأة، ومن أجل التنوير، ولم تنل ما تستحقه من تقدير.

ومن الشخصيات التي لا أنساها: سيف النبي، المثقف الواعي، المهموم بالثقافة، من أسرة راقية، وكان رئيسًا للتحرير.

عملت في المؤسسة مدققًا لغويًا، ولاحظت أخطاءً وتكرارًا وغياب رؤية. كتبت ملاحظاتي وقدمتها له، رغم أنني كنت أصغر الموظفين.

بعد أيام، فوجئت بأنه استدعاني، وجعل مكتبي بجواره، وطلب مني تنسيق العمل الإعلامي، حتى لا تتكرر الموضوعات، ولكل مجلة شخصيتها.

هكذا وُلدت فكرة التنظيم والتوصيف، واحترام العمل الجماعي.

خططنا لإصدار مجلة أطفال، وخرج العدد الأول، لكن المؤامرات أوقفت المشروع، كما أوقفت غيره.

رغم ذلك، لا أنسى فضل هذا الرجل ولا مواقفه.

أطلب الدعاء لي بالشفاء، فقد بدأت جلسات علاج طبيعي، وأسأل الله أن يتمها على خير.

كما أطلب الدعاء لأصدقاء أعزاء، لمرضى، ولمثقفين نبلاء، لكل من مر بأزمة ويحتاج كلمة طيبة.

هذه كانت أولى الشخصيات التي أتحدث عنها من الناس الحلوين في حياتي.

وما زال في القلب متسع للحديث عن آخرين.

تحية من القلب، من القاهرة، مدينة الدنيا.

إلى لقاء قريب، إن شاء الله.

الحلقة ٣٠٤
دموع المصريين

مساء الأمل، مساء القوة الإيجابية التي تدفعنا إلى مواجهة كل الظروف الصعبة، والأمراض، والاكتئاب. مساء المقاومة؛ مقاومة الذات، والمقاومة الاجتماعية، ومقاومة النفس من اليأس والإحباط. مساء الأمل.

كان اليوم يوم الأربعاء الحادي والعشرين من ديسمبر عام ألفين واثنين وعشرين.

وصل صديقي، وبدأنا الحوار.

الأربعاء الحادي والعشرون من ديسمبر.

رمضان عبد الحفيظ، المبدع الجميل، قيمة فنية كبيرة في المسرح، ويقدّم أعمالًا رائعة في القاهرة.

كنت أنتظر أيضًا صديقين آخرين حتى أبدأ الحلقة، لكن لم يظهر أحد بعد.

الجو بارد قليلًا.

جلست على المقالة، لكنني لم أنشرها.

المهم، كيف حالكم جميعًا؟

أتمنى أن يكون الجميع بخير.

حلقة اليوم، في حال لم يحضر أحد خلال دقائق، سأبدأ بها.

رمضان عبد الحفيظ في حد ذاته قيمة كبيرة جدًا، وقامة فنية حقيقية، وهو صديقي.

الإسكندرية... الإسكندرية.

هناك صور كثيرة، وهناك من يمر مرورًا عابرًا على مواقع التواصل.

الحمد لله، عدد المشاهدات لم يتجاوز بضع مئات، وأنا سعيد بذلك. في هذا الزمن، هذا الرقم يُعد إنجازًا جميلًا، وسط هذا الزحام، ووسط هذا الكم من التفاهة.

نحن بحاجة إلى تماسك اجتماعي، ولحمة عاطفية، ورحمة إنسانية، ووعي علمي.

كل أنواع الإحباط تؤدي بنا إلى التفاهة، إن لم ننتبه.

بدأنا بالفعل، ومضت دقائق.

حلقة اليوم كان من المفترض أن أتحدث فيها عن قضايا مهمة جدًا في تاريخنا.

أمس، تحدث مخرج كبير من العراق الشقيق عن مصر، وقال إن ما يحدث فيها هو نفسه ما يحدث في العراق.

نفس أخلاقيات الفنانين والأدباء، ونفس المشكلات.

مصر هي قلب العروبة، ولا يمكن الفصل بينها وبين الوطن العربي من المحيط إلى الخليج.

نحن لا نملك ترف الانفصال، فموقعنا الجغرافي (كما قال جمال حمدان) فرض علينا هذا الدور.

الجغرافيا فرضت علينا الريادة، بالمعنى الشامل، وبالمعنى الضيق أيضًا.

نحن نعمل في كل شيء، ونقود في كثير من التخصصات.

لكن لدينا مشكلة حقيقية، تحدثت عنها كثيرًا، وهي مشكلة المثقفين.

المثقفون يغضبون مني لأنني أقول ما أشعر به بصدق، لا ما يُرضيهم.

أنا أقول ما بداخلي، وما أراه في الأحداث، لكي أطمئن، ولكي أغسل روحي (وهذا تعبير أحبه).

نعود إلى موضوعنا الأساسي:

مصر.

مصر في حالة ارتباك.

مصر في حالة تهديد.

تمر بأزمة اقتصادية شديدة، نعم، لكنها ليست المرة الأولى.

مصر رأت ما هو أسوأ، وستظل ترى.

مصر الجميلة، المثقفة، الرائعة، مبتلاه منذ فجر التاريخ.

الأمراض، المجاعات، الأوبئة، كلها مرّت على هذه البلاد.

يكفي أن نقرأ كتاب إغاثة الأمة في كشف الغمة لتقي الدين المقريزي، ذلك الكتيب الصغير المفزع، الذي يوثّق تاريخ المجاعات والأوبئة في مصر.

لكنه تاريخ لا نحب أن نتحدث عنه.

أنا لا أتحدث باسم حكومة، ولا أدافع عن سلطة.

أنا ابن الشعب المصري، ابن الفلاحين، والعمال، والبسطاء.

ابن هذا التاريخ الممتد لسبعة آلاف عام.

الشعب المصري مبتلى منذ أيام الفراعنة.

منذ أخناتون، حين اختفت جثته، وقُتل أتباعه المؤمنون بالتوحيد، وبكى الناس، ثم فرح آخرون بعودة العبادات القديمة: آمون وغيره، وعبادة الحيوانات والنباتات.

هذه حقائق تاريخية، لا مزاح فيها.

انطلق الشعب المصري بعدها إلى الإيمان بأشياء أخرى.

تاريخ غريب، وعجيب.

ثم نصل إلى قصة قنصوه الغوري وطومان باي.

حين لم يكن في البلاد حاكم، وكان الخطر يحيط بالجميع.

اجتمع المماليك، وأصدروا فرمانًا لأهل القاهرة، يمنحون فيه الأمان لطومان باي إن عاد.

مرت الشهور، ولم يكن هناك حاكم يحكم مصر.

ومع ذلك، كانت البلاد تسير.

أذكّركم بما حدث في ثورة الخامس والعشرين من يناير.

كان الجيش في الشارع، والشرطة غائبة، ومع ذلك لم تُنهب البنوك، ولم تُكسر البلاد.

الدولة استمرت، والناس تقاضت رواتبها، والبلد مشت بنفسها.

هذا هو نظام الدولة الحقيقي، لا الأفراد.

التاريخ مليء بالأمثلة.

في عهد بيبي الثاني، حكم مصر قرابة تسعين عامًا، ثم انقلب عليه الناس.

وعاشت مصر فترات بلا حاكم، بلا فرعون، بلا قضاء، ومع ذلك استمرت.

مصر أم العجائب والغرائب.

لا تتعجب.

ظل المصريون شهورًا يبكون أمام القصور، يتوسلون للحاكم أن يعود.

البكاء سمة متكررة في تاريخنا.

بكينا في النكسة.

بكينا مع عبد الناصر.

ثم اكتشفنا لاحقًا أننا لم نعرف الحقيقة كاملة.

مظاهرات عام ثمانية وستين، والدبابات أمام الجامعات، كانت صدمة.

لم أصدق أن الجنود يضربون الطلاب.

كانت وطنية عاطفية، ساذجة.

هل البكاء دائمًا تعبير عن الخيبة؟

هل دموعنا خيبة في الاختيار؟

أسئلة لا تزال معلّقة.

نحن الشعب الوحيد الذي صنع ملحمة كاملة عن زعيمه بعد موته، ملحمة الظاهر بيبرس، في سبعة أجزاء، كل جزء مئات الصفحات.

لو كانت هذه الملحمة تُتلى في حياته، لارتعب الجميع.

نحن نمتلك قدرة هائلة على تذويب التاريخ، وتجميله، وتزويره أحيانًا.

هل كان البكاء ندمًا، أم أسفًا، أم حبًا؟

يبقى البكاء هو السر الغريب، والرحمة المختلطة بالحيرة.

هنا أنهي حديثي اليوم.

كان من المفترض أن ألتقي بكم غدًا للحديث عن الناس الجميلة في حياتي.

أهنئ صديقي نواف يونس على نجاح العملية.

وأبارك لصديقي حسن البنداري تجاوزه المرحلة الأولى من المرض، وتكريمه، وترجمة أعماله.

تحية من القلب لكل من تجاوز المرض،

وتمنياتي بالشفاء لكل من يعاني.

مصر محفوظة،

القاهرة، الحادي والعشرون من ديسمبر.

نلتقي غدًا إن شاء الله،

للحديث عن الناس الجميلة في حياتي.

إلى اللقاء

سيد حافظ

الحلقة ٣٠٥
ذكرى الفريد فرج ،وأحمد عباس صالح

كان المساء محمّلًا بالتفاؤل والأمل.

كان اليوم الثامن والعشرين من سبتمبر عام ألفين واثنين وعشرين.

كنت أنتظر اكتمال الحضور، ثم بدأت الحديث.

استحضرتُ أصدقاء أعزاء، وذكرتُ شاعرًا سعوديًا قرأتُ له قصيدة جميلة، رقيقة، تحمل حسًّا عاليًا. وذكرتُ صديقًا من فلسطين، وابنًا عزيزًا من المنيا.

هذا اليوم له دلالته الخاصة.

في مثل هذا اليوم من عام ألف وتسعمائة وسبعين، كانت القاهرة تعيش ليلة استثنائية.

كانت الشوارع مظلمة، والمحلات تُغلق أبوابها، والناس في حالة ذهول وبكاء.

كنتُ وقتها أقيم في فندق بوسط البلد، في منطقة العتبة، وكنت

أقدّم أوراقي للالتحاق بكلية دار العلوم.

كانت ليلة ثقيلة، موجعة.

كنت مع أصدقاء، من بينهم حامد حسيب (رحمه الله)، وكان ممثلًا وزميلًا عزيزًا. بكينا جميعًا. بكيت على جمال عبد الناصر، وكنت أتساءل بصدق: إلى أين ستذهب مصر بعد هذا الرجل؟

لم أكن مقتنعًا تمامًا بأن يكون أنور السادات نائبًا للرئيس، لا شكلًا ولا مضمونًا.

كانت ليلة صعبة، لا تُنسى.

اليوم، أردتُ أن أتحدث عن الذكريات.

تذكرت جلسة في بغداد، في مهرجان شعري في الثمانينيات، وكنت وقتها مع أحمد عباس صالح.

وهنا أود أن أقول ملاحظة مهمة:

كثير من أصدقائي يغضبون عندما أقول الحقائق، لأنهم يريدون تاريخًا مُلمَّعًا، لا تاريخًا حقيقيًا.

الحقيقة أن الأخلاق ليست مثالية كما نُحب أن نصدّق.

التاريخ مليء بالكذب: التاريخ السياسي، والتاريخ الأدبي، والتاريخ الثقافي.

نحن نعيش أزمة حقيقية.

كل شيء في التاريخ له وجهان.

حتى الأنبياء لم يُستقبلوا بالورود.

سيدنا إبراهيم، وسيدنا عيسى (عليه السلام)، والسيدة العذراء، لم يكن استقبالهم كما تصوّره الكتب اللاحقة.

كتب الرحّالة والمؤرخين، مثل الأب سيمون، تقول غير ما يُشاع.

نحن شعب نمتلك ميزة عظيمة واحدة:

القدرة على الاحتواء.

نستقبل الغريب، يعيش بيننا، يصبح واحدًا منا، ويحصل على الجنسية، دون عقد.

لكننا نكذب على أنفسنا كثيرًا.

نقول إننا أفضل شعوب الأرض، وهذا غير صحيح.

نحن لسنا الأفضل، ولسنا الأسوأ، نحن بشر، لنا إيجابياتنا وسلبياتنا.

في جلسة خاصة، قال لي أحمد عباس صالح جملة صدمتني، ولا أنساها:

(إياكم أن تصدّقوا أنفسكم أنكم كُتّاب كبار).

قالها بوضوح:

نحن، جيل الستينيات، لم نكن كبارًا كما يُشاع.

كنا نقف بجوار "الرجل الكبير"، نقصد جمال عبد الناصر، لأن السلطة كانت تحتاج إلى أسماء كبيرة حولها.

قال لي:

جيل السبعينيات، ومنهم سيد حافظ، كان أفضل منّا، لكنه لم يأخذ حقه، لأننا جلسنا على صدورهم.

هذه الجلسة قلبت المكان رأسًا على عقب.

كانت صدمة حقيقية.

تذكرتُ أيضًا ما رواه أنيس منصور عن توفيق الحكيم، وعن

قصة "حمار الحكيم"، وعن الجدل الذي دار حول الاقتباس والتأثر.

حتى الكبار لم يكونوا ملائكة.

كلهم بشر، لهم فضلهم، ولهم أخطاؤهم.

أنا لا أقدّس أحدًا.

أساتذتنا هم أساتذتنا بعيوبهم قبل فضائلهم.

تعلمنا منهم، ثم خرجنا من عباءاتهم، وهذا طبيعي.

ما أقوله ليس تشهيرًا، بل شهادة.

التاريخ الحقيقي يُقال في الجلسات الخاصة، لا في الاحتفالات الرسمية.

الحركة الثقافية لم تُبنَ يومًا على العشوائية، بل على السياسة.

المناصب تُوزّع، والألقاب تُصنع، والنجومية تُفرض أحيانًا.

تاريخنا، في معظمه، ليس تاريخًا، بل "طبخ".

تزوير وتجميل وتلميع.

نحن نعشق المبالغة.

ونعشق أن نرى أنفسنا عظماء بلا حساب.

ومع ذلك، هذه الأرض أنجبت الحضارة.

تعرضت للاحتلال آلاف السنين، ولم تنل حريتها الحقيقية إلا في السادس والعشرين من يوليو عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين.

ودّعنا جمال عبد الناصر، وودّعنا معه زمنًا كاملًا.

ولا ننسى كل الأحبة الذين صنعوا تيارًا أدبيًا عظيمًا في مصر والوطن العربي.

لكن تاريخنا مليء بالعيوب، ومليء بالعِلل.

وهذا لا يُنقص من محبتنا له، بل يجعلنا نراه بصدق.

أحب الأجيال القادمة.

وأتمنى أن تكون أفضل منا، وأصدق، وأكثر شجاعة.

قال جمال حمدان في كتابه شخصية مصر:

(المصريون لا يحبون النقد، وإذا واجهتهم بعيوبهم غضبوا).

هذه حقيقة مؤلمة.

كل المحبة لكم،

وكل المحبة للأصدقاء من المحيط إلى الخليج.

سأتحدث لاحقًا عن الناس الجميلة في حياتي،

وسأتوقف عند الفارق بين فوزي فهمي، وبعض "العظماء" الذين نعيش بينهم اليوم.

إلى لقاء قريب،

تحياتي

سيد حافظ
القاهرة – الهرم
٢٨ سبتمبر

الحلقة ٣٠٦

الناس الحلوة في حياتى

فوزى فهمى ومحسن سليمان وسالم الحناوى

كان الجو باردًا، والملابس مناسبة، والحمد لله.

كنت أنتظر أن يظهر ثلاثة من الأصدقاء لأحكي اليوم عن الناس الجميلة في حياتي.

قبل أن أبدأ، سأحكي حكاية طريفة عن هذا القميص. اشتريته من محل في دبي منذ ثماني سنوات. كان مكتوبًا عليه بعد التخفيض ثلاثمائة وخمسين أو أربعمائة. المهم أنني اشتريته وفرحت به وأخذته إلى البيت. عندما ارتديته، اكتشفت أن السعر قبل التخفيض كان أقل، فضحكت، وزعلت منه، وقررت ألا أرتديه إلا نادرًا جدًا. هذه مجرد حكاية عابرة.

وصل الآن المبدع الكبير زكريا صبح، قصّاص رائع، ومعه طارق، ومن الجميل وجودهم.

هذه الحلقة بعنوان: الناس الجميلة في حياتي.

سأتحدث اليوم عن بعض الأصدقاء الأعزاء في حياتي.

أبدأ بذكر الأستاذ حميد، المخرج السينمائي الجميل، القادم من اليمن العظيم، وتلميذ صديقي عبد العزيز المقالح (رحمه الله)، هذا الرجل الكبير.

سأتحدث اليوم عن الناس الجميلة في حياتي، وسأدخل في الموضوع مباشرة.

أول شخص من الناس الجميلة في حياتي يجب أن أذكره هو الدكتور فوزي فهمي.

كان عميدًا، ورئيسًا للأكاديمية، ورئيسًا لمهرجان المسرح التجريبي، وأحد أعمدة المعهد العالي للفنون المسرحية.

تعرفت عليه في الكويت عندما كان يشارك في لجان التحكيم. وكان رجل دولة بحق. من القلائل من المسؤولين الذين لم يتغيروا بالمناصب. وكان يصلح لأن يكون وزيرًا للثقافة، ولا أعرف لماذا لم يتم اختياره.

تعرفت على فوزي فهمي في الكويت، وكان يقيم في أحد الفنادق بوسط المدينة. وبعد أيام، فوجئت به يتصل بي ويطلب رقم هاتفي في المجلس الوطني، وأجريت معه حوارًا صحفيًا

نُشر في جريدة «السياسة».

كان يتصل بي كثيرًا، وطلب مني ذات مرة أن يسمعني مقطعًا من مسرحية كتبها عبر الهاتف. هذا الموقف أثر فيّ كثيرًا، وأدهشني وأسعدني في الوقت نفسه.

من وجهة نظري، كان فوزي فهمي أفضل كاتب مسرحي بين جيل الدكاترة الذين كتبوا المسرح، من حيث اللغة الشعرية والعمق المسرحي.

وأنا أعلم أن كثيرين يرون عبد العزيز حمودة الأفضل، لكن هذا رأيي الشخصي.

لم أعمل في الحكومة المصرية إلا ستة أشهر فقط. كنت دائمًا كاتبًا مستقلًا، أعيش على قلمي. مثل سيد حجاب، وعبد الرحمن الأبنودي، وغيرهما من الكُتّاب الذين عاشوا «على باب الله».

وكنت وما زلت سعيدًا بذلك؛ لأن التعامل مع الله هو أفضل ضمان في هذه الدنيا.

كان فوزي فهمي، وهو رئيس للأكاديمية، يستقبلني بنفسه،

ينهض من مكانه، ويجلس أمامي، لا خلف مكتبه.

كان يحترم من أمامه، ويعرف قيمة الناس.

على النقيض من ذلك، هناك من تركوني جالسًا بالساعات، يدخل غيري ويخرج، دون اعتبار.

أما فوزي فهمي، فكان مختلفًا تمامًا.

كان يقول لي: أنا أحسدك، أنت تكتب بحرية، وأنا غارق في الأوراق، ورسائل الدكتوراه، والترقيات، والمشكلات الإدارية.

وكان يقولها بصدق.

كنت أذهب إليه وأقترح أسماء مبدعين من تونس والمغرب والكويت للمشاركة في المهرجان، وكان يستمع، ويقدّر، وينفذ.

فوزي فهمي لم يكن داعية، ولا متاجرًا بالسياسة.

قد تكون له أخطاء، لكنني أتحدث هنا عن سلوكه الإنساني والثقافي مع الفنانين والأدباء.

المناصب تلوّث كثيرين، لكن فوزي فهمي كان واعيًا بذلك.

قال لي أحدهم يومًا: كيف تدخل عليه مباشرة بينما ننتظر بالساعات؟

فقلت له: فوزي فهمي جوهري، رجل دولة، يعرف قيمة الناس.

رحمه الله رحمة واسعة.

من الناس الجميلة في حياتي أيضًا الأستاذ لطفي عبد العظيم، مدرس اللغة العربية في الصف الأول الثانوي بمدرسة الإسكندرية الثانوية في أوائل الستينيات.

كان أول من قال لي: «أنت أديب».

وبعد اثني عشر عامًا، التقيته، فقال لي: كنت متوقعًا لك هذا المستقبل.

تحية لروحه الطيبة.

ومن الشخصيات التي لا أنساها أيضًا الكاتب الإماراتي سالم الحتاوي (رحمه الله).

تعرفت عليه في أول زيارة لي للإمارات، وكان شابًا موهوبًا، صادقًا، نقيًا.

دعمني، وفتح لي أبوابًا، وساعدني في السفر والتغطية الصحفية، ووقف بجانبي إنسانيًا ومهنيًا.

رحمه الله، فقد كان صاحب أخلاق عالية.

ومن الناس الجميلة في حياتي كذلك محسن سليمان، شاب إماراتي بسيط، موظف عادي، لكنه موهوب ومبدع.

علّمته الكتابة المسرحية، وتفوق، وحصل على جوائز، وأصبح من أفضل كتاب المسرح في الإمارات.

وأذكر أيضًا إسماعيل عبد الله، ومحمد العميري، وغيرهم من المبدعين الذين كتبت عنهم في وقت مبكر، وكانت المقالات في وقتها.

ومن أصدقائي الذين رحلوا مؤخرًا، الصحفي الكبير سيد عثمان، الذي عملت معه سنوات طويلة في الكويت.

كان من أشطر الصحفيين، وكان إنسانًا جميلًا.

رحيله أثر فيّ كثيرًا.

تحدثت اليوم عن الناس الجميلة في حياتي:

عن فوزي فهمي،

وعن سالم الحتاوي،

وعن محسن سليمان،

وعن أستاذي في اللغة العربية،

وعن أصدقاء كُثُر.

أنا عبد فقير إلى الله.

أسألكم الدعاء بالشفاء، فقد مررت بجلسات علاج طويلة، ثم عاد الألم من جديد، لكن الحمد لله دائمًا.

قدر الله وما شاء فعل.

تحياتي،

ونلتقي الأسبوع القادم إن شاء الله.

الحلقة ٣٠٧
حلقة استثنائية عن الراحل العظيم د. محمد عنانى

مساء الخير.
الثالث من يناير عام ألفين وثلاثة وعشرين.
حلقة خاصة استثنائية عن فقيه الأمة وفقيد الوطن، وفقيد الثقافة العربية الكبير، الدكتور محمد عناني.
قد أختلف في الرأي مع بعض الأصدقاء في تناول الشخصيات، فقد كان صديقي محفوظ عبد الرحمن يرى الأمور من زاوية مختلفة. لم يظهر حتى الآن، لكن أول ما يظهر نكمل. الجو بارد فعلًا.
وأخيرًا أصلحت هذا البلوفر، فقد كانت السحّاب غير موجودة، فوجدتها عند سيدة تعمل في إصلاح الملابس وتبديل السحّابات.
حديث اليوم عن قيمة كبيرة، الدكتور جمال التلاوي، الروائي، والشاعر، والناقد، والكاتب الكبير، قيمة حقيقية.
قيمته لا تُختصر.

نبدأ حلقتنا اليوم، إن شاء الله، وهي حلقة استثنائية عن الدكتور محمد عناني.

أنا أختلف في طريقة تناول الكتابة عن الشخصيات الكبيرة، وكثيرًا ما اختلفت مع صديقي الراحل محفوظ عبد الرحمن، وهو كاتب كبير وأساس مهم وعظيم، وكان يعمل في التلفزيون في الإسكندرية.

في عام ستة وسبعين، كنت في الكويت، وكان محفوظ عبد الرحمن يعمل في لجنة قراءة النصوص مع السيدة عواطف البدر، بقيادة سعد الفرج. وكان تلفزيون الكويت آنذاك مبنى متواضعًا بجوار المقابر في وسط البلد، هو والإذاعة. وكنت أنا أعمل في مجلة متواضعة جدًا اسمها «صوت الخليج»، وكنت أجمع الأخبار الفنية.

كان محفوظ عبد الرحمن نجمًا كبيرًا.

وكان يقول لي مازحًا: حين كتبت عن أم كلثوم، جعلتها ملاكًا من أول السطر إلى آخره، ملاكًا يمشي على الأرض.

كنت أمزح معه في هذا الأمر.

محفوظ كان له وجهة نظر؛ حين يتناول شخصية، يرفعها إلى السماء.

أما أنا، فلا أرى ذلك.

نحن المصريين لا نحب الاعتراف بالفضل.

أنا أتحدث اليوم عن أسطورة ثقافية، عن القوة الناعمة، عن عمود من أعمدة القوة الناعمة لمصر.

وهذا الكلام موجه إلى الشباب بالذات، وإلى ابني عبدو، وإلى ابنتي رضوى، وإلى أصدقائي.

القوة الناعمة في مصر هي الأزهر، وشيخ الأزهر، والصحافة، ومحمد حسنين هيكل، والعقاد، وطه حسين، والمجلات الثقافية، والإذاعة المصرية، والتلفزيون المصري، أول تلفزيون في العالم العربي.

هذه هي القوة الناعمة فقط.

لكن لا يصح أن نغرق في التاريخ وننسى الحاضر.

مصر قوة ثقافية كبرى، واليوم أتحدث عن دكتور محمد عناني.

محمد عناني أسطورة من أساطير الثقافة في مصر.

ترجم أعمالًا لا تُحصى، وأشرف على مراجعة ترجمة القرآن الكريم، وترجم أعمال أحمد شوقي من العربية إلى الإنجليزية، ومن الإنجليزية إلى العربية.

لم يقم أحد في الترجمة بمشروع متكامل كما فعل محمد عناني.

فقدنا قيمة كبيرة جدًا، وعظيمة جدًا.

وله ثوابه في مراجعة ترجمة القرآن الكريم.

لكنني أريد أن أتحدث بصدق عن علاقتي الشخصية به.

رأيي فيه أنه عظيم، وعمود أساسي في عملية الثقافة.

مشكلتي مع محمد عناني (رحمه الله) بدأت من خلال كتابات فاروق عبد القادر، الذي شن حملة شديدة على مجموعة من الدكاترة في السبعينيات، وكان يرى أنهم يسيطرون على الحركة المسرحية.

وكان يقول إن عبد العزيز حمودة أفضلهم مسرحيًا.

أما أنا، فرأيي الشخصي أن فوزي فهمي كان الأعمق مسرحيًا.

كنت أعمل في ملحق ثقافي بإحدى الجرائد اليومية، وكنت أغطي كل ما يُكتب عن المسرح.

وفي تلك الفترة، كتب الدكتور مصطفى عبد الغني كتابًا مهمًا بعنوان «المسرح المصري في السبعينيات»، وذكر فيه أسماء كثيرة، وكان لي فصل مستقل، لكن اسمي حُذف بطلب من المشرف على السلسلة (حمدي الجابري)، وقال له: بلاش السيد حافظ.

(الله يسامحه).

أذكر هذه الواقعة لأوضح طبيعة العلاقة بيني وبين الدكتور محمد عناني.

التقيته في ندوة بقصر ثقافة الشاطبي، وكان دكتورًا محترمًا. قدمته الندوة بوصفه رئيس قسم، ورئيس تحرير، وعضو كذا، وعضو كذا، بعدد كبير من المناصب.

قلت له بعفوية: يا دكتور، المناصب كثيرة عليك.

ففوجئت برد فعله، وقال لي إنه يتولى هذه المناصب ليعمل ويجمع المال، ويستطيع أن يشتري سيارة مثل التي أملكها.

قلت هذا الكلام بحسن نية، لكن من يومها أُغلقت الدنيا بيني وبينه.

ومع ذلك، يظل محمد عناني أسطورة في الترجمة، والفكر، والثقافة، واللغة العربية، واللغة الإنجليزية.

وفي ندوة عن أحمد شوقي، طرحت عليه سؤالين:

الأول: إذا كانت مسرحيات أحمد شوقي قد كُتبت خصيصًا لفاطمة رشدي، فلماذا لم تُقدَّم بعد ذلك؟

والثاني: لماذا لم يقترب أحد من هذه المسرحيات لاحقًا؟

في الجلسة نفسها، شهد الدكتور علاء عبد الهادي على الحوار.

وسألني الدكتور محمد عناني سؤالًا مباشرًا: هل تعترف بأنني كاتب مسرحي؟

قلت له نعم، أنت أحد فرسان المسرح المصري في السبعينيات.

فانحنى لي شكرًا، وهذه أخلاق الكبار.

رغم كل ما حدث، أنا حزين جدًا على رحيل محمد عناني.

كما حزنت من قبل على صلاح فضل، قيمة كبيرة أخرى.

نحن نعيش زمن صعود الأقزام، واختفاء الكبار، إما بالتقاعد، أو المرض، أو الوفاة.

مصر تفقد أهراماتها الثقافية واحدًا تلو الآخر.

أنا حزين حزنًا خاصًا على الدكتور محمد عناني.

الحقيقة مرة، ونحن نتعامل مع بعضنا بعنف ناعم.

ما يحدث للمثقفين في مصر مؤلم.

نحن شعب لا يعرف قيمة رموزه إلا بعد رحيلهم.

فقدنا رجلًا من كبار الأدباء، ومن كبار المثقفين.

وعزائي لمصر.

هذه حلقة استثنائية خارج الزمن.

تحياتي.

الحلقة ٣٠٨
علاء الأسوانى وعمار على حسن وروجيه عساف وخالد الطريفى وعبد الكريم برشيد

مساء الخير، مساء الأمل، مساء المحبة.

اليوم هو الرابع من يناير عام ألفين وثلاثة وعشرين، وكان لدي موعد مع الطبيب.

دائمًا أقول إن لي رأيًا واضحًا: إن الشاعر في الخليج يحمل فكرًا وحساسية وإضافة عميقة جدًا، ربما أكثر من كثير من الدول العربية الأخرى (بالمعنى المجازي). هذه مسألة مهمة.

كان من المفترض حضور شخص ثالث، وكنت أعاتب صديقًا لأن الدخول دون تحية لا يليق، فالكلمة الطيبة مدخل إنساني ضروري.

الحلقة اليوم، وقبل أن أبدأ، لدي قضيتان سأتحدث عنهما بإيجاز.

القضية الأولى تتعلق بالكاتب الروائي الكبير علاء الأسواني.

شاهدتُ بالصدفة حلقة من لقاء أسبوعي له، وهو كاتب مهم بلا شك. لكنه كان يتحدث عن كتاب جديد لصديقنا عمار علي حسن، وهو كاتب وباحث كبير.

رغم أن علاء الأسواني أثنى عليه، فإن طريقة الحديث لم تُرضني. كان الحديث عنه عابرًا، وكأنه أقل إبداعًا، وهذا ما أزعجني.

علاء الأسواني كاتب كبير وجيد، لكن عمار علي حسن كاتب كبير وجيد جدًا.

ولهذا كان يستحق مساحة أوسع، وتقديمًا أكثر عمقًا وإنصافًا.

أقول هذا مع كامل احترامي لقيمة علاء الأسواني وتاريخه ونضاله السياسي، وهو فوق رأسي. لكن طريقة الحديث لم تكن موفقة (في تقديري الشخصي).

القضية الثانية تتكرر معي كثيرًا.

أفتح بريدي فأجد من يرسل إليّ دواوين شعر، أو روايات، أو دراسات، ويطلب رأيي.

والسؤال البسيط الذي تعلمته من كبار الكُتّاب: هل قرأتَ لي

قبل أن تطلب رأيي؟

يحدث أن يطلب أحدهم رأيًا في كتاب من ثلاثمئة صفحة، بينما لم يقرأ لي مقالًا واحدًا أو كتابًا واحدًا.

هذا نوع من الجرأة غير المقبولة.

احترمني حتى أحترمك. اقرأ لي أولًا، ثم اطلب رأيي.

هذه التجربة عايشتها مع كبار الكُتّاب، حتى مع كُتّاب مصريين عاشوا في باريس، وكانوا يرفضون إجراء حوارات إذا لم يكن المحاور قد قرأ أعمالهم.

الأمر نفسه حدث مع سعد الله ونوس، ومع غيره من القامات الكبيرة.

القاعدة واضحة: إذا أردت رأيًا، فابدأ بالقراءة.

لاحظتُ أيضًا ظاهرة الجماعات المسرحية التي تظهر فجأة ثم تختفي فجأة، مثل مسرح الحكواتي في لبنان، ومسرح الفوانيس في الأردن.

مشاريع تبدأ بقوة ثم تتلاشى.

أين ذهب المخرجون؟ أين المنظمون؟ لماذا بقي الكاتب وحده،

بينما اختفى المشروع؟

أنا شخصيًا مررت بتجربة المسرح التجريبي في مصر منذ أواخر الستينيات. أسسنا مجموعة، وضمت فنانين ومبدعين كبارًا، واستمررنا رغم التجاهل، وطبعنا أعمالنا على نفقتنا الخاصة، حتى جاء زمن مختلف، وتغيّرت الظروف.

حين جاء فاروق حسني وزيرًا للثقافة، انطلقت مهرجانات المسرح التجريبي، وتحولت مصر كلها تقريبًا إلى فضاء تجريبي.

مهما اختلفنا معه، لا يمكن إنكار ما قدمه من خدمات ثقافية كبرى: متاحف، مسارح، معارض، مهرجانات، وحراك ثقافي واسع.

أما على المستوى العربي، فقد أنعم الله علينا بالهيئة العربية للمسرح، وبرعاية الشيخ سلطان القاسمي، الذي يحب المسرح حبًا حقيقيًا، ويدعمه بوعي واستمرار.

ومع ذلك يبقى السؤال:

هل نريد استمرار المسرح فعلًا؟

أم نكتفي بالشعارات؟

أتذكر موقفًا مهمًا للفنان الكبير محمود ياسين (رحمه الله)، حين قدّم استقالته من إدارة المسرح القومي، وقال جملة لا تُنسى:

(نحن لا نحب بعضنا، فكيف سنقف معًا على خشبة المسرح؟)

الأزمة نفسها في السينما، حيث تتحول أحيانًا إلى وسيلة للربح فقط، لا مشروعًا فنيًا حقيقيًا.

قال وجدي أباظة يومًا إنه مستعد لبيع أثاث بيته من أجل إنتاج فيلم جيد.

حديث اليوم لا أريد الإطالة فيه، لكني أوجّه كلمة صريحة إلى الدكتور علاء الأسواني:

الهوينا... حين تتحدث عن قامة كبيرة من زملائك، امنحه حقه من الوقت والاهتمام.

أنا لا أدافع عن شخص بعينه، بل عن مبدأ الإنصاف.

كما أكرر طلبي: لا ترسلوا إليّ أعمالكم طالبين الرأي، وأنتم لم تقرؤوا لي سطرًا واحدًا.

وأطالب أيضًا بإعادة إحياء التجارب المسرحية العربية الجادة، ودعم المبدعين الحقيقيين، لا ترك المشاريع تموت في منتصف الطريق.

محبتي لكم بلا حدود.

شكرًا لكل من حضر واستمع.

نلتقي غدًا، إن شاء الله، في موعدنا.

تحياتي لكم من القاهرة المحروسة، مع خالص الدعوات بالصحة والعافية.

الحلقة ٣٠٩
الناس الحلوة في حياتى
أشرف زكى ، مصطفى هدارة ، نور الشريف ، شريف اباظة
سلطان المسرح الشيخ القاسمى حاكم الشارقة

مساء الخير.

اليوم هو يوم الخميس الخامس من يناير عام ألفين وثلاثة وعشرين.

منذ ثلاثة أيام لم أخرج من المنزل، وأشعر برغبة شديدة في النزول إلى الشارع. لا بد أن أتمشى، كما أوصاني الطبيب، نصف ساعة كل يوم. الجو بارد، ومع ذلك لا بد من الحركة.

تتداعى الحكايات، فقد تقدّم بي العمر قليلًا. أتذكر عبدَه، القديم الجميل، وأتذكر القراءة في الحياة، وحياة مرسي جميل عزيز، وعزّ الدين.

يستحق عبدُه كل تقدير.

كان هناك شخص ثالث حاضر، وبوجوده أصبحنا ثلاثة، وبذلك

نستطيع أن نبدأ حلقة اليوم، حلقة يوم الخميس المعتادة.

أتذكر أناقة الزمن الجميل، فقد كانت والدتي (رحمها الله) تحرص على أن تشتري لنا القمصان الجيدة، وتقول إننا أبناء الحاجة حافظ، ولا بد أن نرتدي ما يليق بنا. تعلمنا هذا الدرس، والحمد لله. ولذلك، حين ذهبت الأموال، بقي الأثر الطيب.

أتحدث اليوم عن الناس الطيبين في حياتي، وعن الناس القاسية أيضًا.

فالقرآن الكريم ذكر المصريين بوصف (المنكرين)، ونحن بالفعل كذلك. وقد قال جمال حمدان إن المصريين لا يحبون الاعتراف بالفضل، بل يميلون إلى قلب الصفات الجيدة في الشعوب الأخرى ونسبتها إلى أنفسهم.

ولهذا من المهم جدًا قراءة كتاب شخصية مصر، فهو كتاب بالغ الأهمية. يتحدث فيه جمال حمدان عن الجغرافيا، لكنه كل عشر صفحات تقريبًا يتوقف ليقدم خلاصة فكرية عميقة.

قال لي أحد وزراء الثقافة السابقين إن جمال حمدان كان قاسيًا في أحكامه. لكني أقول: لم يكن قاسيًا، بل كان واقعيًا.

كتب عن بناء الشخصية، وهناك كتاب آخر بعنوان بناء البشر لمحمد عمار، صدر عام ١٩٦٨، وهو كتاب مهم في هذا السياق.

نحن – كمصريين – ننكر الفضل كثيرًا. العلماء كتبوا ذلك، ومحمد عمار كتبه، وجمال حمدان كتبه. وأنا أذكر هذه الأمثلة حتى لا يُقال إنني متحامل.

خذوا مثلًا الجزائر: بعد هزيمة عام ١٩٦٧، طلب جمال عبد الناصر السلاح، وكان الرد أن السلاح موجود لكن المال غير متوافر. هذا الكلام موثّق في مذكرات رؤساء الوزراء والوزراء في ذلك الزمن. أحدهم دفع عشرة ملايين جنيه للاتحاد السوفيتي ليُصنَّع سلاح لمصر.

وفي عام ١٩٧٣، كانت الجسور التي عبرت عليها الدبابات من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية قد موّلتها ليبيا. هذه الجسور الخشبية التي فُرشت فوق المياه لعبور الدبابات، دفع ثمنها القذافي. ومع ذلك، لا نذكر هذا الفضل.

ودار الأوبرا عندنا كانت هدية من اليابان إلى الشعب

المصري، ومع ذلك لا نذكر اليابان كما ينبغي في الافتتاحات الرسمية.

وقاعة الاحتفالات الكبرى قامت ببنائها الصين، وتم افتتاحها في عهد الرئيس مبارك.

نحن لا نذكر أصحاب الفضل، لأننا (منكرون).

وأنا أقول هذا لأنني مصري حقيقي، وأغلب المصريين كذلك.

أعود مرة أخرى إلى الناس الطيبين في حياتي.

أتحدث عن الدكتور أشرف زكي، نقيب الفنانين. عرفته في بداياته حين رشّح نفسه للانتخابات، وكان شابًا جديدًا. رأيت فيه الخير، ووقفنا معه، ونجح. كان شديد الحرص، وتعلّم على يد قيادات عظيمة.

في إحدى المرات، قابلته في المستشفى. كان موقفه معي إنسانيًا عظيمًا أثناء أزمة مرض زوجتي (رحمها الله). كان يتواصل مع وزارة الصحة لتوفير الدعم، لأن تكلفة اليوم الواحد في المستشفى كانت باهظة.

في الوقت الذي اختفى فيه كثيرون، وابتعد حتى بعض

الأصدقاء، وقف معي وقفة حقيقية.

كان هناك أيضًا أصدقاء من خارج الوسط الفني وقفوا بجانبي، وساعدوني بما استطاعوا. مبالغ بسيطة، لكنها في وقتها كانت تعادل الملايين.

وأقول الحق: أشرف زكي وقف معي مرة أخرى حين سافرت إلى الإمارات، وتعرضت لمؤامرة أدت إلى فصلي من العمل، وتراكمت عليّ الديون. كنت مهددًا بالسجن بسبب الإيجار.

كتب لي خطابًا إلى الشيخ سلطان القاسمي، سلطان المسرح، وشرحت فيه ظروفي.

وبفضل الله، ثم بفضل الشيخ سلطان القاسمي، دُفع المبلغ، وتم إنقاذي من السجن.

(رحمه الله وجعل ذلك في ميزان حسناته).

كما أذكر بالخير نور الشريف، ويحيى الفخراني، وغيرهم من الكبار الذين قالوا كلمة حق، وكانت الكلمة في وقتها فعلًا.

أتذكر أيضًا اللواء شريف أباظة، الذي بكى تأثرًا بما حدث، ووقف موقفًا نبيلًا في أزمة مفتعلة ضدي، بسبب شكوى كيدية

كُتبت بناء على مقال سخيف.

في نفس الأزمة، وقف الدكتور مصطفى محمد مصطفى العشماوي، وكتب شهادة رسمية تؤكد أنني لم أتقاضَ أموالًا من أحد، وكانت شهادة شجاعة ونزيهة.

أقول هذا كله لأننا شعب لا يعترف بالفضل.

ننكر فضل اليابان، وننكر فضل الاتحاد السوفيتي، وننكر فضل الصين، وننكر فضل الجزائر، وننكر فضل ليبيا، وننكر فضل كل دولة عربية ساعدت مصر.

وأنا أقول: شكرًا لكل دولة عربية قدمت خدمة لمصر، وشكرًا لكل إنسان وقف معي بكلمة أو فعل.

لا أريد شيئًا من الدنيا، سوى الصحة والعافية.

وأتمنى أن تزول الغمة الاقتصادية عن مصر، وأن يعبر هذا الشعب الكريم محنته.

تحياتي لكم، ومحبتي بلا حدود، من القاهرة المحروسة.

دعواتكم لي بالصحة، فالصحة أهم شيء.

إلى اللقاء، نلتقي الأسبوع القادم على خير.

الحلقة ٣١٠
نداء إلى السعودية والإمارات وقطر ودبى وسلطنة عما

مساء الخير، مساء الأمل.

اليوم هو يوم الأربعاء الحادي عشر من يناير. مواعيد الأسبوع مع أصدقائي الكبار العظام، ومع التلاميذ الشباب صغار السن، كبار المقام والإبداع.

حديث اليوم عن قضية مهمة جدًا، وهي قضية التشغيل، وما نعيشه من حالة ركود شديدة في الوسط الإنتاجي، ولا سيما الإنتاج التلفزيوني، وما يدور في هذه الدوامة من مشكلات عويصة نعيشها جميعًا. اسمحوا لي أن أتحدث اليوم عن هذا الموضوع المهم.

كنت قد عدت لتوي من إجراء أشعة على المخ من أجل صرف الدواء. كان معي صديقي الفنان التشكيلي، رسام الكاريكاتير المبدع محمد عمر، الذي أمتعنا في «أخبار اليوم» باسمه، وأمتعنا في «آخر ساعة».

كنت في انتظار ثلاثة من الأصدقاء لنبدأ الحلقة، إن شاء الله. أجريت الأشعة، وغدًا إن شاء الله سيكون كل شيء على ما يرام. من الواضح أن الكوليسترول المرتفع هو السبب في هذه المتاعب، لكن بإذن الله سيكون كل شيء خيرًا، وسيكون الوضع ممتازًا.

ما زلت في انتظار الصديق الثالث لأبدأ مباشرة.

فنحن نعيش أزمة شديدة جدًا في الوطن العربي، أزمة حقيقية في قضية الإنتاج التلفزيوني، ولا بد من فتح هذا الباب اليوم، لأنه أمر بالغ الأهمية.

سأتحدث اليوم عن قضية الإنتاج التلفزيوني.

نحن الكُتّاب، ونحن الممثلون، ونحن الفنانون، وكل من يتعامل مع الدراما التلفزيونية والإذاعية، نعيش أزمة شديدة، ومشكلة كبيرة، خاصة في مصر.

في مصر وحدها يقارب عدد العاملين في المجال الفني نصف مليون فنان: كاتب، ممثل، مساعد مخرج، مصور، وجيش كامل من العاملين، يقف خلفهم نصف مليون أسرة.

نحن نتحدث عن عشرين ألف فنان كبير، لهم أسر، يقدمون أعمالًا جيدة ومتميزة كل عام، وخاصة في شهر رمضان.

لكن الواقع يقول إن من لا يعمل، لا يجد فرصة. الناس كلها تشكو، والجميع يقول إن النقابة يجب أن تشغلنا، لكن ماذا تستطيع النقابة أن تفعل، وهناك شركة واحدة فقط تنتج في مصر الآن؟

أقترح – وأنا أتحمل مسؤوليتي كاملة – عودة الشركة الكويتية للإنتاج، التي كانت موجودة في مصر يومًا ما، في مسرح الجيب، وكانت تنتج عشرة إلى خمسة عشر مسلسلًا.

كان مدير المكتب آنذاك الأستاذ سعد الدين وهبة، وكيل الوزارة والمؤلف الكبير، ثم جاء بعده الأستاذ كمال الطويل، الملحن الكبير، وكان لهذه الشركة أيضًا استوديو في الكويت، هو استوديو الدسمة، الذي كان ينتج مسلسلات مصرية وأخرى بدوية بمشاركة فنانين من الأردن.

اليوم، فنانو الأردن متعطلون، والشركات الأردنية أغلقت، والإنتاج توقف، والكارثة مستمرة.

أنا أقول إن عودة الشركة الكويتية للإنتاج، وإنتاج أعمال مصرية، ستشغل عددًا هائلًا من الناس، خاصة في ظل انخفاض قيمة الجنيه وارتفاع الدولار.

وأنا هنا أعتذر للكويتيين عن التجربة السيئة السابقة، وعن التصرفات غير اللائقة التي قامت بها بعض الجهات، وملاحقة سيارات التصوير بطريقة غير حضارية. هذا كان سلوكًا خاطئًا، وأتحمل مسؤوليته الأدبية كمصري.

أقولها بوضوح: حقكم علينا.

ارجعوا مرة أخرى، فمصر تحتاجكم، ونحن نحتاج هذا التعاون.

نحن في مأزق حقيقي.

وأطالب أيضًا إخواننا في أبو ظبي بإعادة فتح استوديوهات عجمان، وإنتاج مسلسل مصري كل شهر. الإمكانات موجودة، والفنادق موجودة، والناس جاهزة للعمل.

كما أطالب بإعادة النظر في عودة شركة دبي للإنتاج الفني، التي كانت قائمة في شارع سوريا بالقاهرة، تحت إدارة الراحل

محمد عبد الفتاح.

وأطالب صديقنا الفنان الكبير عمر غباش بتقديم ورقة عمل لإعادة فتح هذا الباب، في ظل الظروف الاقتصادية الخانقة التي يمر بها الوطن العربي عامة، ومصر خاصة.

لماذا لا تعود شركات الإنتاج الخليجية لتنتج مسلسلات مصرية، وسورية، وعراقية، وأردنية؟

بهذا الشكل نُشغّل الناس، ونُعيد الحياة إلى الفن، بدل أن نترك الفنانين جياعًا ومهمشين.

أطالب أيضًا دولة قطر، التي كانت في وقت من الأوقات تنتج أعمالًا درامية عربية مهمة، أن تعود مرة أخرى للإنتاج، فالأمر لا يحتاج إلى معجزات، بل إلى إرادة.

كما أطالب المملكة العربية السعودية بفتح قنوات إنتاج متخصصة، فبناء الإنسان أهم من أي شيء آخر.

نحتاج إلى فن واعٍ ، لا مجرد ترفيه عابر. نحتاج إلى دراما تصنع الوعي، لا فقط الضحك.

العالم العربي يمر بهزة خطيرة، والعالم كله يتغير. لا بد من

فتح أبواب العمل مرة أخرى، حتى يعيش الناس بكرامة.

كان هناك إنتاج في سلطنة عُمان، ثم توقف، ويمكن تصحيح الأخطاء وإعادة المحاولة.

نحن الآن في أزمة طاحنة، مأساوية، للفنان العربي. نسبة صغيرة فقط تعمل، والبقية جالسة في البيوت: كتّاب، ممثلون، مصورون، فنيون، كومبارس، صف أول وثانٍ وثالث.

أنا أطالب بالعمل، لا بالمنح.

شغّلوا الناس، افتحوا المسارح، افتحوا التلفزيون، افتحوا أبواب الإنتاج، ليس بالضرورة أن يكون كل شيء كوميديًا.

إلى كل المسؤولين في الوطن العربي:

إذا كانت هناك أخطاء في التجربة المصرية، فلتُصحَّح، لكن لا يُغلق الباب.

لأن الجوع قادم، وسنفقد ناسًا كثيرين إذا لم نتحرك الآن. والإنقاذ الحقيقي هو العمل، لا الكلام.

أدعوكم، وأناديكم، وأشد على أيديكم، من أجل الفن، ومن أجل الحياة.

الحلقة ٣١١
الناس الحلوة في حياتى
مجدى عفيفى و محمد زكى العشماوي
ومحمد السنوسى ومحمد على الشويهدى

مساء الخير.

موعدنا اليوم أن نتحدث عن الناس الطيبين في حياتي. اليوم هو يوم الخميس، الثاني عشر من يناير عام ٢٠٢٣، وما زلت لم أعتد بعد على عام ٢٠٢٣. في يوم الخميس أتحدث عن الناس الطيبين في حياتي. كنت أنتظر ظهور ثلاثة من الأصدقاء لأبدأ الحلقة مباشرة، إن شاء الله.

كان الجو اليوم شديد البرودة في الإسكندرية، فاطمأننت على الأهل هناك عبر الهاتف. الجو صعب قليلًا، والبرد قاسٍ. أما في القاهرة فلم أنزل؛ لأن البرد شديد، فقلت لنفسي إن احترام الشيخوخة يقتضي الجلوس في البيت والتأمل في المشهد كله، ومتابعة الأخبار قليلًا، وربما مشاهدة فيلم أجنبي.

أستاذنا الكبير نواف يونس، المثقف الكبير، والناقد، والقاص،

والإنسان النبيل، أحد أساطير المثقفين، رجل محترم، محب، وصديق عزيز.

اليوم من المفترض أن أتحدث عن الناس الطيبين في حياتي، بعض الناس الطيبين؛ لأن في حياتي كثيرًا من الطيبين، وقد تحدثت عنهم من قبل، وسأتحدث عنهم مرة أخرى.

سأتحدث عن كفاح عوّاد من الأردن، الكاتبة الجميلة المحترمة، وسأتحدث عن شخص من الكويت، وشخص من ليبيا، وسأتحدث عن مصر.

وسأبدأ بأول شخص أتحدث عنه من مصر، وهو الأستاذ مجدي عفيفي، الناقد الكبير، ورئيس تحرير «أخبار الأدب».

في أيام ثورة الخامس والعشرين من يناير العظيمة، تغيرت الأحوال وتبدلت الأوضاع تبدلًا كاملًا. كانت أيامًا عظيمة، خرج فيها الشعب، وتغيرت الصحافة والثقافة، وحدث في مصر أمر عظيم لم يحدث من قبل، لا في القرون السابقة ولا في آلاف السنين.

فوجئت باتصال هاتفي من الأستاذ الدكتور مجدي عفيفي،

رئيس تحرير «أخبار الأدب». قال لي: أنا مجدي عفيفي، بلا ألقاب ولا مسميات، وقال لي: تعال يا مجدع، أنا أتابعك وأريدك أن تكتب عندنا.

تخيلوا، لأول مرة في مصر، وربما لآخر مرة، يحدث أن يطلب مني أحد أن أكتب. «أخبار الأدب» التي كان جمال الغيطاني يمنعني من النشر فيها، لا خبرًا ولا قصة ولا مسرحًا ولا غير ذلك.

وأنا أحب جمال الغيطاني، وكنت أقرأ له، لكنه كاتب جيد، لا عظيم.

دخلت «أخبار الأدب» بعد خمسة عشر أو عشرين عامًا، بطلب من هذا الرجل العظيم، الدكتور مجدي عفيفي. وبدأ ينشر لي أسبوعيًا.

في أول حلقة كان هناك لقاء معي أجراه الكاتب الكبير عز الدين المدني، الكاتب التونسي الكبير، ونُشر اللقاء على الغلاف، وظهر اسمي وصورتي على الغلاف.

عندما وجدت اسمي على غلاف «أخبار الأدب»، أدركت

وآمنت أن ثورة قد حدثت في مصر.

لو حكى لي الناس عن ثورة لما صدقت، ولكن أن أجد اسمي على غلاف «أخبار الأدب»، فهذا وحده دليل على التغيير الحقيقي.

بدأ مجدي عفيفي ينشر لي كل أسبوع. قلت له مرة إنني لا أستطيع كتابة مقال أسبوعي دائمًا، فقال لي: اكتب قصة قصيرة، اكتب أي شيء.

كان رجلًا عظيمًا بحق، وموقفه كان عظيمًا، وهذا لا يصدر إلا عن شخصية عظيمة، مثل صديقي نواف يونس.

في حياتنا أناس عظماء، وأناس طيبون، وقد تحدثت عنهم من قبل وسأتحدث عنهم مرة أخرى.

ورغم كل ما حدث، ورغم إبعاد مجدي عفيفي عن موقعه، فإنه يظل من أنقى وأفضل من تولى صفحة «أخبار الأدب».

وإن تحدثت عن تجربة، فأنا أتحدث عن تجربتي مع مجدي عفيفي تحديدًا.

نحن في مصر صنعنا الشلل، وصنعنا الفساد في الوطن

العربي؛ شلل في الفن، و شلل في الأدب، ومجموعات مغلقة أفسدت الحقيقة.

لكن رغم ذلك، تبقى تحية خالصة لمجدي عفيفي، الذي يكتب كل يوم مقالًا في بيته، وينشره على الإنترنت.

تحية لهذا القلم الشريف، الدكتور مجدي عفيفي، أحد أنقى وأجمل الشخصيات الصحفية والأدبية في حياتنا.

ومن الشخصيات الطيبة في حياتي أيضًا في الإسكندرية، الدكتور محمد زكي العشماوي (رحمه الله)، كان صديقًا لمحمود مرسي، وكانا متشابهين، وعملا معًا في الجامعة.

وقد ترجما لنا كتاب ستانسلافسكي عن فن التمثيل، الجزء الأول والجزء الثاني، واستفاد منه الملايين، وأنا منهم.

هذا الرجل الجميل كان من أجمل الناس في حياتي.

كان يشجعني وأنا شاب صغير، ويقدم اسمي في الندوات، ويتنبأ لي بمستقبل مختلف، وكان كلامه عظيمًا بحق.

وعندما كنت أراه في الطريق إلى الجامعة، كان يأخذني معه ويتحدث معي، وكان إنسانًا نبيلًا بحق.

وسأتحدث أيضًا عن محمد السنعوسي، وزير الإعلام الكويتي السابق.

عندما ذهبت إلى الكويت عام ١٩٧٦، وعملت في مجلة «صوت الخليج»، كان رجلًا مستنيرًا، يعرف قيمة الثقافة، ويحترم المبدعين.

كان محمد السنعوسي أسطورة في عالم الإعلام والثقافة، وكان حريصًا على سمعة الفن العربي، وسمعة الفنانين المصريين.

فقدنا رجلًا مستنيرًا، ومعه دخلنا مرحلة من التعصب والانغلاق.

رحم الله محمد السنعوسي، فقد حزنت عليه الكويت، وحزن عليه الخليج، وحزن عليه كل من عرفه.

وسأتحدث أيضًا عن محمد علي السويدي، الكاتب الليبي العظيم، الذي فتح لي أبواب مجلة «الثقافة العربية» في ليبيا عام ١٩٧٤.

كان ناقدًا يواجه المجتمع بطريقة ذكية، لا تستطيع أن تمسك

عليه كلمة.

وعندما تولى مجلة «الموقف العربي» في قبرص، دعاني للعمل معه، لكن الظروف هناك كانت صعبة، فغادرت المكان بعد أيام.

ورغم كل ما حدث، يظل محمد علي السويدي من الشخصيات النزيهة والمضيئة في حياتي.

هذه أمسية عن الناس الطيبين في حياتي، وهم كثيرون، وما زال في الذاكرة بقية.

سأعود للحديث عنهم مرة أخرى، فكلما تذكرت شخصًا، وجدت أن له فضلًا لا يُنسى.

تحية ومحبة بلا حدود، من القاهرة، من مصر المحروسة بأهلها الطيبين.

إلى لقاء قريب، نتحدث فيه مرة أخرى عن الناس الطيبين في حياتي.

الحلقة ٣١٢
يوم أن فقدنا الدكتور شبل بدران

مساء الخير

اليوم هو الأربعاء، الثامن عشر من يناير عام ألفين وثلاثة وعشرين.

موعدنا الأسبوعي معكم، حوارات وكلام ونقاش.

سأتحدث اليوم في ثلاث نقاط.

النقطة الأولى: كنت أنتظر ظهور بعض الأصدقاء حتى نبدأ الحديث. الجو اليوم شديد البرودة. ظهر أحدهم ولكن اسمه غير واضح لديّ، سيظهر لاحقًا.

نواف يونس، الناقد والقاص والمبدع الكبير، مدير الشركة الثقافية، وأحد الوجوه الثقافية المضيئة في الوطن العربي، والنافذة الوحيدة تقريبًا التي يطل منها العرب على إبداع حقيقي وجهود عظيمة، تستحق الشكر والتقدير.

كما يظهر صديق عزيز من مجال التربية بجامعة الإسكندرية.

ويظهر أيضًا طه عز الدين، صديق من فلسطين.

اليوم رحل هذا العالم الجليل شبل بدران، وهو من أكثر المختصين إسهامًا في بناء الشخصية المصرية. كان يسير في خط أستاذنا حامد عمار، مضيفًا إلى المكتبة العربية كتبًا تربوية عميقة، وإضاءات حول النمو والنهوض بالإنسان المصري.

أتذكر شبل بدران جيدًا، وأتذكر معه أصدقاء كُثر: إبراهيم عبد المجيد، وماجدة جاد، المناضلة الرائعة، ومحمد رفعت، ويوسف وصباح الخير، وحسن عقل الذي توفي في باريس. أتذكر هذه المجموعة، ومجلات اليسار، ومعاركنا في زمن السادات، حين كانت الجامعات تمور بالأفكار والصراعات.

شبل بدران كان الأول على جامعته في التمثيل بجامعة الإسكندرية، وكان يكبرني بثلاث سنوات. أما أنا فقد تنقلت بين الجامعات بدافع القلق المشروع، بحثًا عن نفسي: درست في دار العلوم، ثم في معهد الآداب، ثم في كلية المنيا قسم اللغة الإنجليزية، إلى أن تخرجت من كلية التربية. وأعترف اليوم أنني نادم لأنني لم أعمل مدرسًا، وانشغلت بدلًا من ذلك بالثقافة

والكتابة والإبداع.

لقد فقدنا شبل بدران: الإنسان المبتسم دائمًا، المتفائل، المتواضع، السخي علميًا وإنسانيًا، الذي لا تفارق الضحكة وجهه. رحمك الله يا شبل، وكتبك عن الشخصية المصرية ستظل شاهدًا على عظمتك.

النقطة الثانية التي سأتحدث عنها اليوم:

كيف يتم اغتيال مشروعك الفني والثقافي عبر التاريخ، وفي المواقف الصغيرة قبل الكبيرة.

أتذكر عندما توليت إدارة تحرير مجلة «الشاشة». كيف يتم عرقلة مشروعك؟ كيف يتم اغتياله ببطء؟ لم يكن لدى المجلة جهاز فاكس. خُصصت لي أصغر غرفة في الدنيا، مترين في مترين تقريبًا، بلا إمكانات.

اتصل بي نور الشريف ذات يوم في موقف طريف. لم يكن هناك بريد إلكتروني ولا تطبيقات تواصل. كان الكُتّاب يرسلون مقالاتهم عبر الفاكس إلى مؤسسات أخرى، ومنها تصلني. مقالات عبد الرحمن الأبنودي، وأحمد فؤاد نجم، والسيد

حجاب، ومجدي نجيب.

وذات صباح، وجدت عامل النظافة الهندي يحمل مقالًا لأحمد فؤاد نجم ويلقيه في القمامة. المقال كان في القمامة، لإفشالي، ولإفشال المشروع. هذه هي الحروب الخفية القذرة التي يمارسها بعض المثقفين بلا أخلاق.

كيف يتم تصغيرك أمام رئيس التحرير؟ كيف يُسخر منك مدير الإعلانات؟ كيف يتم التحريض عليك؟ ثم لاحقًا تنتقل إلى الكويت أو الإمارات، وتبدأ القصة من جديد.

تتكرر المحاولات نفسها حين حاولت إنشاء فرقة مسرحية في النادي العربي بالشارقة، وهو نادٍ عظيم، مفتوح لكل الجنسيات العربية. سخّنوا الإدارة ضدي، وتعطّل المشروع، وضاعت الفرقة.

الأمر نفسه حدث في الكويت، حين أنشأت مشروع مسرح الطفل. وصل سعر التذكرة إلى مبلغ بسيط، فقامت ضجة صحفية واتُهمت بأنني «تاجر أطفال»، بينما كنت أقدم السيرة الهلالية للأطفال بطريقة مبتكرة، شهد لها كبار الباحثين

والنقاد.

ضغطوا عليّ للاستقالة، واستقلت أكثر من مرة، إلى أن فشل المشروع تمامًا. قالت لي إحدى الكاتبات الكبيرات: إن غيابك أحدث فراغًا في مسرح الطفل. لكن كان الوقت قد فات، وضمر المشروع، وضاعت واحدة من أعظم تجارب مسرح الطفل في الوطن العربي.

أقول للشباب:

مهما اغتالوا مشروعك، اصنع مشروعًا آخر.

مهما أطفأوا الشمعة التي تنيرها، أشعل غيرها.

إياك أن تنهزم.

قالوا لك فكرتك ضعيفة؟ حسّنها.

قالوا لك كتابك رديء؟ اكتب أفضل منه.

قُطع نصك؟ أعد كتابته.

أنا كتبت أكثر من عشرين مسرحية للأطفال، رغم كل ما حدث.

لأن المعركة طويلة، والموّال قاسٍ، لكن الاستسلام ليس خيارًا.

أوجه نداءً للحكومات العربية، ولمراكز الإنتاج الإعلامي، والاستوديوهات، لإنقاذ الإنتاج الثقافي والفني. فالموقف خطير، ليس اقتصاديًا فقط، بل حضاريًا. الإنسان الجاهل هو من يدمر أي نهضة.

نحن نحتاج إلى تنمية ثقافية حقيقية، إلى مسلسلات عربية جادة، وإلى تشغيل ملايين العاملين في هذه المهن، قبل أن يهددهم الجوع.

أختم كلامي:

مهما كانت الهزائم، لا تتوقف.

اصنع مشروعك، ثم مشروعك التالي، ثم الذي يليه.

فالأمم لا تنهض إلا بأصحاب الإرادة الطويلة.

تصبحون على وطن جميل،

تصبحون على أمل جديد،

نلتقي غدًا على المحبة والتقدير.

الحلقة ٣١٣
متولى الفضالى و نادية كامل صليب ومحمود الريماوي وأحمد عمر وأحمد بيومى

مساء الخير.

حلقة الخميس، التاسع عشر من يناير سنة ٢٠٢٣، وعنوان الحلقة: (الناس الحلوة في حياتي).

هذا ثالث يوم لا أخرج فيه من البيت، أو ثاني يوم على وجه الدقة. الجو بارد، والعِظَم كبر، أو كما قالت مثقفة صديقة تسكن في دولة أوروبية: (هنا العظم اشتعل، والوقت شاب)، فسكتُّ ولم أعلّق.

كنت في انتظار ظهور ثلاثة أصدقاء حتى نبدأ الحلقة. حلقة الخميس السابقة كانت، في تقديري، معقولة؛ كان الحوار مهمًّا لبعض القضايا، لكنها كانت مليئة بالأحزان لفقدان الدكتور شبل بدران، صديقي، وصديقي الأستاذ محسن ظهر، الناقد والمخرج والشاعر والكاتب والإنسان الجميل الذي أحبه في الله، وهو شخصية محترمة.

موعدنا اليوم للحديث عن الناس الحلوة في حياتي، كلمات قليلة عن شخصيات أثّرت فيّ. سأبدأ بشخصية مهمة: أحمد الفضالي. كان صحفيًا وفنيًا. تعرّفت عليه في مصر، ثم التقيته مرة أخرى في الكويت من خلال مجلة (العامل)، التابعة لاتحاد نقابات العمال. كانت مجلة ذات توجه يساري واضح، قريبة من هموم العمال.

عندما سافرت إلى الكويت بحثت عنه، فوجدته يعمل هناك. كنت الوحيد تقريبًا بلا سيارة، بينما الجميع يملك سيارات، فركبت معه وسيلة نقل بسيطة. كان يعمل خياطًا، يفصّل الدشداشة الخليجية، وكان كريمًا معي إلى حد جعلني أشعر بالحرج؛ كان يعطيني المال دون طلب، مرة بعد مرة، حتى شعرت بالخجل.

الميزة الكبرى التي قدمها لي أحمد الفضالي أنه عرّفني بالكاتب الفلسطيني محمود الريماوي، الذي أصبح لاحقًا اسمًا كبيرًا في الأردن. محمود إنسان لطيف وكاتب مهم جدًا، لكنه اضطر إلى التوقف عن الكتابة السياسية لفترة بسبب لقمة العيش.

أول مرتب قبضته في الكويت كان أربعين دينارًا، ثم ثمانين دينارًا من تحقيق صحفي كلّفني به محمود لمجلة (العامل). كتبت عن العمال الصعايدة في منطقة جليب الشيوخ، حيث كان يسكن عشرة عمال في غرفة واحدة. هذا التحقيق فتح لي بابًا مهمًا.

تجربتي في الكويت لم تكن سهلة. لم أذهب بعقد ولا بسكن مريح؛ ذهبت أنحت في الصخر. كنت أحمل حقيبة فيها مقالاتي من مصر، وأتنقل بحثًا عن فرصة. تعبت كثيرًا، لكن الله سخر لي أشخاصًا طيبين.

من الناس الحلوة في حياتي أيضًا الدكتورة نادية كامل، التي كتبت عن عملي في مجلة كويتية خمس صفحات كاملة، دون أن تعرفني أو تقابلني. هذا نموذج نادر للنزاهة الثقافية.

ومنهم كذلك محمود الريماوي، الذي قدّم لي دعمًا حقيقيًا، سواء بنشر أعمالي أو بتقديمي للصحافة الثقافية. ساعدني أكثر من مرة، وكان وفيًّا للمثقفين الشرفاء.

ولا أنسى أستاذي أحمد بيومي، مدرس اللغة العربية في

المرحلة الابتدائية. كان يمثل أمامنا داخل الفصل، ويزرع فينا حب الفن والكلمة. هذا الرجل ترك أثرًا عميقًا في حياتي.

ومن الشخصيات المهمة في مسيرتي أحمد عمر، رئيس تحرير مجلة (ماجد) للأطفال. دعمني ودعم ابنتي غيداء، ونشر لها قصة وهي في سن الثانية عشرة، مؤمنًا بالمواهب الصغيرة.

كل هؤلاء وغيرهم هم الناس الحلوة في حياتي. أشكرهم واحدًا واحدًا، وأدين لهم بالفضل فيما أنا عليه.

تحياتي، وإلى لقاء قادم بإذن الله. الله يشفي كل مريض، وتصبحون على حب.

الحلقة ٣١٤
مسلسلات رمضان وشوية سياسة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله رب العالمين.

قررت أن أتواصل معكم مرةً أخرى، مع أصدقائي وتلاميذي وكل من أعرفهم عبر «فيسبوك». واخترت هذا الموعد لأن الساحة خالية تقريبًا من المسلسلات، ولا توجد أعمال كثيرة تشغل الناس. اليوم هو العاشر من أبريل عام ٢٠٢٣.

الحمد لله، مررت بأزمة صحية شديدة، وخرجت منها بفضل الله، وأنا الآن في مرحلة العلاج وأتحسن تدريجيًا. أتلقى علاجًا طبيعيًا للساق والظهر والعمود الفقري، وأتلقى كذلك علاجًا للكتف الأيسر. أسير في العلاج خطوة خطوة، وأتناول الأدوية المطلوبة، ولديّ فحوصات ومواعيد أخرى مع أطباء مختلفين.

أحاول ألا أرهق نفسي، لأن الأدوية أصبحت كثيرة، وسأعرض كمية الدواء في حلقة قادمة، إن شاء الله، فهي مزعجة فعلًا، لكن الشفاء من عند الله، (والتشخيص على الطبيب، والشفاء من عند الله).

دخل علينا شهر رمضان المبارك بكل ظروفه المواتية، وفي ظل ما نعيشه من أوضاع قاسية. سبب حديثي اليوم أنني تلقيت مكالمة من كاتب وسياسي ومناضل كبير من داخل الأرض المحتلة، صديقي المفكر السياسي والصحفي ناجح خليل، وقد طلب مني بإلحاح أن أعود إلى البث مرة أخرى، لأن هناك أجيالًا تستمتع بالكلام وتحب الاستماع، ولا بد من قول الشهادة على هذه المرحلة القاسية التي نعيشها.

العالم يمر بمرحلة عنيفة شديدة القسوة؛ حرب أوكرانيا تكشف يومًا بعد يوم أشياء مرعبة، وتدل على أننا أمام عالم صعب، وربما على أعتاب عالم جديد، عالم أكثر شفافية ووضوحًا. يبدو أن الولايات المتحدة في طريقها إلى الانتهاء أو التحول، وتظهر قوى جديدة، ويتغير شكل العبودية التي يعيش فيها العالم إلى شكل آخر. كل شيء يتغير ويتطور.

لكن دعونا نبتعد قليلًا عن السياسة، وسأتحدث عنها في وقت لاحق. أريد اليوم أن أتوقف عند مسلسلات رمضان، والحرب الضروس بينها. ما الذي حدث؟ ولماذا أصبح الإنتاج الدرامي

محصورًا في شهر رمضان؟ من الذي أوقف الإنتاج طوال العام؟ لا أحد يعرف على وجه الدقة، ولذلك نحن نعيش ظرفًا تاريخيًا غريبًا.

تابعت عددًا من المسلسلات، منها: «حضرة العمدة»، و«ضرب نار»، و«بابا المجال»، و«الكبير أوي»، و«رمضان كريم». وسأتحدث لاحقًا عن أعمال أخرى. وجدت نفسي مضطرًا للعودة إلى باب النقد الفني، الذي مارسته قديمًا في الثمانينيات بجريدة «السياسة» الكويتية، لأن المسلسل أصبح جزءًا من الحياة الاجتماعية، بل أصبح أدب العصر، (فالمسلسل التلفزيوني هو رواية العصر)، يختفي أحيانًا ويتراجع، ثم يعود بقوة.

أمامنا مسلسل مثل «جعفر العمدة» الذي جذب جمهورًا ضخمًا، وصنع حالة متابعة لافتة. محمد سامي، المخرج، بذل مجهودًا واضحًا، وهو صانع محترف يفهم أدواته جيدًا. لا يوجد في العمل ممثل واحد خارج مكانه، فجميع عناصر التمثيل منضبطة.

محمد رمضان ظاهرة فنية لا يمكن إنكارها، وهو ممثل موهوب، وقد تابعت بداياته مبكرًا. حين يصل فنان شاب إلى هذه المكانة الجماهيرية، (بملايين المشاهدين)، فإنه يحتاج إلى مؤسسة ثقافية تتبناه وتوجه طاقته، كما كان يحدث في فترات سابقة حين كانت الدولة ترعى النجوم وتعيد توجيههم فنيًا.

أحيّي جميع الممثلين المشاركين في «جعفر العمدة»، فالعمل جماعي، والانسجام بين الفريق واضح. وأنا أتحدث هنا من موقع معرفة، فقد عملت في الإخراج منذ صغري، وقدمت عشرات الساعات من الدراما التلفزيونية للكويت والخليج والتلفزيون المصري، ولذلك أسمح لنفسي بإبداء هذا الرأي.

الأداء التمثيلي لهالة صدقي في دور أم جعفر العمدة كان أداءً لافتًا، فيه تقمص عميق للشخصية، مع ملاحظة أن التمثيل (ميزان دقيق كالذهب)، وأي زيادة بسيطة قد تُخلّ بالتوازن، لكنها في المجمل قدمت دورًا قويًا ومؤثرًا.

أرى أن مسلسلات «جعفر العمدة» و«ضرب نار» و«بابا

المجال» تنتمي إلى تيمة واحدة، مع اختلافات شكلية، وهي نتاج لعمل الورش، (وهذا موضوع له حديث أطول). إذا كان المعيار هو الربح السريع فقط، فسنكرر أخطاء السينما التجارية في السبعينيات، وسنظل ندور في الحلقة نفسها لسنوات.

سأتوقف هنا اليوم، وسأعود في اللقاءات القادمة للحديث عن مسلسلات عربية أخرى، كويتية وأردنية وعراقية، وعن الدراما العربية عمومًا، في ضوء هذه المرحلة المعقدة التي نعيشها.

الحلقة ٣١٥
أنا والعم محمود السعدنى وناجح خليل والشاعر محمد يوسف

مساء الخير، ومساء الأمل، رغم كل العتمة التي تحيط بنا، ورغم الأوضاع في العالم، في الطبيعة وفي الأخبار. ومع ذلك نقول مساء الخير، وننتظر أن ينضم إلينا أي شخص هذا المساء. في الحادي والثلاثين من يوليو سنة ٢٠٢٤، أحتسي رشفة شاي، وأي شخص يدخل معنا نبدأ، إن شاء الله.

كنت منقطعًا عن التسجيل منذ أكثر من عام. سجلت ما يقرب من ثلاثمائة حلقة، وفُرِّغت هذه الحلقات، والدكتور ياسر (جزاه الله كل خير) أنجز منها ثلاثة أجزاء في صورة ثلاثة كتب، أي أول ثلاثة أجزاء من هذه الحلقات في شكل مذكرات. وأنا أحببت أن أتكلم، لأن العالم على وشك الانفجار، والطبيعة على وشك غضب شديد، والعمر (سواء كان قصيرًا أو طويلًا) يظل محدودًا، فكان لا بد أن أكتب، أو أقول، مذكرات للأجيال القادمة.

وبصراحة، ما شجعني على العودة إلى التسجيل مكالمة طويلة

جرت اليوم مع نجم كبير، نجم سينمائي كبير يعيش في أوروبا، قال لي: «يا ريت ترجع تسجل من جديد». وبالطبع أنا أحترمه كثيرًا وأحترم فنه، لأنه فنان كبير. الفنان هشام عبد الحميد كان يكلمني، وقال لي بالحرف: لا بد أن تعود إلى هذه التسجيلات وتستكملها.

ما سأقوله الآن: هذه الحلقة عن ما حدث في يوليو ٢٠٢٤. ليس اليوم فقط، بل إن اليوم نفسه كان يومًا مليئًا بالمصاعب، في المعارك وفي الحرب الدائرة الآن. كان يومًا شديد البؤس، شديد القسوة. ويوليو دائمًا شهر مثقل بالمذكرات؛ شهر مزدحم بالأخبار الجيدة، وبالأخبار غير الجيدة، وبالمفاجآت، وبالأحداث الغريبة.

عنوان هذه الحلقة: «عم محمود السعدني... أنا وعم». أهلًا أستاذ عبد الكريم، الحمد لله على السلامة. نورت شرم الشيخ. نتمنى أن نراك قريبًا في القاهرة، إن شاء الله.

أتحدث هنا عن عم محمود السعدني، وناجح خليل، والشاعر المصري المعروف في أدبنا الأستاذ محمد يوسف، شاعر

المنصورة، شاعر فصيح كبير، وصاحب قلم متميز. الأستاذ محمود السعدني، عمنا، كنت في الثمانينيات شابًا في الثلاثين من عمري، وكنت أحبه حبًا شديدًا. تعرفت إليه في الكويت، وكان آنذاك رئيس القسم الفني والثقافي في جريدة "السياسة" كانت علاقتنا طيبة جدًا. كان يرى أن لدي موهبة، وأن عندي ما يستحق الاهتمام، وكان يقربني إليه دائمًا في الجلسات التي تجمع مثقفين من الخليج. كنت أحب الجلوس معه والاستماع إليه، لأنه مدرسة قائمة بذاتها، وحياة كاملة، وتاريخ متحرك على الأرض.

الأستاذ محمود السعدني، شقيق الفنان صلاح السعدني، أنشأ مجلة اسمها «٢٣ يوليو»، وكانت مجلة معارضة للرئيس السادات، لأن السادات (في رأيه) أخذ ثورة يوليو وسار بها في طريق آخر. وكان عم محمود السعدني قوة إعلامية متحركة، طاقة هائلة بالفعل.

ترك جريدة «السياسة»، وترك الكويت، وتوكل على الله، وسافر إلى لندن؛ مدينة التاريخ، والمسرح، وشيكسبير،

وبرنارد شو، والجامعات العريقة. اصطحب معه صحفيين، وكان من بينهم محمود نور الدين، أحد رجال الفكر والثورة.

اتصل بي هاتفيًا وقال: «يا سيد، حضّر جوازك والفيزا وتعال إلى لندن». وبدأت أسأل عن المعيشة هناك، وأنا في غاية الحرج من السؤال عن الأجر، فعم محمود السعدني كان قيمة كبيرة جدًا.

الغريب أن محمود السعدني، حين سافر، اتفق مع الأستاذ أحمد الجارالله على أن يُنشر له مقال يومي. كان يتصل من لندن ويملي المقال على هيئة التحرير في جريدة «السياسة» الكويتية. كثير من الصحفيين كانوا يتهربون، وفي النهاية كنت أنا من يتولى تدوين هذه المقالات.

في الصيف كان العمل يتضاعف، وكنت أكتب في أكثر من صفحة وأكثر من قسم. هكذا اكتسبت خبرة في جميع الأقسام: الفنية، والمحلية، والعربية، والدولية. وأقول للشباب دائمًا: اعمل، وخذ كل فرصة عمل، فهذه خبرات لا تُقدَّر بثمن.

قبل عملي في جريدة «السياسة» تعرفت إلى الأستاذ ناجح

خليل، الصحفي الفلسطيني القوي والجدع. تعرفنا فكريًا؛ هو يساري وأنا ناصري. ثم يأتي محمد يوسف، الشاعر النقي، شاعر الطين والفلاحين والكادحين، صديقي القديم، الذي عمل مدرسًا للغة الإنجليزية في الكويت.

تعرف محمد يوسف على ناجح خليل، وكانت معه زوجته السيدة داليا، التي أحبها حبًا عظيمًا، وكتب عنها ديوانًا كاملًا.

ظل عم محمود السعدني يكتب في مجلة «مرآة الأمة»، وكان صاحبها علي بن يوسف الرومي. وبعد تعثر المجلة، اشتراها الأستاذ أحمد الجارالله، وعيّن ناجح خليل مديرًا للتحرير. قال لي ناجح يومها: تعال اكتب بدل محمود السعدني. كنت أكتب في «السياسة» وأكتب في «مرآة الأمة»، لكني فوجئت في نهاية الشهر أن الأجر واحد، وأن الكتابة في «مرآة الأمة» بلا مقابل. عندها فهمت لماذا تركها عم محمود السعدني.

قلت لناجح خليل: دع محمد يوسف يحلّ محلي. يعمل مصححًا لغويًا، ويكتب زاوية. وهكذا بدأ محمد يوسف الكتابة بالفعل. كان شاعرًا حقيقيًا، وإنسانًا نقيًا.

ظل عم محمود السعدني يقول لي: تعال إلى لندن. بدأت أجهّز نفسي، لكن الصدفة الغريبة أنني التقيت صحفيًا عربيًا يعمل في لندن، فأخبرني أن مجلة «٢٣ يوليو» قد أفلست، وأن السفر مغامرة غير محسوبة. بعد أيام قليلة جاء عم محمود السعدني إلى الكويت في زيارة، ولم يخبرني مسبقًا. التقيته في الجريدة، وخرجنا معًا، وحكى لي حكاية غريبة ومخيفة عن تهديدات مباشرة بإغلاق المجلة.

عاد عم محمود السعدني إلى الكويت، واستمر محمد يوسف في العمل مع ناجح خليل في مجلة «مرآة الأمة». وكتب محمد يوسف عني مقالات من أجمل ما كُتب، وله فضل كبير عليّ. شاركني في كتابة مسرحية «أبو ذر الغفاري»، ودخلنا معًا في تجارب تجارية فاشلة، اكتشفنا بعدها أننا لا نصلح للتجارة، لكن تلك التجارب كانت جزءًا من الحياة.

المؤلم أن محمد يوسف، فيما بعد، أنكر دوري ودور ناجح خليل في بداياته الصحفية، رغم أن أول حوار صحفي أُجري معه كنت أنا من قام به. ومع ذلك، تبقى الذكريات كما هي،

بحلوها ومرها.

سأعود في الحلقات القادمة إلى حكايات أخرى، وإلى شخصيات أخرى، وعلى رأسها عم محمود السعدني، ذلك الرجل الذي لم يكن مجرد كاتب، بل كان زمنًا كاملًا يمشي على قدمين.

تحياتي وتقديري للجميع.

نلتقي على خير، وعلى المحبة.

القاهرة – الهرم

٣١ يوليو ٢٠٢٤

الحلقة ٣١٦
المستشفى وتجربة المرض

كنت أتحدث عن المستشفى وتجربة المرض (وليس عن المستشفى بشكل خاص، بل عن تجربة المرض عمومًا)، وظهور الأصدقاء والأعداء والجبناء الذين يختفون، وظهور أي شخص في الحياة. أريد أن أسرد قصة غريبة حدثت يوم العملية يوم السبت الماضي (الأربعاء، أي قبل ثلاثة أيام). كان مقررًا إجراء العملية يوم الخميس، وطلبوا مني توفير لتر دم (فصيلة O+).

المستشفى طالبتني بالدم لإجراء العملية، لكن لم يكن أحد يعرف من أين يمكن الحصول عليه، ولم يتجاوب أحد مع الطلب. قالوا لي: "ابحثوا عن قائمة بأسماء مراكز بيع الدم في مصر". اتصلنا ببنك الدم في مستشفى كذا، فقالوا إن فصيلة O+ نادرة جدًا، ولم يكن لديهم لتر دم. وكان لابد من توفير لتر الدم قبل إجراء العملية الليلية.

بدأت أبحث عن لتر الدم (فصيلة O+). المستشفيات كلها لم

تتوفر فيها هذه الفصيلة، إلى أن وجدنا أخيرًا في مستشفى واحدة في القاهرة (العاصمة المنيرة المستنيرة)، لكن لم يجدوا لتر دم متاح. كنت بحاجة إلى لتر دم لإجراء العملية، فكتبت على الفيسبوك نداءً لمن يود التبرع: "نحتاج إلى لتر دم فصيلة O+ أو A+".

اكتشفنا أن أربعة من الموجودين معي كانوا موافقين على التبرع، وثلاثة منهم كانت فصيلة دمهم O+. فقلت لهم: "خذوا من هؤلاء الأشخاص، كل واحد لتر دم إذا كنتم تحتاجون لترًا واحدًا أو لترين أو ثلاثة".

لكن المستشفى قالت لا، وطلبت أن يذهب هؤلاء الأربعة إلى المستشفى التي لديها كيس دم (O+) لتسليم الدم هناك، وليس مجرد إعطائه لنا مباشرة، لأن الدم يجب أن يدخل على جهاز، ويتنقى، وتتم العملية، وكل هذا يتطلب دفع مقابل مالي. وكان هذا سيستغرق وقتًا طويلاً (كل واحد سيستغرق خمس إلى ست ساعات) بينما العملية لها موعد محدد، وغرفة العمليات لها موعد محدد.

لم نستطع حل المشكلة، فتركت الأمر على الله. قلت لنفسي: "لو حدث شيء في غرفة العمليات، فلست مسؤولًا عنه". وبالفعل، أجريت العملية والحمد لله لم أحتاج إلى أي كيس دم.

السؤال المهم جدًا: لماذا يتم هذا مع المريض المصري؟ لماذا يُرهق الناس ليجمعوا أربعة كيلو دم ليأخذوا كيلوًا واحدًا؟ وكيف يكون هناك مستشفيات بها بنك دم ولا تتوفر فيها الفصائل النادرة؟ قد يموت شخص في انتظار كيس دم.

بعض الأشخاص تفاعلوا مع النداء على الإنترنت، مثل الأستاذة ريم الشاعرة، الروائية الأستاذة بدور، والممثلة المحترمة، وقد استجابوا للنداء، لكن كثيرًا ممن شاركوا المنشور لم يتابعوا أو لم يتبرعوا.

أشكر جزيل الشكر الدكتور جمال التلاوي، أستاذ الأدب في جامعة المنيا، الذي كان يتصل بي يوميًا للاطمئنان، وهذا ليس بغريب عن أخلاقه (نائب وزير الثقافة السابق ورئيس الهيئة العامة للكتاب)، وكذلك الدكتورة وفاء كمال وزوجها الفنان القدير رضا الجمال، والكاتب الصحفي والسيناريست محمد

شبانه، وأستاذ سعيد ياسين الصحفي والممثل، والصحفي سيد يونس، والمترجم والناقد صبري ممدوح، والفنان منيو مكرم، والفنان الأستاذ علي كمال، والفنانة بدور التي نشرت النداء وتلقت متبرعة للدم.

الدرس من الحديث اليوم (وهو مهم جدًا) أنني لم أجد كيس دم، وأجريت العملية متوكلًا على الله، وكان الدم غير مطلوب فعليًا، والحمد لله. لكن هذا يطرح سؤالًا عن القوانين البيروقراطية المعقدة التي تجعل الناس يعانون ويهدرون وقتهم وجهدهم للحصول على الدم، رغم أن مصر دولة عظيمة، ولا يليق بها مثل هذا التعقيد.

الحمد لله اليوم تحسنت قليلًا، وتحركت في الصالة، وقابلت الكاتب الكبير أشرف الخميسي، والصحفي والروائي محمد عبد الواحد، وشكرت كل من اتصل بي واطمأن علي.

الحلقة ٣١٧
حديث اليوم الثالث من على فراش المرض

مش قادر أنام جيدًا، فالعملية سببت لي مشكلة في النوم، فإذا نمت على الجانب الأيمن تؤلمني رجلي اليمنى، وإذا نمت على الجانب الأيسر تؤلمني رجلي اليسرى. إن شاء الله ستمرّ هذه الأربعة أشهر ويزول الألم.

الصحة بخير الحمد لله، ولكني لا أستطيع الجلوس أو النوم لفترة طويلة، وما زلت أستخدم المشاية.

أحدث نفسي اليوم عن عشقي للسينما؛ فأنا أتابع يوميًا فيلمين من نوع "كاوبوي"، ووجدت أن فيلم الكاوبوي أقل ضررًا. الصوت أحيانًا يقطع، ولكني أواصل المشاهدة.

كنت قد لاحظت أن جمال عبد الناصر كان يتابع أفلام الكاوبوي عندما يكون مضغوطًا في الحياة، والسادات أيضًا اعتاد على هذه العادة، وهذه العادة (تعودت عليها الدولة). الحمد لله وجدت نفسي أشبه الزعماء، لأنني كنت أتصور أنني سأصبح نائب رئيس الجمهورية، وكنت رئيس اتحاد طلاب المحافظة،

ثم رئيس اتحاد طلاب الوجه البحري، وكنت أشعر بالزعامة، لذلك توقعت أن أكون زعيمًا سياسيًا. يبدو أن عرق الزعامة لا يزال في اللاشعور لدي قليلًا، ولهذا السبب أتابع يوميًا فيلمين كاوبوي لأصبر وأتعب وأخفف من التعب وأنا على السرير.

السبب وراء هذه الأفلام هو حبي الكبير للسينما.

لقد كتبت للتلفزيون حوالي خمسين ساعة دراما للأطفال في التلفزيون المصري، بالإضافة إلى دراما للكبار. لكن كنت أحلم بالسينما، وقد واجهت ظروفًا غريبة عندما كتبت للتلفزيون في الكويت والإمارات، مع إنتاج الإمارات منفذًا وعواطف البدء وكاظم الجلاف وبطولة داود حسين.

كتبت أيضًا فيلمًا عن حياة ولد مصري استطاع بذكائه أن يخدع وزارة الصحة الكويتية والمصريين هناك. كان الولد عبقريًا في النصب، وقد تعرفت عليه قبل أن يُقبض عليه. الشيخ سعد العبد الله (رحمه الله) ولي العهد، أفرج عنه لأنه قد يُعلّم السجن أخلاقًا سيئة للكويتيين. أعجبتني فكرة النصب كحبكة درامية،

لكن لم تعجبني أخلاقه. قدمت الفيلم للتلفزيون المصري لإنتاجه عند ممدوح الليسي، لكن السيدة حمدية الصقر أعطته للأستاذة هناء ناصريه التي أعجبت بالفيلم وقالت إنه أعظم فيلم كتبته في حياتها، إلا أن رئيسة الرقابة (رحمها الله) رفضت عرضه. حاولت كثيرًا أن يُعرض الفيلم، لكن للأسف لم يُنتج، وكنت متألمًا جدًا من هذا المشوار.

كتبت بعد ذلك فيلمًا للأطفال وقدمتُه للمركز القومي للسينما. قال لي الأستاذ الدكتور مذكور ثابت (رئيس الأكاديمية السابق والمخرج الكبير): "والله نحن بحاجة إلى هذا الفيلم"، فقدمته لصديقي الناقد الكبير عبد الغني داوود، لكنه رفض الفيلم بحجة وجود ثلاث مشاهد لا تصلح. حزنت جدًا لهذا الموقف، خاصة وأنه صديقي منذ سنوات، واستغربت كيف كتب هذا التقييم دون أن يخبرني بأن مذكور ثابت هو من أحاله إليه.

بعد ذلك كتبت فيلمًا ثالثًا وقدمتُه ليوسف شاهين. لم أعرف طريق يوسف شاهين أو مكتبه، لكن بالمصادفة قابلت الأستاذ عبد الفتاح مدبولي، مساعد المخرج الشهير الذي ساعد

يوسف شاهين ومخرجين آخرين، وأخذ الفيلم وقرأه وتحمس له وذهب إلى شركته، حيث قدمه لشركة يوسف شاهين التي تضم أحد أقاربه. أخبرني يوسف شاهين أنه سيقرأ الفيلم ويكلمني. كان لدي شعور عظيم بأن الكاتب يجب أن يكون له إحساس بعظمته وبكيانه، لذلك لم أذهب ولم أتمكن من إنجاز الفيلم، وفاتت الأيام.

في عام ٢٠٠٤ جاءني مخرج مؤدب جدًا، عمل طوال عمره في الأفلام الوثائقية، وكان يريد فيلم دراما بممثل واحد. كان لدي نص درامي بعنوان "الخادمة والعجوز"، فاقترحت تحويله إلى فيلم قصير، وعملت عليه وقمت بتصويبه، وقدمت الفيلم. لكن في عام ٢٠٠٥ واجهت ظروفًا عائلية صعبة: أصيب ابني بثلاث جلطات في رجليه، وأصابت زوجتي فيروس الكبد، فكان كلاهما في العناية المركزة. اضطررت للسفر إلى الإمارات للقاء الشيخ سلطان القاسمي لطلب المساعدة، وكان ذلك بعد تدخل نقابة الممثلين بقيادة أشرف زكي، حيث قدموا مساعدات طبية. للأسف توفيت زوجتي قبل بدء العلاج.

كنت أحلم طوال حياتي بترك بصمة في السينما. بعد مشاهدة فيلم "طيور الظلام" (لوحيد حامد)، اتصلت به في فندق مريديان وقلت له إن هذا الفيلم يعد من أهم الأفلام في تاريخ السينما. كنت أرغب أن أترك بصمة، لكن بسيوني عثمان (السيناريست الشهير) كان يقدم طريقة مبتكرة في السينما، حيث كان يأخذ أفلامًا أجنبية ويحولها إلى أفلام مصرية، ويقدمها للشركات مع ممثلين كبار.

حتى الأستاذ نبيل غلام (رحمه الله) كتب حوالي ٢٠٠ مسلسل للتلفزيون المصري، لكن لم يترك أي أثر في ذاكرة الناس، وقال لي: "اتجهت إلى المسرح وركزت عليه، فهو ما سيبقى، أما التلفزيون فلن يبقى". كان كلامه صحيحًا، ولكني استمريت بالكتابة للمتعة وحب الفن، دون انتظار تقدير أو عائد.

قمت بأكثر من ١٠٠ ساعة تلفزيون في مصر والكويت، وما يقال في السوق الفني أن ١٠٠ ساعة تلفزيون تساوي خمسين فيلمًا، أي أن عملي كان يعادل إنتاج عدد كبير من الأفلام. كل يوم أشاهد أفلام كاوبوي، ويساعدني حفيدي محمد

في إيجاد الفيديوهات على الهاتف، وأشاهدها لأتجاوز شعور الكبت وأستمتع بالكتابة.

كنت أركز على جودة الأعمال وليس على المجاملات، لأن بعض المنتجين يختارون ممثلين بسبب الشكل دون النظر للتمثيل، والمخرجون يختارون أصدقائهم، فكان نصف العمل مجرد مجاملات.

لكني أكتب دائمًا بحب الكتابة، سواء كانت مسلسلات إذاعية أو تلفزيونية، والنتيجة متاحة للجميع. إذا تلفت الحلقة اليوم، نتحدث غدًا عن موضوع آخر، ونتابع أحاديث طويلة حتى انتهاء العلاج.

الحلقة ٣١٨
أنا والسينما

مساء الخير.

أعتذر، سأُسجّل بسرعة لأن الصوت كان يتقطع في التسجيل السابق. هذا تسجيل مختصر لحلقة يوم السادس والعشرين من مايو عام ألفين وثلاثة وعشرين.

تحدثت اليوم عن علاقتي بالسينما، وقلت إن أول فيلم كتبته كان عن حادثة حقيقية، وعن شخصية موجودة في الكويت. هذا الشاب كان مصريًا، شكله شكل نجم سينما، واستطاع أن ينصب على مبلغ مالي كبير جدًا. كانت شخصية مسيئة وخطيرة، فرأيت أنها تصلح لأن تكون موضوعًا سينمائيًا، فكتبت عنها وقدّمت الفكرة إلى الأستاذة حمدية صقر، وكانت في ذلك الوقت رئيسة الرقابة في التلفزيون، وكان التلفزيون وقتها جهة إنتاج.

قرأت الفيلم الأستاذة الناقدة والمثقفة الكبيرة هناء عمر، وقالت إن هذا الفيلم لو قُدِّم فسيغيّر مجرى حياة السينما،

وسيكون من أهم الأفلام، وتحدثت عنه بكلام كبير جدًا. لكن الأستاذة حمدية صقر رأت أن الفيلم لا يجب أن يُقدَّم. تعبت كثيرًا، واشتكيت للسيد الوزير في ذلك الوقت، واشتكيت لمدير التلفزيون، واشتكيت لعدد كبير من المسؤولين، لكن لم يحدث شيء.

كانت هناك محاولة أخرى في السينما أيضًا. كتبت فيلم أطفال، وقدمته لإدارة السينما، إنتاج الأفلام التسجيلية، الموجودة في الهرم. وكان المسؤول وقتها الأستاذ المخرج الكبير مذكور ثابت. رحّب بالفكرة، وقال لي إن من الجيد أن أكتب فيلمًا عن الأطفال، لأن السينما في مصر تحتاج فعلًا إلى سينما أطفال.

لكنّه حوّل الفيلم إلى صديق حميم له، هو الأستاذ الناقد الكبير عبد الغني داوود، من دون أن يخبرني. وقال له إن الأمر سرّي، وإنهم يريدون رؤية رأي سيد حافظ، وما إلى ذلك. فكتب عبد الغني داوود تقريرًا ضد الفيلم. بعد شهرين أو ثلاثة قابلت مذكور ثابت وسألته عن مصير الفيلم، فقال لي:

هذا صديقك زعلان منك.

قلت له: أي صديق؟

قال: الأستاذ عبد الغني داوود.

قلت له: مستحيل، نحن نلتقي يوميًا، هو في بيتي وأنا في بيته.

قال لي: لا، هو كتب تقريرًا يرفض فيه الفيلم، ويقول إن فيه مشاهد لا تليق.

ذهبت إلى عبد الغني داوود لمناقشته، فقال لي: هذا رأيي. لم أفهم ما الذي حدث بالضبط، ووجدت نفسي داخل دوّامة غريبة. لم أشأ أن أفتعل مشكلة، لأنه كان صديقًا عزيزًا جدًا، وكنت أريد الحفاظ عليه، ولم أكن أريد أن أخسر كل الناس. وكانت هذه صدمة كبيرة جدًا بالنسبة لي.

حاولت بعد ذلك أن أقدّم العمل إلى المخرج العالمي يوسف شاهين. اختلفنا أو اتفقنا معه، لكنه قيمة سينمائية كبيرة. الذي قدّمني إليه كان صديقي العزيز عبد الفتاح مدبولي. ولو بحثتم على الإنترنت عن أسماء: حمدية صقر، أو هناء عمر، أو مذكور ثابت، ستجدون معلومات خطيرة ومهمة، فهؤلاء

جميعًا كانوا شخصيات ثقافية وفنية كبيرة.

عبد الفتاح مدبولي أخذ الفيلم إلى يوسف شاهين في مكتبه، وكان المطلوب مني أن أذهب بنفسي وأبحث عن الفيلم هناك. لكنني لم أحب هذا الأسلوب، لأنني شعرت أنه فيه إهانة للكاتب.

بعد ذلك توفي صديقي عبد الفتاح مدبولي، رحمه الله.

لاحقًا كتبت فيلمًا مع مخرج لا أعرفه جيدًا. كان يريد بطولة تعتمد على شخصية واحدة، أشبه بالمونودراما، ولكن في السينما كتجربة. فكتبت تجربة مسرحية بعنوان الخادمة والعجوز، وقدّمتها له. كان ذلك عام ٢٠٠٥.

في تلك الفترة مررت بظروف عائلية صعبة جدًا؛ زوجتي مرضت، وابني مرض في الوقت نفسه، ودخلا العناية المركزة. اضطررت إلى السفر إلى الإمارات بحثًا عن الشيخ سلطان القاسمي من أجل العلاج. كانت فترة شديدة الصعوبة والمرارة.

وأشرت أيضًا إلى أن بسيوني عثمان، المؤلف السينمائي

العظيم، كان مظلومًا، ولم يأخذ حقه داخل إدارة السينما.

الصوت بدأ يتقطع مرة أخرى، ويبدو أن هناك مشكلة في الهاتف أو في الشبكة. لذلك سأتوقف عن التسجيل الآن. كنت أظن أن المشكلة من الإنترنت، لكن يبدو أن الهاتف نفسه به خلل.

كما قدّمت للتلفزيون خمسين ساعة دراما في الكويت، وخمسين ساعة في مصر، أي ما مجموعه مئة ساعة، لكن في ظل هذا الوضع لا فائدة من الاستمرار في التسجيل الآن.

تحياتي.

الحلقة ٣١٩
السادس من يونيو وذكريات مؤلمة

مساء الخير.

اليوم هو السادس من يونيو ٢٠٢٣.

للسادس من يونيو ذكريات صعبة جدًا في النفس، ذكريات مؤلمة لمن عاشها، مثل هزيمة ست ساعات في عام ١٩٧٧، عندما خسرت ثلاث دول عربية: مصر وسوريا والأردن. هذه الذكريات مؤلمة جدًا للعاش مثلنا.

مساء الخير، مساء التفاؤل، مساء الأمل في أن يذهب الحزن، ويزول هذا الحر الشديد، وهذا الجنون في الأسعار، وهذا الوطن الذي يبدو حاضرًا لكنه ليس كذلك، وهذه الأمة الموجودة وغير الموجودة، وهذه الحياة التي نعيشها ولا نعيشها، هوامش هوامش هوامش. كل شيء في الهامش، لا أحد في المتن. هناك فراغ شديد يحيط بنا من كل مكان: فراغ ثقافي، فراغ اقتصادي، فراغ ديني، فراغ عاطفي، وفراغ إنساني، مع غياب الكل، الموضوعية، وتبدل الأحوال من حال

إلى حال.

هذه أمور نعيشها الآن، وما زلت أؤكد أن أصعب شيء هو الحكم على هذه المرحلة التاريخية التي نعيشها الآن. مرحلة صعبة جدًا، مرحلة لا تعرف فيها كيف تميز بين الحق والباطل. اختلط الحق بالباطل، واختلط المعقول باللا معقول، واختلط الموضوعي باللاموضوعي، مع غياب القيمة والضمير. لذلك، أعتقد أنني أحتاج إلى مرحلة من التأمل والمشاهدة، مرحلة أستعرض فيها المشهد.

أمس كتبت خبرًا أرسلته للدكتور شاكر من العراق العزيز عن كتاب يكتبه عن تجربتي المسرحية، فقال لي: "قريب جدًا". فكتبت "قريب جدًا".

أما المفارقات، فالحمد لله، مكتوب عن شغلي أكثر من ٢٠٠ مسرحية، وعن ١٩ رواية، وحوالي ٦٠ كتابًا، ما بين رسائل جامعية ودراسات حرة ومستقلة. الأسماء كبيرة وصغيرة، شابة وغير شابة، من مختلف الأجيال ومن مختلف أنحاء العالم العربي.

لكن مصر لم تحتفِ بهذا التواجد الثقافي. للأسف، الثقافة عندنا تعمل بسياسة القطيع: إذا احتفت الدولة بكاتب، يحتفل به الجميع؛ وإذا سكتت الدولة عنه، يسكت الجميع. هذا عيب على المثقفين. لدينا مثقفون كبار، ذوو اتجاهات يسارية أو يمينية، قومية أو ملحدة، ينساقون وراء الدولة كقطيع.

أنا، بالنسبة لي، لست خادمًا للدولة، بل خادم للأدب، للتاريخ الوطني، للثقافة، وللكتابة. أكتب دون تكليف، سواء مسلسلات إذاعية أو تلفزيونية، لمصلحة نفسي وحبي للكتابة والقراءة، لا من أجل المال أو المنافع.

كنت أؤمن بالعدالة الاجتماعية، وكنت مناضلًا من أجلها في مرحلة الشباب، عندما انضممت إلى منظمات شبابية اشتراكية، وكان هدفي الأساسي تحقيق العدل الاجتماعي، ومواجهة استغلال الغني للفقير، والفساد، والانتهاكات في الأسعار، مثل ارتفاع سعر كيلو الرز.

المسرح كله كان هدفه العدل. أدركت منذ البداية أن المشاريع الكبيرة هي التي تبقى، وأن التاريخ قاسٍ جدًا على الأعمال

الصغيرة أو غير المكتملة. لكن التاريخ يقف إجلالًا واحترامًا للمشروع الكبير، للرسالة الكبرى، والقضية الأساسية التي حملتها طوال حياتي: العدل.

أنا أرفض أن تُحلّ قضية المجتمع بطبقات، حيث يأكل الغني ويترك الفقير، وأن ينتهي الأمر كما لو لم يكن هناك ظلم. لا أكره الأغنياء، ولا أرفض نظام الرأسمالية، لكنني أعمل على تحقيق العدل في الكتابة وفي الحياة.

عملت في الكويت في الصحافة من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٦، في فترة كانت فيها الحرية والديمقراطية أفضل مما كانت في مصر ولبنان، ووجدت نخبة مفكرة ومثقفة، الأمر الذي منحني مكانة وسط الكبار. رأيت احترام الناس، ورأيت أيضًا بعض القبح حينما ينحني الصغار أمام السلطة.

قضيتي الوحيدة في العالم هي العدل، وكنت أؤمن دائمًا بأن كل الأنبياء والرسل والكتاب والشعراء جاءوا لتحقيق العدل، وتمجيد الحق، ومناهضة الظلم والفساد.

أخيرًا، أشكر كل من كتب عني، وأتمنى أن تقوم مؤسسات

عربية محترمة بطباعة الكتب التي كتبت عني، سواء ٦٠ كتابًا أو ٢٠ أو ١٠، من كتاب عرب من مصر، العراق، الأردن، الكويت، المغرب، الجزائر، تونس، لتصل هذه الأعمال إلى الأجيال القادمة. للأسف، مصر لم تهتم، ولا أجد جهة محترمة تهتم بذلك، وهذا يؤلمني.

أنا ممتن لكل من سأل عني، سواء هاتفيًا أو بزيارتي في البيت أثناء مرضي. لا زلت أعاني من آثار العمليات الجراحية في قدمي، ولكني ممتن لكل من يدعمني.

شكري الكبير لكل الناس الذين يسمعونني، ويحترمون جهودي، وللأساتذة في الجامعات المصرية، سواء بعيدًا عن القاهرة أو الإسكندرية، ولكل من يعمل على نشر الثقافة والعدل في هذا الوطن العربي.

التخلف الفكري موجود، والانهيار الثقافي والقيمي والمعياري قائم، والفساد مستشري في كل شيء. ومع ذلك، أحبكم كثيرًا وأشكر حضوركم، ونلتقي دائمًا على المحبة والخير.

السيد حافظ من الهرم، القاهرة.

الحلقة ٣٢٠
مسلسلات رمضان وشوية سياسة

الحمد لله، الحمد لله.

قررت أن أتواصل معكم مرة أخرى، مع أصدقائي جميعًا، ومع تلاميذي، ومع كل الذين أعرفهم على موقع فيسبوك. اخترت هذا الموعد لأنه وقت هادئ نسبيًا، لا توجد فيه انشغالات كثيرة.

اليوم هو العاشر من أبريل عام ألفين وثلاثة وعشرين.

الحمد لله، مررت بأزمة شديدة، والحمد لله خرجت منها، وأنا الآن في مرحلة العلاج، وهناك تحسن ملحوظ، والحمد لله.

سأتحدث اليوم في موضوع خفيف، مع تنويع في طبيعة الحلقات كما اعتدنا.

أما من الناحية الصحية، فأنا أتابع العلاج الطبيعي للساقين، وللظهر، وللعمود الفقري، كما أتناول علاجًا للكتف الأيسر. والحمد لله أسير في العلاج بانتظام، وأتناول الأدوية المقررة،

ولدي فحوصات ومواعيد متابعة لاحقة، وقد أجّلت بعض الأمور حتى لا أُجهد نفسي، خاصة أن كمية الأدوية أصبحت كبيرة. سأعرض هذه الكمية في حلقة لاحقة، لأنها بالفعل مُرهِقة، لكن الشفاء من عند الله، والتشخيص على الطبيب، والشفاء بيد الله وحده.

دخل علينا شهر رمضان، رمضان جانا وهلّ هلاله، بكل الظروف القاسية التي نعيشها. واضطررت إلى الحديث اليوم بعد أن تلقيت مكالمة من كاتب كبير، وسياسي كبير، ومناضل كبير، من داخل الأرض المحتلة، وهو صديق عزيز، المفكر السياسي والصحفي ناجح خليل، الذي طلب مني بإلحاح أن أعود للبث، وقال إن هناك أجيالًا تستمتع بكلامي، وتحب أن تراني، وإن شهادتي على العصر وعلى هذه المرحلة ضرورية، لأننا نعيش فترة شديدة العنف والقسوة.

نحن نعيش زمن الحرب الأوكرانية، وكل يوم تنكشف أشياء مرعبة ومفزعة، وتدل على أننا في عالم صعب للغاية، وأننا نتقدم نحو عالم جديد، عالم أكثر شفافية ووضوحًا. أمريكا

تنتهي، أو هي في طريقها إلى الانتهاء تدريجيًا، وتظهر قوى جديدة في العالم. العالم يتغير، والعبودية التي يعيشها العالم ستتغير صورتها إلى شكل آخر من العبودية.

العالم يتغير بالفعل.

لكن دعونا نبتعد قليلًا عن السياسة، وسأتحدث فيها في وقت لاحق، أما الآن فأود أن أتناول مسلسلات رمضان، والصراع الدائر بينها.

ما الذي يحدث في رمضان؟

ما هذا الهجوم الشرس على الدراما الرمضانية؟

طوال العام لا نجد هذا الزخم، ثم تتكدس الأعمال فجأة في شهر رمضان. من المسؤول عن توقف إنتاج المسلسلات طوال العام، ثم حصرها في هذا الشهر؟ لا أحد يعرف. من الذي أوصلنا إلى هذه المرحلة؟ لا أحد يعرف. نحن أمام ظرف تاريخي معقد.

أنا أتابع عددًا من المسلسلات، من بينها: جعفر العمدة، وضرب نار، وبابا المجال، والكبير أوي، والأجهر، ورمضان

كريم. وسأتحدث عن مسلسلات أخرى لاحقًا، بعد متابعتها، ثم مناقشتها. وجدت نفسي مضطرًا للعودة إلى دور الناقد الفني، وهو الدور الذي مارسته في الثمانينيات، حين كنت أتناول الدراما التلفزيونية باعتبارها جزءًا من الحياة الاجتماعية، وجزءًا أدبيًا مهمًا.

المسلسل التلفزيوني هو أدب العصر، وهو رواية العصر. هذه ليست مقولتي، بل مقولة لأحد كبار الكتاب المصريين الذين عاشوا في الكويت. المسلسل يختفي أحيانًا، ثم يعود بقوة، لكنه يظل رواية العصر.

لنعد إلى مسلسل جعفر العمدة.

المسلسل شدّ الناس بقوة، ومحمد سامي، كمخرج، بذل مجهودًا واضحًا. أشهد له بأن لديه عقلًا إخراجيًا حاضرًا، وأنه محترف في مهنته. لا يوجد ممثل واحد في المسلسل خارج السياق أو في غير موضعه، فالاختيارات التمثيلية محسوبة بدقة.

هناك من ينتقد محمد رمضان، ويقول إنه أفسد الذوق العام.

لكن هذا النوع من الفن يخرج من طبيعة الجمهور وثقافته الحالية. الفن لا يأتي من فراغ، والمسؤولية تقع على الدولة، وعلى المؤسسات الثقافية، وعلى المثقفين، وعلى تجار الفن. لم يخرج أحد ليغامر بتقديم عمل محترم على حساب الربح. الجميع يريد المكسب السريع.

محمد رمضان ظاهرة.

وهو ممثل جيد، بل ممثل موهوب. وأنا أفهم في التمثيل، وأقول ذلك عن معرفة. منذ أول عمل شاهدته له، تأكدت من موهبته. وهو نجم كبير، ومن حقه أن يُخاطَب بما يليق بمكانته. احترام الأجيال الجديدة ضرورة، واحترام الشباب واجب.

إذا كان لدينا نجم بهذه الشعبية، وبهذا العدد الهائل من المشاهدين، فهو يحتاج إلى مؤسسة ثقافية تتبناه وتوجهه، كما كان يحدث في فترات سابقة حين كانت الدولة ترعى النجوم وتضبط المسار الفني.

في مسلسل جعفر العمدة، الممثلون جميعًا بذلوا مجهودًا كبيرًا،

والعمل الجماعي واضح جدًا. الأداء التمثيلي في مجمله قوي، وأنا أتحدث هنا عن مهنة التمثيل من منطلق تخصصي، فأنا مخرج في الأساس، ومارست الإخراج منذ الصغر.

أداء هالة صدقي في دور أم جعفر كان أداءً عبقريًا، فيه تقمص حقيقي وتوحد مع الشخصية. نعم، في بعض المشاهد كان الأداء زائدًا قليلًا، لكن التمثيل ميزان دقيق جدًا، مثل ميزان الذهب، إذا زاد قليلًا اختلّ التوازن. ومع ذلك، الدور في مجمله عظيم ومؤثر.

إذا نظرنا إلى مسلسلات جعفر العمدة، وضرب نار، وبابا المجال، سنجد أنها تدور حول تيمة واحدة تقريبًا، لكنها متغيرة ومتحورة. وأنا أتحدث هنا عن خبرة طويلة، فقد قدمت عشرات الساعات من الدراما التلفزيونية للتلفزيون المصري، وللتلفزيون الكويتي، وللخليج، ولصوت القاهرة، ولقطاع الإنتاج. من حقي أن أقول رأيي بناءً على هذه الخبرة.

هذه الأعمال الثلاثة تنتمي إلى ورشة واحدة تقريبًا، لها قالب متشابه، وإذا كان هذا هو مفهوم الورش، فنحن نسير في

الطريق الخطأ. سنظل ندور في هذه الدائرة سنوات طويلة، كما حدث في موجة الأفلام التجارية في السبعينيات.

التيمة واحدة: شاب يُظلم، يُسجن، يخرج، ينتقم، أو يفرض سيطرته. التيمات في العالم محدودة فعلًا، لكنها تحتاج إلى تنويع حقيقي، لا إلى تكرار آلي.

أما مسلسل الأجهر، فقد بدأ بداية قوية، ثم بدأ يضعف تدريجيًا. أحب نجومه جميعًا بلا استثناء، لكن التراجع كان واضحًا.

سأتوقف هنا اليوم عن الحديث عن المسلسلات، وسأنتقل في اللقاءات القادمة إلى موضوع الحرب الأوكرانية، والوثائق الخطيرة التي كُشف عنها مؤخرًا، وما تحمله من دلالات صادمة.

الحلقة ٣٢١
المثقف والإحباط ٦ يونيو ٢٠٢٣

شهر يونيو شهر حرب، شهر كله ذكريات مؤلمة، خاصة أن يونيو مليء بالأحداث. فيه هزيمة ثلاث دول عربية في ست ساعات، وفيه أحداث أخرى كثيرة. يونيو حين تبحث في تاريخه تجد أحداثًا غريبة جدًا، عجيبة جدًا، ومتشابهة في قسوتها. أنا ما زلت أنتظر، وأعود دائمًا إلى فكرة الانتظار، لأنني في الأصل لا أؤمن بالمواعيد الصارمة.

بالنسبة لي صحيًا، الحمد لله، هناك تحسن. أتمكن من المشي حتى باب الشقة ثم أعود. أحيانًا أستخدم المشاية، وأمس حاولت أن أمشي من دونها، لكنني تعبت، لذلك لا بد من استخدامها. حدث إرهاق في الليل، لكن إن شاء الله يكون كل شيء على ما يرام، وإن شاء الله يكون هناك تحسن.

حديث اليوم عن الإحباط عند الكاتب.

من أين يأتي الانكسار؟

ومن أين يأتي الحزن للكاتب، وبخاصة الكاتب الحقيقي؟

يأتي الحزن حين يجد الكاتب نفسه يكتب وكأنه ينفخ في رماد، فلا أحد يقرأ، ولا أحد يسمع، ولا أحد يرى. هذا هو الألم الحقيقي. الكاتب الحقيقي حين يعمل على مشروع مهم، ينتظر رد الفعل، إما من النقاد أو من الجمهور. هناك كتّاب محظوظون، حظهم أن جمهور القراء يستقبل أعمالهم، فتنتشر بالآلاف، وربما تصل إلى مئات الآلاف أو الملايين. وهناك آخرون لا يصلون إلى هذا الانتشار.

هناك من يُكتشف متأخرًا. بعض الكتّاب لم أكن من الذين انتبهوا إلى قيمتهم في حياتهم، ثم حين قرأت أعمالهم لاحقًا اكتشفت أنهم كتّاب مهمون حقًا. وعندما رحل بعضهم، خرجت وراءهم أجيال كاملة، شباب صغار تربوا على أعمالهم، خصوصًا القصص البوليسية في بداياتهم، وهي قصص تجذب الشباب دائمًا، ليس في عالمنا العربي فقط، بل في العالم كله. أحيانًا يتبنى النقاد عملًا أدبيًا ويبالغون في الاحتفاء به، ويقولون إنه عمل عظيم، ثم نكتشف أن الناس لا تُقبل عليه. لماذا؟ لأن الوضع الاجتماعي والثقافي في لحظة تاريخية

معينة يكون متدنيًا. هناك عصور بأكملها كانت الثقافة فيها مسحوقة، مثل فترات معينة في تاريخ مصر، ولم ينجُ منها إلا القلة شديدة الذكاء، التي استطاعت الإفلات من طاحونة القهر. هؤلاء غالبًا كانوا يطبعون كتبهم على نفقتهم الخاصة.

اليوم يقول البعض إن الشباب يطبعون كتبهم على نفقتهم الخاصة أيضًا. نعم، هذا صحيح، لكن هل كل ما يُطبع جيد؟ بالطبع لا. وهل كل ما يُطبع سيئ؟ بالطبع لا. هناك دائمًا استثناء.

أذكر أنني وقعت مصادفة على كتاب مطبوع طباعة رديئة في أحد أقاليم الصعيد. الكاتب كان يعيش في الإسكندرية، وكنت وقتها في زيارة هناك. قرأت روايته فوجدتها عملًا عظيمًا بحق، رواية لا تقل عن أعمال كبيرة. اتصلت به، وحين أخبرته برأيي بكى بكاءً شديدًا. ظل يبكي وأنا لا أعرف كيف أوقفه. كان مندهشًا أن أحدًا قرأ عمله بجدية وقال له إنه كاتب حقيقي. لكن الحياة قاسية. تمر علينا أسماء كثيرة، ووجوه كثيرة، والمشكلات العائلية والمادية والصحية تطحننا. ننسى أشياء

كثيرة. ومع ذلك، هذه التجربة تؤكد أن هناك مواهب عظيمة تُهمل فقط لأنها وُلدت في المكان الخطأ أو اللحظة الخطأ.

يمكن أن تجد شاعرًا موهوبًا جدًا، لكن ديوانه صدر في الأقاليم ولم يصل إلى الضوء. وليس صحيحًا أن القاهرة وحدها هي العاصمة الثقافية. كثير من الفعاليات الثقافية شكل بلا مضمون. مؤتمرات دولية يُقال عنها كبرى، لكنها تُقام أمام عدد محدود جدًا من الحضور، معظمهم موظفون أو معارف المشاركين. ومع ذلك تُقدَّم في الإعلام على أنها حدث ثقافي ضخم.

هذا الزيف هو ما يولد الإحباط. نحن نشأنا في مؤسسات ثقافية عظيمة في بداياتها، علمتنا وربتنا واحتضنتنا، ثم تحولت بمرور الوقت إلى تجمعات مغلقة. عشرة أو أحد عشر شخصًا في الندوة، ثم يخرجون إلى المقهى، وكل واحد منهم يظن أنه غيّر العالم.

هذا هو الرضا بالقليل، الرضا بالموجود. حتى في الأماكن التي لها تاريخ ثقافي كبير، تجد الندوات يحضرها عدد ضئيل، ثم

يُقال إنها إنجاز. أذكر مرة حضرت ندوة حضرها عدد أكبر من المعتاد، فاعتُبر ذلك إنجازًا استثنائيًا. وعندما سُئلت كيف حدث ذلك، كانت الإجابة أن الأمر تطلّب مئات المكالمات الهاتفية الشخصية.

هذا هو الواقع الثقافي. واقع لا علاقة له بالاستعلاء الثقافي، فأنا لا أتعالى على أحد. أدخل أي ندوة، وأحضر لأي شاب، وأستمع. لكن المشهد كله قائم على الوهم.

هذا الحديث كله محاولة لفهم الإحباط عند الكاتب، وعلاقته بالمثقف، وبالفن، في واقع ثقافي مرتبك ومُنهك.

تحياتي من القاهرة.

الحلقة ٣٢٢

الجزائر والمغرب قلاع العلم والثقافة

أودّ أن أتوجّه بكلمات شكر وتقدير إلى الجزائر العظيمة، وإلى أهل الثقافة وأهل العلم فيها. وأعتقد أن الجزائر والمغرب هما آخر القلاع الصامدة في العلم والثقافة في المنطقة العربية، في وقت تتهاوى فيه الجامعات العربية واحدةً تلو الأخرى. فقد نُشر مؤخرًا عن شهادات الدكتوراه التي تُمنح في بعض البلدان مقابل مبالغ مالية، وعن الماجستير والدكتوراه التي تُباع بيعًا، وهو أمر مؤسف ومخزٍ علميًا وثقافيًا.

أبارك للكاتب الجميل هوشنك، وأتمنى له كل التوفيق، كما أهنئ طه عزّ الدين عزيزي. إنّ ما يحدث من تسييل للشهادات العلمية أمر خطير يهدد معنى البحث والمعرفة.

ما زلت في البيت، وأمامي فترة علاج، فأرجو أن تتحمّلوني، إذ إنني لا أخرج كثيرًا ولا ألتقي بالناس، ولهذا أتحدّث إليكم يوميًا قليلًا حتى تمرّ هذه المرحلة بسلام، وأستعيد قدرتي على الحركة واللقاء.

أودّ أن أتوقف عند حدثٍ وقع بالأمس، وكان فيه خطأ مني. الدكتور شاكر عبد العظيم جعفر، وهو أستاذ وباحث ومخرج عراقي كبير، كان قد أرسل إليّ رسالة منذ أشهر يخبرني فيها أنه يعمل على كتاب حول "التاريخينية في مسرحيات السيد حافظ". وهو عنوان لافت لباحث كبير، صاحب تجربة عميقة. قبل فترة، ظننت أن الكتاب قد أُنجز، فنشرت خبرًا متعجّلًا بدافع المحبة، لكن تبيّن لاحقًا أن الكتاب لم يكتمل بعد، وأن الدكتور لم يكتب سوى جزء منه، ولا يريد أن يحرق فكرته قبل اكتمالها. وقد تواصلت معه واعتذرت، كما أعتذر لأصدقائي الصحفيين والكتّاب عن نشر خبر متسرّع، لم يكن كذبًا، بل سبقًا في غير أوانه.

في المقابل، حدث اليوم أمر عظيم في حياتي. ففي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر، وفي المركز الجامعي بتيبازة، بمعهد اللغة والأدب العربي، نوقشت رسالة ماستر في الدراسات النقدية بعنوان:

"المسافة الجمالية في رواية حتى يطمئن قلبي للسيد حافظ"

وقد أنجزت الرسالة الطالبتان نهلة بروكان وسارة سكات.

أتوجّه بالشكر العميق للدكتورة ربيعة حنيش التي أشرفت على هذه الرسالة، وتحملت عناءها العلمي، كما أشكر الطالبتين على الجهد الكبير الذي بذلتاه، خصوصًا أن الرواية تناقش شخصية صلاح الدين الأيوبي من زاوية نقدية، تُبرز الإيجابيات والسلبيات معًا، لا من زاوية التقديس الأعمى.

أنا مؤمن بمقولة غابرييل غارسيا ماركيز: إن كتابة التاريخ وتصحيحه مهمة الروائيين، لا المؤرخين الرسميين الذين يكتبون تاريخًا مزيّفًا، ويصنعون أجيالًا مشوهة ثقافيًا.

وأشكر كذلك المناقشين:

الدكتور محمد حكيمي،

والأستاذة نعيمة خيار،

على مناقشتهم الجادة لهذا البحث.

رواية «حتى يطمئن قلبي» رواية مشاكسة، تنتهي باتفاقية كامب ديفيد، وتضعها في مقارنة رمزية مع اتفاقيات تاريخية أخرى، في بنية سردية مركّبة. الرواية مطبوعة منذ سنوات،

وهي عمل تطلّب جهدًا غير عادي للبحث عن شكل جديد للرواية العربية.

أنا لا أكرر نفسي، ولا أكتب بالطريقة السهلة، ولم أكتب رواية تاريخية تقليدية، بل حاولت أن أخلق شكلًا سرديًا جديدًا. وعندما انتهيت من الرواية وجدت عدد صفحاتها كبيرًا جدًا، فبعثت بها إلى عدد من النقاد العرب الذين أثق بآرائهم، واشتغلت على ملاحظاتهم بجدية.

الكاتب الحقيقي هو من يتقبل النقد، لا من يتشبث بنصّه بدافع الغرور. وبعد مراجعات عديدة، حذفت ما يقارب مئة وخمس وسبعين صفحة، وأسميت ذلك «عبقرية الحذف»؛ فالإبداع ليس في الكتابة فقط، بل في القدرة على الحذف والتكثيف.

الرواية تجربة شاقة، وكل رواية أكتبها تُتعبني، لأنني لا أؤمن بالكتابة السهلة ولا بالموضوعات المستهلكة. أنا أكتب لجمهور خاص، جمهور يفكر، لا جمهور يبحث عن الحكايات السطحية.

وأجدّد شكري للجزائر، ولجامعاتها، ولمثقفيها، وللطلبة الذين

تبنّوا أعمالي. كما أشكر جامعات مصر، في الجنوب والشمال، وكل من اشتغل نقديًا على أعمالي.

الجزائر بلد ينجب العباقرة كما أنجب الشهداء، وأشعر بسعادة حقيقية لأن أعمالي تُقرأ وتُناقش فيها بجدية علمية.

أشكر الدكتورة ربيعة حنيش مرة أخرى، وأشكر الطالبتين نهلة بروكان وسارة سكات، وكل من ساهم في هذا العمل العلمي.

محبتي وتقديري للجزائر، من مصر، أم العروبة.

الحلقة ٣٢٣
مصر تنقرض بموت الأدباء والشعراء والصحافيين الموهوبيين

«حلقتُ ذقني وشعري، وأجريتُ أشعةً أخرى، وما زال أمامي بعض الوقت للمكوث في البيت. كنت أظن أن المسمار النخاعي مسمار صغير يُدخل من الركبة، فإذا به يمتد من أعلى الركبة إلى مفصل الحوض، حجمه كبير جدًّا. رأيته في الأشعة حين عرضها عليَّ فنيّ الأشعة، فسألته: أين المسمار؟ فأشار إليه بطوله من أعلى الركبة حتى مفصل الحوض. أسأل الله أن يتقبّل الجسد هذا المسمار، وأن تمرّ الأزمة على خير، ويعبر الشهر القادم والذي يليه بسلام، فأنا في تحسّن والحمد لله.

حديثي اليوم سببه ظاهرة غريبة جدًّا، هي الفيسبوك.

السؤال: هل أصبح الفيسبوك صفحة نعي بين الأدباء والفنانين؟ هل تحوّل إلى بديل عن الجريدة، وعن الجنازة، وعن العزاء؟ ندفن الميت ونتركه مع أهله، ونكتفي بالكتابة؟ أنا لا أخاف على نفسي، وقد قلت لابنتي: إذا متُّ ودفنتموني

فلا تُقيمي صوان عزاء، فلن يأتي أحد. الأدباء والفنانون كثيرون، لكن من يملك نخوة حقيقية قليل. ربما واحد أو اثنان أو عشرة، لا أكثر. قد يذكر أحدهم خيرًا قدمته له، وبفضل الله لا بفضلي، وأنا أكون شاكرًا له.

اليوم أتحدث من القاهرة. منذ يومين فقدنا كاتبًا كبيرًا هو حمدي أبو جليل. لم أقرأ له إبداعه السردي كاملًا، لكنني قرأت كتبه التاريخية، وهي كتب جيدة، مجتهدة. الرجل حصل على جوائز أدبية عالمية، وكان حاضرًا يوميًّا في الشارع الثقافي، في المقاهي والمنتديات والملتقيات.

حين توفي حمدي أبو جليل، أُبلغنا الخبر على يد ابن عمه الكاتب والروائي أشرف أبو جليل. وأشرف رجل وفيّ، مخلص، محبّ للثقافة. هو الذي سبق أن خدم الثقافة الجماهيرية، وحاول تكريم من لم يُكرَّموا. أقام مهرجانًا باسم سعد الدين وهبة بعد وفاته، واستمر أربع سنوات، ثم توقف لأن لا أحد موَّله، لا من الأسرة ولا من المؤسسات. هكذا تبدأ الأشياء عندنا ثم تختفي إذا لم يكن وراءها منفعة أو "سبوبة".

الفيسبوك امتلأ نعيًا وضجيجًا وتكريمًا لحمدي أبو جليل، وهذا في ظاهره جميل. لكن الغريب والمؤلم أن دفنه في الفيوم – على بعد نصف ساعة من القاهرة – لم يحضره مثقف واحد. الصور المنشورة للدفن لم يظهر فيها سوى أهل القرية والأقارب.

أين الذين كتبوا؟ أين الذين نعوه؟ ألفا شخص كتبوا نعيًا، ولم يذهب واحد منهم إلى الدفن. بعضهم رافق الجثمان حتى السيارة ثم تركه وذهب إلى المقهى ليكتب منشورًا ويبكي افتراضيًّا. أحدهم كتب: "لم أقرأ له، لكن حب الناس له جعلني أحب كتابته". هذا نفاق.

نحن شعب صنع من الإنسان إلهًا، كما صنع فرعون إلهًا. نحب التقديس من بعيد، ولا نتحمل مسؤولية الفعل. نكتب ولا نحضر. نتباكى ولا نواسي.

هذا ليس حال حمدي أبو جليل وحده. أسامة أنور عكاشة، الذي شغّل آلاف الفنانين، لم يحضر أحد أربعينه. القاعة كانت فارغة، والكاميرات حضرت ثم انصرفت. نحن نغطي على

عيوب بعضنا، ونخاف أن نقول الحقيقة.

متى نستفيق؟

متى تعود الإنسانية بين الأدباء والفنانين وأهل الثقافة؟

وفي اليوم نفسه فقدت مصر الكاتب صلاح عبد السيد، والصحفي الكبير عاصم حنفي. عاصم حنفي كاتب خفيف الظل، له أسلوبه، وكان قريبًا من محمود السعدني، ومن يعمل مع السعدني لا بد أن يكون إنسانًا جيدًا. فقدنا كاتبًا حقيقيًّا في زمن يكثر فيه المتطفلون على الكتابة.

صلاح عبد السيد كان كاتبًا جيدًا جدًّا، كتب الرواية والقصة والمسرح، وكان محترمًا في لغته وحواره، أنيقًا في حضوره، لكنه لم ينتمِ إلى شلة، ولم يُحسب على اليمين أو اليسار، ولذلك لم يُسلَّط عليه الضوء. ليست المشكلة فيه، بل في غياب النقد الحقيقي. النقد أجره هزيل، فلا أحد يتفرغ له. كيف نطلب ناقدًا يعيش بثلاثمئة جنيه على مقال عمل فيه أسبوعين؟

رجاء النقاش قال كلامًا مهمًّا: إذا أردت أن تُنجز في المسرح، فعليك بالصحافة، لأن الصحافة تفرض حضورك. لذلك نرى

أن مسؤولي الصفحات الثقافية هم الأكثر حظًّا في الاهتمام النقدي، لا لأنهم الأفضل، بل لأنهم في مواقع النفوذ.

نحن نعيش واقعًا صعبًا، نفاقًا ثقافيًّا، وغيابًا للصدق. ومع ذلك أقول: صلاح عبد السيد كاتب حقيقي، وأتمنى أن ينتبه جيل جديد إلى ما قدّمه.

الموت له جلاله. المصريون بنوا الأهرامات للموت. فكيف لا نحترم الميت؟ كيف نكتفي بمنشور على الإنترنت ونترك الجنازة والعزاء؟

لو كنت قادرًا على الحركة لذهبت بنفسي. لكنني ما زلت مريضًا، والجرح لم يلتئم. ومع ذلك أقول: عيب. عيب علينا جميعًا.

تعازيّ لأسرة حمدي أبو جليل، ولأسرة صلاح عبد السيد، ولأسرة عاصم حنفي.

تحياتي من القاهرة، من الهرم».

الحلقة ٣٢٤

الكاتب الجميل ابو العلا السلامونى

«أنهيتُ جلسة جديدة من جلسات العلاج الطبيعي، والحمد لله أنا في تحسّن، وأستطيع المشي. ما زلت داخل الشقة، ولم أنزل إلى الشارع بعد، وما زلت أستخدم المشّاية، ولم أستعمل العكاز حتى الآن، لكنني في تقدّم واضح، والحمد لله على نعمه.

أشكر الله أولًا، ثم أشكر أصدقائي الذين وقفوا معي، وأتوجه بالشكر أيضًا إلى نقابة المهن التمثيلية، وكل الأصدقاء الشرفاء.

لم أرَ الشارع منذ ما يقارب ثلاثة أشهر؛ بين عمليات جراحية ثم العودة إلى البيت ثم جلسات العلاج الطبيعي. أقترب، بإذن الله، من إنهاء هذا المشوار، ونزول الشارع، والجلوس على المقهى، ورؤية الناس من جديد.

أبدأ هذه الحلقة، وكثيرًا ما أبدأ لقاءاتي بثلاثة فقط، لأن المتميزين دائمًا قلّة، أما التافهون فكثيرون، بل بالملايين، ونحن نعيش زمن تكريس التفاهة.

حلقة اليوم عن صديق عظيم وكاتب عظيم افتقدناه، هو الأستاذ أبو العلا السلموني. الفيسبوك أدى واجب العزاء، وضجّ بالنعي والكلمات، لكنني كنت أتمنى أن أكون بصحة جيدة لأحضر العزاء. العزاء أُقيم في مكان بعيد، بعيد عن وسط البلد وعن الجيزة، بعيد عن الناس التي كان يمكن أن تجتمع وتعزّي. هذا البُعد كان صعبًا علينا.

أبو العلا السلموني صديق العمر، الكاتب الجميل، المتميز، الرائع. توفي إثر انفعاله في اجتماع عُقد بالمركز القومي للمسرح، الذي تولّى رئاسته الفنان إيهاب فهمي. كان الاجتماع خاصًّا بمحاولة تحويل مجلة المسرح، التي يرأس تحريرها الناقد الشريف عبد الرازق حسين، من مجلة ورقية إلى مجلة إلكترونية.

عبد الرازق حسين ناقد متواضع، خلوق، إنساني، اختار المسرح وعاش من أجله. هو خريج معهد، لكنه تخصص في النقد الصحفي المسرحي، وهو نوع مختلف عن النقد الأكاديمي. يعرف تمامًا كيف يخاطب القارئ المتوسط، قارئ

الجريدة والمجلة، ويكتب بأسلوب محترم. لم يتلقَّ رشوة من أحد، ولم يضع أحد يده في جيبه، ولذلك لا تجده في المهرجانات، لأنه لا يشي ولا يُشيَّع. الرشوة عندنا أصبحت سلوكًا عاديًا، تُقدَّم بشياكة، ولا بد أن تدخلها كي تنتقل من مهرجان إلى مهرجان.

عبد الرازق حسين كافح من أجل عودة مجلة المسرح، التي كانت تصدر منذ الستينيات عن الهيئة العامة للكتاب، حتى جاء الدكتور هيثم الحاج، وهو ناقد أدبي محترم، لكنه حين تولى رئاسة الهيئة فشل إداريًا، وأُغلقت مجلة المسرح. النقد شيء، والإدارة شيء آخر.

بعد ذلك توجّه عبد الرازق حسين إلى الفنان القدير ياسر صادق في المركز القومي للمسرح. وافق ياسر صادق على إنشاء مجلة مسرح تصدر عن المركز، وبدأت المجلة تصدر، أولًا شهريًا، ثم كل شهرين، ثم كل فصل. كانت معاناة شديدة، لكن عبد الرازق حسين يتمتع بصبر استثنائي.

ثم بلغ ياسر صادق سن المعاش، وغادر المنصب، وبقي

المركز بلا قيادة لأشهر طويلة، وكأن مصر خلت من الكفاءات، رغم أنها مليئة بها. تعطلت الأمور، وضاعت المجلة في الفراغ الإداري.

ذهب عبد الرازق حسين بالمجلة إلى المخرج الكبير خالد جلال، المسؤول عن قطاع الإنتاج الثقافي. قيل له إن الأمر ليس من اختصاصه. خالد جلال قيمة فنية كبيرة، لكنه حين تولّى المناصب صار مثل غيره. الكراسي عندنا تصيب الجالسين عليها بفيروس غريب؛ فيروس قتل المواهب. هو مكتشف المواهب، وفي الوقت نفسه قاتلها. هذه هي الشخصية المصرية المتناقضة منذ الفراعنة.

ظل عبد الرازق حسين يذهب ويعود، بصبر شديد، حتى تولّى الفنان إيهاب فهمي رئاسة المركز. صدرت تعليمات بتحويل المجلة من ورقية إلى إلكترونية. دعا عبد الرازق حسين كبار الأدباء والنقاد للاجتماع، وكان أكثر المتحمسين أبو العلا السلموني.

أبو العلا السلموني كاتب له تاريخ طويل في المسرح. أغلب

مسرحياته كانت ضد الإرهاب، وضد التخلف الديني، وضد المفاهيم المتزمتة. كان ابن المؤسسة الحكومية، خَدومًا، يعمل حيث يُطلب منه. في الاجتماع، تحمّس بشدة، ودافع عن بقاء المجلة ورقية، وانفعل، وسقط ميتًا.

رأيي الشخصي، وقد كتبته صراحة، أنه مات شهيدًا، شهيد الدفاع عن قضية الثقافة والتنوير والمسرح. هذا رأيي، وقد يختلف معي البعض، لكنه مات مهمومًا، وهو لا يعرف كيف يوزع سبع مسرحيات لم تُنتج.

المسرح تفكك، كما تفككت السينما، والرواية، والشعر. أصبحنا نعيش في ما يشبه المسرح، وما يشبه الرواية، وكلها أشياء جميلة وتدر ملايين، لكن من يتمسك بالمسرح الحقيقي، بالتجريب والتدريب والتطوير، يدفع الثمن.

كتب بعضهم أن آخر جيل العمالقة قد مات. لكن هل كُتب عن يسري الجندي كما كُتب عن أبي العلا السلموني؟ كلاهما صديقان وعظيمان. لماذا نضخّم مأساة ونهمّش أخرى؟

نحن بلد "النص نص"، كما قال يوسف إدريس. نحب

المتوسط، ونخاف من التميز الحقيقي. من يُحتفى به كثيرًا، اشكك فيه. مصر تخسر كل يوم موهبة، لكن الخسارة الأكبر هي الضمير الثقافي، والضمير الأدبي. نحن في حالة كذب متضخمة، رغم أننا في عصر المعرفة.

أعزّي مصر في شهيد المسرح أبو العلا السلموني، وأعاتب صديقي المخرج الكبير خالد جلال، وأتمنى أن تعود مجلة المسرح ورقية. تكلفة مجلة في عام لا تساوي تكلفة ليلة افتتاح مهرجان مسرحي واحد. هذا عيب.

نحن مصر، قلب الوطن العربي، حتى لو تبدلت الظروف، وحتى لو صرنا فقراء. ما زال في هذا البلد بشر طيبون، لكنهم على هامش الوطن، وعلى هامش الذاكرة.

أنا مريض، ومتعب، وممنوع من الصراخ بسبب العمليات، لكن كان لا بد أن أقول هذا الكلام.

لتبقَ مصر جميلة وكبيرة، وليرحم الله شهيد المسرح أبو العلا السلموني، وليرحمنا من غياب ضمير الأمة.

تحياتي من القاهرة».

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ
وأهم أعماله في المسرح والرواية



- من مواليد محافظة الإسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨
- خريج جامعة الإسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦/ كلية التربية.
- أخصائى مسرح بالثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من ١٩٧٤/١٩٧٦.
- حاصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحى بمصر عام ١٩٧٠.
- مدير تحرير مجلة (الشاشة) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦–٢٠٠٧).
- مدير تحرير مجلة (المغامر) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦–٢٠٠٧).
- مستشار إعلامى دبى مؤسسة الصدى (٢٠٠٦–٢٠٠٧).
- مدير مكتب مجلة أفكار بالقاهرة (الكويت).
- مدير مركز الوطن العربى للنشر والإعلام (رؤيا) لمدة خمسة سنوات.
- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام ١٩٨٠.
- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥.
- حصل على جائزة علاء الجابر في المسرح كرائد من رواد مسرح الطفل ٢٠٢٣ بالقاهرة
- كتب عنه أكثر من ٨٠ رسالة جامعية بين مشروع تخرج أو ماجستير أو دكتوراه.

دراسات أجنبية خارج الوطن العربي (أمريكا وأوروبا وأسيا) منها :

- "القضية الفلسطينية والمرأة في مسرح السيد حافظ" الرسالة المقدمة في إيرلندا تناولت موضوع القضية الفلسطينية والمرأة في مسرح السيد حافظ. الباحثة بريدجت ويلز قدمت هذا البحث كجزء من دراستها للماجستير. ركزت الرسالة على كيفية تصوير السيد حافظ للقضية الفلسطينية ودور المرأة في سياق هذه القضية ضمن أعماله المسرحية. (جامعة إيرلندا)
- "الأدب والحرب في مسرح السيد حافظ" كتبها الباحث حميد اسكندر مشهور. رسالة الدكتوراه التى قدمت في الهند - جامعة شانداجار
- بحث ماجستير حول مسرحية "الشاطر حسن" جامعة ميسوري - الولايات المتحدة

عرض له في مسرح الطفل

- مسرحية سندريلا (الكويت-سلطنة عمان-البحرين)	١٩٨٣ إخراج / منصور المنصور.
- مسرحية الشاطر حسن (الكويت-دبى-أبوظبى)	١٩٨٣ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية سندس (الكويت-البحرين - قطر)	١٩٨٥ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية على بابا (الكويت - دبى)	١٩٨٥ إخراج/ أحمد عبد الحليم.
- مسرحية اولاد جحا (الكويت - البحرين)	١٩٨٦ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية حذاء سندريلا (الكويت - بغداد)	١٩٨٧ إخراج / دخيل الدخيل.
- مسرحية بيبى والعجوز (الكويت - بغداد)	١٩٨٨ إخراج / حسين مسلم.
- مسرحية فرسان بنى هلال (الكويت)	١٩٨٩ إخراج / محمد سالم.
- مسرحية عنتر بن شداد (الكويت)	١٩٨٩ إخراج/أحمد عبد الحليم
- مسرحية اولاد جحا (مصر)	١٩٨٩ إخراج / المؤلف.
- مسرحية سندس	١٩٨٩ إخراج / خمسة مخرجين.
- مسرحية حكاية لولو وكوكو	١٩٩٠ إخراج / المؤلف.
- مسرحية قميص السعادة—القاهرة	١٩٩٣ إخراج / محمد عبد المعطى
فرقة تحت١٨ القطاع الاستعراضى بطولة	١٩٩٦ إخراج / حسام عطا
وجدى العربى - عبد الرحمن أبو زهرة عائشة الكيلانى -	علاء عوض
- مسرحية حب الرمان وخيزران (القاهرة)	
- فرقة تحت ١٨ القطاع الاستعراضى.. بطولة :	مى عبد النبى - لمياء الأمير - محمد عبد المعطى. أحمد الحجار
- مسرحية (سفروتة في الغابة)	١٩٩٨ إخراج د. محمد عبدالمعطى

من إنتاج المؤلف.. وتم عرض المسرحية في (مهرجان قرطاج المسرحى بتونس) بطولة / وفاء الحكيم. محمد عبد المعطى

كتب العديد من الروايات منها :

١- مسافرون بلا هوية ١٩٩٧
٢- نسكافيه ٢٠١٠

(مشروع السباعية الروائية)

٣- قهوة سادة ٢٠١١
٤- كابتشينو ٢٠١٢
٥- ليالى دبى (جزأين : شاي أخضر - شاي بالياسمين) ٢٠١٤
٦- كل من عليها خان ٢٠١٥
٧- حتى يطمئن قلبى ٢٠١٦
٨- ما أنا بكاتب (تشظى منها روايتان : وهمت به – شط إسكندرية يا شط الهوى) ٢٠١٧
٩- لو لم أعشقها ٢٠١٩
١٠- نوروموسى الحبل السري للروح ٢٠١٨
١١- نيروزي والبنت وجد ٢٠١٨
١٢- شهر زاد تحب القهوة سادة ٢٠١٨
١٣- كرس على البحر ٢٠١٨
١٤- هل ما زلت تشرب السيجار ٢٠١٨
١٥- الحاكم بأمر الله وشمس ٢٠١٨
١٦- وتحممت بعطرها ٢٠١٩
١٧- حكاية البنت لامارو قراقوش ٢٠١٩
١٨- كل هذا الحب ٢٠١٩
١٩- نسيت أحلامى في باريس ٢٠١٩

(مشروع آخر - مذكرات ثورة 25 يناير - ما قبلها وما بعدها)

١- أنا وفاطمة ومارك ٢٠١٢ – رواية رقمية تفاعلية ط ٢٠٢٠
٢- أنا ومارك ويوسف ٢٠١١ - يوميات رجل يضاجع الوطن والتاريخ – ط ٢٠٢١
٣- زينب ومارك وأنا ٢٠١٤ - طبعة ٢٠٢٢

(مشروع آخر جديد - تنويعات تقنية على محور واحد)

١- الدولاب – مثلث الحب – تنويعات تقنية على محور واحد – ط ٢٠٢٢
٢- الفلاح عبد المطيع في ثلاث رؤى – تنويعات تقنية على محور واحد – ط ٢٠٢٢
٣- سنابل وأحلام – تنويعات تقنية على محور واحد – قصة – فيلم – تليفزيون - ط ٢٠٢٢
٤- الصرخة الأخيرة – حكاية لامار – تنوعيات تقنية على محور واحد – رواية – قصص قصيرة – مسرح – رواية تجريبية - الطبعة الأولى ٢٠٢٥.

(مشروع جديد مع الذكاء الاصطناعي)

١- يوميات رجل مهزوم – عما يشبه الشعر – رواية شعرية مكثفة – الجزء الأول - ط ٢٠٢٥.
٢- يوميات رجل غير مهزوم - عما يشبه الشعر – رواية شعرية مكثفة – الجزء الثانى - ط٢٠٢٥.
٣- يوميات رجل غير متشائل - عما يشبه الشعر – رواية شعرية مكثفة – الجزء الثالث - ط ٢٠٢٥.
٤- يوميات رجل حكيم - عما يشبه الشعر – رواية شعرية مكثفة – الجزء الرابع - ط ٢٠٢٥.
٥- يوميات رجل لا ينكسر - عما يشبه الشعر - رواية شعرية مكثفة – الجزء الخامس – ط٢٠٢٥.

(مشروع حوارات السيد حافظ مع الذكاء الاصطناعي)

١- حوار السيد حافظ مع الذكاء الاصطناعى – الجزء الأول - ط ٢٠٢٥.

(مشاريع السيد حافظ الفنية للمسرح)

مشروع المسرح الكوميدي:

١. الغجرية والسنكوح
٢. وسام من الرئيس
٣. رحلات ابن بسبوسة
٤. أنا ما ليش حل
٥. عريس الغفلة
٦. حكاية الفلاح عبد المطيع
٧. حكاية مدينة الزعفران
٨. الحوش
٩. الراجل اللى لعبها صح

١٠. امسكوا سالم حشيشة
١١. ملك الزبالة
١٢. حرب الملوخية
١٣. الرقص على النار
١٤. عوانس ٢٠٠٠
١٥. بيت الحبايب
١٦. خطفونى ولاد الإيه

كتب مشروعاً مسرحياً للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف والقضية المصرية الوطنية ضد الانجليز، تضمن :

١. رجال في معتقل
٢. يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف الحانة الشاحبة العين
٣. والله زمان يا مصر
٤. الأقصى في القدس يحترق
٥. أحبك يا مصر
٦. حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث.
٧. الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب.
٨. مصطفى كامل.
٩. العزف في الظهيرة.
١٠- عبدالله النديم.

كتب لمسرح الطفل مشروعا به مسرحيات

١) سندريلا
٢) الشاطر حسن
٣) أبو زيد الهلالى
٤) سندريلا والأمير
٥) سندس
٦) على بابا

٧) أولاد جحا
٨) بيبى والعجوز
٩) سندباد سواح في البلاد
١٠) قطر الندى
١١) عنتر بن شداد
١٢) فستق وبندق
١٣) الفارة يويو والقطة نونو
١٤) أحلام بابا نويل
١٥) حمدان ومشمشة
١٦) سفروته في الغابة
١٧) حب الرمان وخيزران
١٨) الوحش العجيب
١٩) نوسة والعم عزوز
٢٠) الساحر حمدان.

قدم مشروعا للمسرح التجريبى به

١) كبرياء التفاهة في بلاد اللا معنى.
٢) حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث.
٣) هم كما هم ولكن ليسوا هم.
٤) علمونا أن نموت وأن نحيا
٥) الطبول الخرساء في الأودية الزرقاء.
٦) حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان.
٧) حبيبتى أميرة السينما
٨) إشاعة.
٩) أجازه بابا
١٠) الميراث

ـــــــ سيمفونية المواقف ٥ مسرحيات تجريبية فصل واحد وهى : ـــــــ

١١) إيقاع في رحم الكلمات العذرية
١٢) نغم في الحلم الفوضوي.
١٣) تقسيمات مختزنة للشمس
١٤) سقوط حضارة لوط
١٥) الخادمة والعجوز (٦ مسرحيات تجريبية)
١٦) المفتاح
١٧) الخلاص يا زمن الكلمة الكذب الكلمة الخوف.
١٨) سيزيف القرن العشرين.

ـــــــ الأشجار تنحنى أحيانا (مسرحيات تجريبية) وهى : ـــــــ

١٩) رجل ونبى وخوذة.
٢٠) امرأة وزير وقافلة
٢١) طفل وقوقع وقزح.
٢٢) لهو الأطفال في الأشياء شيء
٢٣) تكاثف الغثاثة على الخلق موتا
٢٤) خطوة الفرسان في عصر اللاجدوى.. كلمة
٢٥) محبوبتى محبوبتى قمر الخصوبة في شرنقة حبنا ميلادا
٢٦) تعثر الفارغات في درب الحقيقة.. بحث
٢٧) يا له من عالم مظلم بارد متخبط
٢٨) الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب
٢٩) معزوفة للعدل.. الغائب.

كتب ٣١ مسرحية بين دقيقة ونصف دقيقة في مجموعة "صراع الألوان. وهى :

١. صراع الألوان
٢. وطن
٣. العلم

ـــــ مزامير السيد حافظ المسرحية : وهى : ـــــ

٣٢. لعلنا نفلح
٣٣. لعلنا ننجح
٣٤. - لعلنا نفكر
٣٥. مزامير من لغة الصمت (حياة)
٣٦. مزامير من لغة الصمت (انتظار)
٣٧. نعم.. لا
٣٨. محاضرة
٣٩. أنا
٤٠. ذات مساء
٤١. بنفسج
٤٢. الكلمة للأرض أرض الكلمة
٤٣. روما ونيرون
٤٤. سوف نصعد
٤٥. قصيدة
٤٦. الناروعصفور الجنة من الأم.. إلى الفتى الطائر
٤٧. ذات ليل
٤٨. حياة
٤٩. ذات صباح
٥٠. حكاية مدينة الزعفران
٥١. ظهوروا اختفاء ابو ذر الغفاري.
٥٢. يوسف بن تاشفين
٥٣. قرية المرفوض في مدبنة الرفض ترفض رفض الأشياء
٥٤. القطار المسافر الى القاهرة على رصيف رقم ٣
٥٥. أغنيات قشور الليمون تلفت أنظار حفل كونسير في متحف الفنون الجميلة في شارع منشأ بمحرم بك بالإسكندرية
٥٦. بوابة الميناء
٥٧. المنشار
٥٨. التحقيق
٥٩. المسافر ٢٠١٨
٦٠. الجراد ٢٠١٨

قدم مشروعًا للمسرح النسوي يحتوي على (٥) مسرحيات للنساء
تحت عنوان إكسبريسو ومعها

١) امرأتان
٢) اكسبريسو
٣) ليلة ليلاء
٤) ليلة الخميس
٥) ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله
٦) ليلة اختفاء إخناتون
٧) ليلة اختفاء فرعون موسى

كما كتب السيد حافظ للمسرح ثلاث مسرحيات مونودراما. وهى :

١- اكسبريسو
٢- الخادمة والعجوز
٣- أجازة بابا

أخرج للمسرح

- مسافر ليل (لصلاح عبد الصبور) عام ١٩٧٠ من بطولة ٢٥ طفل وطفلة (أصغرهم ٦ سنوات وأكبرهم ١٢ سنة) عرض غنائى موسيقى (ألحان حمدى رؤوف وكورال ٤٠ طفل وطفلة) المسافر ٦ شخصيات والراكب ٦ شخصيات عشري السترة ١٠ شخصيات.
- (الحبل) إيوجين أونيل ١٩٦٨ بطولة مهدي يوسف (المؤلف الشهير الحالى)– معهد إعداد الفنيين التجاريين.
- الزوبعة لمحمود دياب ، كلية التربية عام ١٩٧٣.
- الخروج من ساحل المتوسط قصيدة محمود درويش عرض بطولة ١٢٠ ممثل وممثلة من الشباب.
- آه يا وطن ١٩٧٣ قصائد سيد حجاب ، مجدي نجيب ،عبد الرحمن الأبنودي - فؤاد حداد.
- حديقة الحيوان لإدوارد أولبى ترجمة على شلش بطولة "أحمد آدم" نجم الكوميديا حاليًا ، صفاء غراب قصاص معروف حاليًا.
- كوكو ولولو ، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج خاص.
- أولاد جحا ، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج قصر ثقافة مصطفى كامل.
- نال جائزة أحسن مخرج في مراكز الشباب عام ١٩٧٠ عن مسرحية (جوازسفر) إعداد / عن أشعار محمود درويش وسميح القاسم.

أسس جماعات تجريبية للمسرح

- فرقة الصعاليك – فرقة ألف باء مسرح – جماعة الاجتياز – وكان ضمن هذه المجموعة الفنان / فاروق حسنى وزير الثقافة السابق ،ود / مصطفى عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة السابق. والفنان مسعد خميس وعلى الجندي ومحمد نوار وقد أخرج يوسف عبد الحميد مسرحية كبرياء التفاهة في بلاد اللامعنى بطولة مسعد خميس ونازك ناز ومسرحية سيزيف بطولة على الجندي.. ومسرحية إيقاع في رحم الكلمات العذرية بطولة محمد أنور.
- جماعة المسرح الطليعى التى قدمت مسرحية (آه يا وطن) لمدة ١١٠ يوم وكانت أول فرقة للهواة في تاريخ مصر تقدم عرضاً متواصلاً دون أجازة – عام ١٩٧٣.

أعماله في فرق الأقاليم والمحافظات

م	المكان	المسرحية	المخرج	سنة العرض
١	بيت ثقافة أبو تشت	رحلات ابن بسبوسة	فريد عبد الحميد	١٩٩٤
٢	بيت ثقافة السنبلاوين	رحلات ابن بسبوسة	رجائى فتحى	١٩٩٥
٣	قصر شبرا الخيمة	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٤	ميت غمر	ملك الزبالين	على عزب	١٩٩٦
٥	العائم	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٦	القليوبية	ملك الزبالين	ماهر سليم	١٩٩٦
٧	أبو حمص	قراقوش والأراجوز	سيد هنداوي	١٩٩٧
٨	العريش	النديم	عبد الستار الخضري	١٩٩٧
٩	غزل المحلة	خطفونى ولاد الإيه	مجدي مجاهد	١٩٩٧
١٠	بلبيس	رحلات ابن بسبوسة	إبراهيم شكري	١٩٩٧
١١	المسرح العائم	قراقوش والأراجوز	محمد الخولى	١٩٩٧
١٢	بيت منشية ناصر	عاشق القاهرة	أحمد عبد الباقى	١٩٩٨
١٣	قصر	حكم قراقوش	أسامة شفيق	١٩٩٨
١٤	بيت النصر	ملك الزبالين	فوزي شنودة	١٩٩٩
١٥	أبو حمص	ملك الزبالين	عادل شاهين	٢٠٠١
١٦	الجيزة	حرب الملوخية	أشرف فاروق	٢٠٠٢
١٧	أبنوب	حرب الملوخية	عادل بركات	٢٠٠٢
١٨	الغنايم	وسام من الرئيس	محمد المصري	٢٠٠٤
١٩	زفتى	وسام من الرئيس	السيد الحسينى	٢٠٠٤
٢٠	ميت غمر	ملك الزبالة	على سرحان	
٢١	قصر ثقافة فاقوس	ملك الزبالة	السيد عونى	٢٠١٠
٢٢	قصر ثقافة بهتيم	ملك الزبالين	اميرة شوقى	

أشهر ما أخرج السيد حافظ من مسرحيات للمسرح

١) بنطلون روميو تأليف أبو السعود الأبيارى
٢) الغربان - تأليفه
٣) مسافر بلا متاع لجان انوى.
٤) الخواجة لامبو مات لعبد الرحمن الأبنودي
٥) شرق المتوسط لمحمود درويش
٦) الزوبعة لمحمود دياب
٧) الحبل لجان أنوى
٨) حديقة الحيوان لإدوارد أولبى بطولة أحمد آدم
٩) هم كما هم وليسوا هم الصعاليك تأليفه وبطولة مهدي يوسف المؤلف الشهير حاليًا مؤلف يوميات ونيس
١٠) ليالى الحصاد لمحمود دياب
١١) أحبك يا مصر تأليفه
١٢) سندس تأليفه
١٣) الخطوبة لتشيكوف
١٤) المخبأ تأليفى
١٥) واللّه زمان يا مصر تأليفه
١٦) أحبك يا مصر تأليفه
١٧) مصطفى كامل تأليفه
١٨) عبد اللّه النديم تأليفه
١٩) مسافر ليل لصلاح عبد الصبور كاملة من بطولة ٣٠ طفلاً ألحان حمدى رؤوف
٢٠) أولاد جحا تأليفه
٢١) ومن أشهر ممن ساعده في الإخراج لسنوات
الأستاذ عادل شاهين
الأستاذ محمد غباشى النجم المعروف الآن
المخرج ناجى أحمد ناجى
المخرج سيد شعبان
المخرج رمضان عبد الحفيظ

أخرج مسرحياته المؤلفة للمسرح من مصر الأساتذة المخرجون

إبراهيم الدسوقى
إبراهيم شكري
أحمد الغندقلى
أحمد عبد الجليل
أحمد عبد الحليم
أحمد عوف
أسامة شفيق
أشرف فاروق
إميل شوقى
إيمان الصيرفي
جلاء الراشد
جمال قاسم
دكتور حسام عطا
حسام العزازي
رجائى فتحى
رمضان عبد الحفيظ
سمير حسنى
سمير زاهر
السيد الحسينى
سيد هنداوي
سيد الدمرداش
صلاح السايح
صلاح صالح
طارق حسن
عادل بركات
عادل شاهين
عباس أحمد
عبد الرحمن الشافعى
عبد الستار الخضري
عبد العزيز عبد الظاهر
على سرحان
على عزب
فاروق زكى
فريد عبد الحميد
فوزي شنودة
ماهر سليم
مجدى عبيد
مجدى مجاهد
محمد الخولى
محمد المصري
محمد حسونة المغربى
محمد سالم
د. محمد عبد المعطى
محمد متولى
محمود الألفى
مرسى إبراهيم
مصطفى البندراوي
مصطفى محمود
يوسف عبد الحميد

بالإضافة الى مئات المخرجين في المسرح المدرسى بجميع المراحل التعليمية ومراكز الشباب المختلفة بالجمهورية.

أخرج مسرحياته من العراق الأساتذة

د وليم يلدا مسرحية الطبول الخرساء في الأودية الزرقاء
دكتور سعدي يونس مسرحية حكاية الفلاح عبد المطيع
دكتور عباس التاجر العراق بابل مسرحية حكاية مدينة الزعفران
دكتور بشار عليوى مسرحية اختفاء أبى ذر الغفاري
المخرج هشام عبد الرحمن (إعداد وإخراج) مسرحية (سيمفونية العصافير) الفلسطينى المقيم في بغداد معدة عن مسرحية (حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان) للكاتب المصري السيد حافظ مع مجموعة من أشعار معين بسيسو ومحمود درويش عرضت في معهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٨٧ على خشبة المسرح الدوار في المعهد وهى ضمن أطروحات الطلبة للتخرج في المعهد وكانت الممثلة زهرة بدن تمثل أحد أدوار المسرحية الرئيسة فيها.

من الكويت أخرج مسرحياته

منصور المنصور (مسرحية سندريلا)
دخيل الدخيل (مسرحية سندريلا والأمير الجزء الثانى)
د. حسين مسلم (مسرحية بيبى والعجوز)
عبد اللّه عبد الرسول (مسرحية مدينة الزعفران وحكاية الفلاح عبد المطيع)

أشهر من أخرج له في الإمارات

جاسم عبيد الساحر حمدان

أشهر من أخرج له من تونس

الطيب السهلى المخرج التونسى أخرج مسرحية الفلاح عبد المطيع مرة في فرقة جزائرية باسم " الليلة نحكى " ونالت جائزة افضل عرض ٢٠١٠ ومرة في تونس لفرقة تونسية تونس باسم "ثورة الصبار"

كتب ودراسات مسرحية قدمت عن أعماله في مسرح الطفل :

- كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب - المعهد العالى للفنون المسرحية ١٩٨٤ - الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٧.
- كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهى - مكناس المغرب ١٩٨٦ - الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.
- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجًا على بابا - نزيهة بن طالب (الناشر - العربى للتوزيع).
- مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجًا " مسرحية الشاطر حسن " فاطمه حاجى - المغرب ١٩٩١.
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦ - ١٩٩٧. (المغرب).
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير .وقميص السعادة" د. عبد العزيز خلوفة - جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣.
- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ.سناء جلال أحمد على – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي – جمهورية مصر العربية ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣.
- مسرح الطفل - دكتور على عاشور الجعفر – الكويت
- مسرح الطفل في الكويت – د. نرمين الحوطى – الكويت
- خصوصية التأليف لمسرح الطفل في الوطن العربى (نموذجاً السيد حافظ) – م.م. حيدر على الأسدى – العراق.
- مفهوم الثورة في مسرح الطفل في أعمال السيد حافظ – د. رشا دياب كلية التربية النوعية – جامعة طنطا – جمهورية مصر العربية.

كتب ودراسات مسرحية عن أعماله في المسرح التجريبى والمسرح والتراث العربى :

- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ- موسكو- تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.
- كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربى - صليحة حسنى - بحث- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٧.
- كتاب الفلاح في المسرح العربى - نموذجًا حكاية الفلاح عبد المطيع - للسيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول - المغرب الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.
- كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبى ذر الغفاري - منصورية مباركى - وجدة - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٩.
- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ - نموذجًا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٩٠.
- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربى.
- السيد حافظ نموذجًا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب - نموذجا - عائشة عابد - جامعة محمد الأول - ١٩٩١.
- التجريب والعبث في المسرح العربى من خلال مسرحية سيزيف للسيد حافظ – حليمة حقوقى ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجًا ١ " حبيبتى أنا مسافر و القطار أنت والرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)
- المسرح السياسى عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول- وجدة- المغرب - ١٩٩٦.
- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).
- المسرح التجريبى عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢- ٢٠٠٣ (المغرب).
- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " السيد حافظ - نموذجًا - فاطمة زكاوي ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- السيد حافظ والمسرح التجريبى د. ليلى بن عائشة – الجزائر.

المسلسلات التليفزيونية:

مبارك	(١٥ حلقة) إخراج /كاظم القلاف.
العطاء	سهرة (الكويت) إخراج / عبد العزيز منصور.
الحب الكبير	سهرة (الكويت) إخراج / حسين الصالح.
الغريب	سهرة ٣ أجزاء (الكويت) إخراج /يوسف حمودة.
صغيرات على الحب	مسلسل ١٥ حلقة (تليفزيون الكويت) بطولة: حياة الفهد - إخراج / محمد عيسى.
صدى الأيام	سهرة (تليفزيون الكويت) إخراج /كنعان حمد - بطولة : منصور المنصور- هدى حمادة.
الدرب الجديد	سهرة تليفزيونية بطولة : جلال الشرقاوي. ياسر جلال. طارق دسوقى. إخراج / سيد عبيدو. (التليفزيون المصري).
منين أجيب ناس	مسلسل ١٥ حلقة بطولة معالى زايد. محمد وفيق. حنان شوقى. محمود الجندي. إخراج كريم ضياء الدين (التليفزيون المصري).
أنا وبناتى في الزحام	مسلسل ١٥ حلقة بطولة زيزي البدراوي. أحمد خليل. سيد عبد الكريم. أحمد سلامة إخراج محمد عبد السلام (التليفزيون المصري).
علاء الدين والأميرة ياسمين	مسلسل أطفال _ يقع المسلسل في ٣٦ حلقة بطولة / نوال أبو الفتوح. أحمد عبد الوارث. ضياء المرغنى. هشام عبد الله. ناصر سيف. هالة فاخر إخراج / أيمن عبيس (إنتاج التليفزيون المصري).
عصفور تحت المطر	مسلسل في ٣١ حلقة بطولة / أحمد عبد العزيز. تيسير فهمى. أحمد ماهر. وجدي العربى. سيد عبد الكريم. عزة بهاء. تهانى راشد. غسان مطر. هشام عبد الله. ضياء المرغنى. مخلص البحيري ومن إخراج / محمود بكري (إنتاج التليفزيون المصري).
همام وبنت السلطان	مسلسل أطفال _ يقع المسلسل في ٢٨ حلقة بطولة / هالة فاخر. علا رامى. وجدي العربى. غسان مطر. عايدة عبد العزيز. حنان سليمان.. ومن إخراج / أحمد مجدي (ومن إنتاج التليفزيون المصري).
وبحلم بيك يا وطن	مسلسل أطفال - يقع المسلسل في ٣٠ حلقة - بطوله احمد سلامه ونوال أبو الفتوح ومحمد وفيق وممدوح وافي وإخراج محمد دنيا.

المسلسلات الإذاعية :

مسلسل البيت الكبير	٩٠ حلقة/ إذاعة قطر مدة الحلقة ١٥ق
مسلسل غرباء في الحياة	البحرين / إذاعة ٣٠ حلقة.
٥ مسلسلات إذاعة –الكويت	المسلسل ٣٠ حلقة.
٩٠ حلقة برنامج كتاب خليجى	إذاعة قطر.
٣٠ حلقة إغاثة الأمة	إعداد وسيناريو - انتاج إذاعة قطر
٣٠ حلقة مسلسل جنون وفنون التاريخ	إذاعة أبو ظبى - إخراج / حبيب غلوم
٣٠ حلقة مسلسل علاء الدين والأميرة ياسمين	إذاعة الكويت إخراج / أحمد مساعد بطولة محمود يس
٣٠ حلقة مسلسل سندباد	إذاعة الكويت. إخراج أحمد مساعد
٣٠ همام وبنت السلطان	إذاعة البحرين - إخراج/ إبراهيم عيسى

قائمة كتب الدراسات النقدية والبحوث والرسائل الجامعية عن أعمال الكاتب السيد حافظ

١- التحليل السردي في رواية شط اسكندرية يا شط الهوي – للسيد حافظ – إعداد : نسرين بوشناقة – آمنة خناش – د. بوزيد رحمون مشرفًا ومقرراً – كلية الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب العربى - جامعة محمد بوضياف – بالمسيلة – الجزائر.

٢- سيمياء بناء الشخصية في رواية ليالى دبى "شاي بالياسمين" للسيد حافظ – إعداد : رانيا سحنون - بسمة زريق – مشرفًا على الرسالة : د. خلوف مفتاح – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر. (٢٠١٨-٢٠١٩)

٣- تداخل الأجناس الأدبية في رواية (قهوة سادة) للسيد حافظ إعداد : غنية ولهى – سمية حملاوي – أ.د. بوزيد رحمون – أ.د. عزوز ختيم - جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر. (٢٠١٨-٢٠١٩)

٤- الحبكة الفنية و الدرامية في المسرحية العربية "الخادمة والعجوز" =إعداد : إيمان جبارى – أ.د. عليوي عمر رئيسا – أ.د. خلوف مفتاح مشرفا ومقررا – أ.د. مهدى عمار مناقشاً – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠١٧-٢٠١٨)

٥- توظيف التراث في مسرحيات السيد حافظ – إعداد : وحيدة بلقفصى - إيمان عبد اللاوي – د. بوشلالق حكيمة - اشراف د. خلوف مفتاح – ممتحنا د. محمد زعيترى - كلية الآداب واللغات - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر.

٦- هندسة الشخصيات في رواية "وهمت به" للسيد حافظ إعداد الطالبتين : آية سلينى - نُسيبة بربيش رئيسًا : د. عليوي عمر مشرفًا : د. بوزيد رحمون ممتحنًا : د. شبلى خالد - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٠ – ٢٠٢١)

٧- تجليات التداخل النصى في مسرحية "حكاية الفلاح عبد المطيع" إعداد : كفيلة طاهري - بشرى خرفي – رئيس اللجنة د. سعاد طالب – مشرف ومقرر د. أسماء غجاتى – د. نورالدين حلاب ممتحنا. (٢٠٢٠ – ٢٠٢١)

٨- جماليات الكتابة المسرحية الموجهة للطفل " مسرحية سندريلا والأمير " للسيد حافظ أنموذجًا – إعداد الطالبتين : مفيدة بودهوس - ريمة بلفريطس - جامعة جيجل قطب تاسوست - جيجل - كلية الآداب واللغات الأجنبية - قسم الأدب العربى ٢٠٢١ – ٢٠٢٢.

٩- المهاجر إلى الغد - السيد حافظ خمسون عاما من التجريب في المسرح والرواية – بقلم أحمد محمد الشريف – القاهرة ٢٠٢٤.

١٠- إيقاعات متفردة على هامش روايات الكاتب السيد حافظ – بقلم : منى عارف – ط٢٠٢٤.

١١- التجريب في الرواية والمسرح عند السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد سوريا - بقلم : نواف يونس - د. أدهم مسعود القاق- د. عبير خالد يحيى - فاديا سلوم - داود أبو شقرة – ط ٢٠٢٤.

١٢- اللغة الشعرية في مسرح الطفل عند السيد حافظ - إعداد الطالبتين : صبرينة نصري - نجـود نصري ، رئيسًا د. عزوز ختيم ، مشرفًا د. مفتاح خلوف ، ممتحنًا د. محمد زعيتري - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠١٨ – ٢٠١٩)

١٣- السيد حافظ أيقونة دراما الطفل دراسة بقلم : د. أحمد محمود أحمد سعيد – جامعة المنيا – ج.م.م – ٢٠٢٤.

١٤- وتيرة السرد في رواية " كل من عليها خان " للسيد حافظ - إعداد الطالبتين : نجاة حملاوي – نرجس بن خليفة رئيسًا د. خليفة عوشاش ، مشرفًا د. عمر عليوي ، ممتحنًا د. زكري بحوص - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٢ – ٢٠٢٣)

١٥- جماليات الكتابة المسرحية الموجهة للطفل في مسرحية سندس للسيد حافظ – إعداد الطالبتين : أمال قندوز -

فاطنة بوكركب ،رئيسًا : د. أحمد أمين بوضياف ، مشرفا : د. حالب نور الهدى ، ممتحنا : د. عمر عبد الكريم - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة –كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربى - الجزائر - ٢٠٢٣ – ٢٠٢٤م

١٦- جماليات السرد في مسرحية الفلاح عبد المطيع للسيد حافظ – إعداد الطالبتين : إيمان خشاب - وسيلة بن زاوي – رئيسًا : أ.د. بوزيد رحمون – مشرفا : د. لعلجة هذلى – ممتحنا : د. عثمان مقيرش - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٢ – ٢٠٢٣)

١٧- المرأة بين التسلط والقهر في مسرح الطفل - دراسة مقارنة – أنموذجًا - (سندريلا والأمير) للسيد حافظ ، (سندريلا والجناينى) لعامر على عامر ، (حلم سندريلا) لعلى خليفة ، إعداد : د. راندا حلمى السعيد - مدرس علوم المسرح - قسم العلوم الأساسية - كلية رياض الأطفال - جامعة دمنهور - جمهورية مصر العربية ط.٢٠٢٤.

١٨- دلالة المفارقات الموضوعاتية في أعمال السيد حافظ الروائية – "وهمت به " أنموذجًا – إعداد : د. نادية سعدونى – الجزائر. ط٢٠٢٤.

١٩- الأبعاد الفنية والجمالية في المسرح التجريبى "نموذجًا السيد حافظ" - بنيونس الهواري – المغرب – ٢٠٢٤.

٢٠- إستراتيجية النص وتفاعل المتلقى في الخطاب الأدبى رواية "كابتشينو " للسيد حافظ – د. ربيعة حنيش – الجزائر.

٢١- إشكالية الحداثة والرؤى النقدية في المسرح التجريبى.. السيد حافظ نموذجا – د. نجاة صادق الجشعمى - دراسات نقدية – ٢٠١٨.

٢٢- إشكالية ملامح الحب ما بين التمجيد بالمقدس والاستلحاق بالمدنس – رؤى نقدية - ٢٠٢١.

٢٣- إشكالية وتمازج ملامح العشق المقدس والمدنس – نموذجًا – رواية "لو لم أعشقها"

٢٤- إعادة كتابة التاريخ في مسرح الطفل العربى مسرحية "أبوزيد الهلالى" للسيد حافظ نموذجا - إعداد : سعاد مدانى نصيرة بن زمورى - مسرحية "أبوزيد الهلالى " نموذجًا - دراسات نقدية.

٢٥- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الأول - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٢٦- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الثانى - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٢٧- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الثالث - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٢٨- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الرابع - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٢٩- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الخامس - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٣٠- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء السادس - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٣١- أعمال السيد حافظ المسرحية من الفهم والتفسير إلى صناعة الوعى إعداد الدكتور: مفتاح خلوف – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.

٣٢- امبراطورية المسرح – دراسات نقدية في مسرح السيد حافظ - د. ناديه سعدونى ، الجزائر ط ٢٠٢٠م.

٣٣- انحطاط العالم والسرد العربى السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين

أ. د. ابراهيم بوخالفة	أ. ليلى بن عائشة	أ. هاجر مباركى
د. نادية سعدونى	أ. وافية بولفعة	أ. عائشة حمادو

أ. نصيرة علاك / أ. كلثوم باجي / أ. هيدتش اسماعيل
أ. عبد النّاصر بن بناجي / أ. عبد القادر سرير عبد الله

٣٤- انعكاس الثقافات تجانسها وتناقضاتها ما بين التجريب والحتمية في النص الروائى - السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

د. طالب عمران المعموري	د. رشا غانم	أ. سحر الجابري	د. نجاة الجشعمى
د. سعيدة خلف	د. مصطفى بوخال	أ. محمد عطية محمود	أ. سليم ميرة
أ. خالد ربعى	د. وفاء كمالو	أ. أحمد حنفى	د. رياض موسى سكران
أ. أشرف دسوقى على	د. داليا بدوي	د. محمد مخيمر	أ. فهمى إبراهيم
د. خالد البوهى	د. أدهم مسعود القاق	أ. فاديا سلوم	

٣٥- البعد السياسى التحريضى في نصوص السيد حافظ المسرحية دراسة بقلم: ايمان خالد مهدي عمران –جامعة بابل –كلية الفنون الجميلة –العراق - ط ٢٠٢٢.

٣٦- بلاغة التعبير عن فكر الكاتب السيد حافظ السياسى في إبداعه الروائى –رسالة ماجستير – مى جمال الشربينى – مصر - ط ٢٠٢٠م.

٣٧- بناء البطل التراجيدي في مسرح السيد حافظ – إشراف: د. عزوز ختيم إعداد الطالبين بن حافظ عائشة ـ بوزيدي زكريا - جامعة محمد بوضياف– الجزائر ط ٢٠٢١.

٣٨- البناء الفنى في الرواية الممسرحة نموذجًا رواية كل من عليها خان للسيد حافظ دراسة بقلم أ. فضيلة طايبى و أ. آسيا خيتوس –ط ٢٠٢٢

٣٩- البنية السردية في الرواية العربية الحديثة رواية "ما أنا بكاتب" للسيد حافظ رسالة ماستر - الجزائر بقلم بلقليل دلال - بن صوشة كنزة –ط ٢٠٢٢

٤٠- التأثيث المكانى في رواية ليالى دبى شاي بالياسمين للكاتب السيد حافظ - إعداد : سليم ميرة - خالد ربعى – جامعة محمد بوضياف – المسيلة - الجزائر.

٤١- التجريب في المسرح العربى مسرح السيد حافظ نموذجًا - عبد الحق قرطيط - اشراف د. يونس لوليدي – جامعة سيدى محمد بن عبد الله – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – فاس – المغرب - ط ٢٠٢٠ م.

٤٢- التجريب في مسرح السيد حافظ - د. ليلى بن عائشة – الجزائر.

٤٣- التجريب وانحرافات السرد في الرواية - السيد حافظ نموذجا إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى.

٤٤- التجريب وجماليات البناء السردي في الرواية العربية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب" اعداد : د. نجاة صادق الجشعمى - ط ٢٠٢١.

٤٥- التجريب ومكونات البنى السردية في الرواية - السيد حافظ نموذجا - إعداد : نجاة الجشعمى.

٤٦- تجليات التناص في الخطاب السردي. رواية أنا وفاطمة مارك للسيد حافظ نموذجا - إعداد : (سميحة بايفوح - والزهرة خنوش - وراضية كبور)

٤٧- تجليات الحداثة في الخطاب السردى المعاصر كل من عليها خان للكاتب السيد حافظ نموذجا – د. فايزة محمد سعد.

٤٨- تجليات النقد المعاصر في جماليات السرد الروائى - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)

٤٩- التداخل الحضاري وتجليات جماليات السرد في الفكر النقدي - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)

٥٠- التشاكل الأجناسى في سباعية السيد حافظ – د. أمل درويش – القاهرة - مصر.

٥١- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ في المسرواية) "الجزء الأول" إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى.

٥٢- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ في المسرواية) "الجزء الثانى" إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى.

٥٣- تشكيل النّص غير الملفوظ فـى مسرحيات السّيد حافظ رسالة ماجستير بقلم زهرة هبوب وصفية زلوف - إشراف البروفسور مفتاح خلوف – جامعة محمد بوضياف – الجزائر – ط٢٠٢٢.
٥٤- تمثيلات التجريب في المسرح العربي المعاصر – السيد حافظ أنموذجًا – د. عبد الستار عبد ثابت - عميد كلية الفنون الجميلة – جامعة البصرة – العراق.
٥٥- تمثيل العالم حفريات في الأدب الروائي للكاتب السيد حافظ - د. إبراهيم أبو خالفة – الجزائر.
٥٦- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة - السيد حافظ نموذجا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى – الطبعة الأولى.
٥٧- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة - السيد حافظ نموذجا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. إبراهيم بوخالفة الجزائر	د. وفاء كمالو مصر	أ.د. السعيد الورقى مصر
د. ليلى بن عائشة الجزائر	د. هاجر مباركى الجزائر	د. إبراهيم طه فلسطين
د. منيرة مصباح أمريكا	د. عبد العزيز خلوفة الجزائر	د. نادية سعدونى الجزائر
د. أمال شوقى مصر	د. عائشة حمادو الجزائر	د. ماهر عبد المحسن مصر
د. وافيه بو لفعه الجزائر	د. نصيرة علاك الجزائر	أ. فيصل صوفى اليمن
أ. إيمان الزيات مصر	أ. شوقى بدر يوسف مصر	أ. يوسف عبد المسيح العراق
أ. سعيد فرحات لبنان	أ. شاهيناز الفقى مصر	أ. عبد الله هاشم مصر
أ. شفيق العمروسى مصر	أ. سمير عبد الفتاح مصر	أ. محمود قاسم مصر
أ. السيد الهبيان مصر	أ. أحمد محمد الشريف مصر)	أ. عبد الله الشيتى فلسطين

٥٨- التنوع الدلالى في مسرح الطفل - السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د جميلة مصطفى الزقاي الجزائر	د. ليلى بن عائشة – الجزائر	د. وفاء كمالو – مصر
د. منيرة مصباح - أمريكا	د. لبلبة فتحى – مصر	أ. ايمان حسين – مصر
د. خلود محمود عبود – العراق	د. نرمين يوسف الحوطى	أ. نزيهة بن طالب – المغرب
أ. فاطمة حاجى – المغرب	أ. يمينة الراوى – المغرب	أ. أمال الغريب – الكويت
أ. نعيمة عبد لاوى – المغرب	أ. ايمان الزيات – مصر	أ. بدور ذات – مصر
أ. عواطف الزين – الكويت		

٥٩- مسرح الطفل في الكويت بين التنوع الدلالى والتأريخ والإخراج – الجزء الثانى – اعداد : د. نجاة صادق الجشعمى – تقديم د. فايزة سعد - القاهرة.
٦٠- التجريب والتأسيس فى مسرح السيد حافظ - أ.د. عبد الكريم برشيد – المغرب.
٦١- ثنائية المخاتلة بين النص الغائب والصورة الذهنية في مسرح السيد حافظ - إعداد : "أسمهان سعودى و سناء نويوية" اشراف د. محمد زعيتري – الجزائر - ط ٢٠٢٠م.
٦٢- ثورة الإبداع في المسرح والسرد نموذجًا الكاتب السيد حافظ - د. وفاء كمالو – مصر.
٦٣- جدلية الأنساق والدلالات الرمزية المضمرة في السرد الروائى - السيد حافظ نموذجا
إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. كمال الدين عيد	أ. فاديا سلوم	د. جميلة رحمانى	د. حنان حطاب
د. ستار عايد العتابى	د. لبلبة فتحى خليفة	د. وفاء كمالو	د. أمجد ريان
د. إبراهيم بوخالفة	أ. دينا نبيل عبد الرحمن	أ. عواطف الزين	أ. فهمى إبراهيم
أ. أحمد فضل شبلول	أ. معتز العجمى	أ. أمين بكير	أ. محمد الدسوقى
أ. سحر الجابري	أ. بسنت حسين		

٦٤- جمالية الكتابة المسرحية و السردية عند السيد حافظ- د. كمال الدين عيد – مصر.
٦٥- الحاكم بأمر الله بين الرواية والمسرح –دراسة مقاربة بين السيد حافظ وبنسالم حميش واحمد على باكثير والبشير القهوجى- د. مصطفى الخطيب – مصر.
٦٦- الحب ما بين الاصطلاح والرمزية –رواية لو لم أعشقها –دراسات نسوية –تقديم د. محمد زعيترى –إعداد / د. نجاة صادق الجشعمى – مصر.
٦٧- حضور الفاطميين في مسرحيات السيد حافظ– تأليف / نزار شبيب كريم العبادي– مؤسسة دار الصادق الثقافية– العراق.
٦٨- خصوصية التأليف في مسرح الطفل في الوطن العربى-السيد حافظ نموذجا إعداد : د. حيدر على الأسدي –العراق.
٦٩- السيد حافظ بين سرد السيرة ومذكرات السرد - دراسة في الموقف والدلالة - كيف تصبح كاتبًا مشهورًا - تحقيق وتصدير ودراسة د. ياسر جابر الجمَّال - أستاذ الأدب والنقد – مصر.
٧٠- الخطاب التاريخى المضمر في رواية حتى يطمئن قلبى – شهادة الماستر – جامعة بوضياف – المسيلة – كلية الآدب واللغات – للباحثتين حبيبة عرسلان – أسماء بن التومى – الجزائر.
٧١- السرد الروائى بين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة –رواية " كل من عليها خان أنموضجا - " للسيد حافظ - د. نجاة صادق الجشعمى – العراق.
٧٢- السيد حافظ في عيون كتاب وفنانين ونقاد العراق- إعداد. نجاة صادق الجشعمى

د. خلود جبار عبيد	د. نزار شبيب العبادي	م.م. حيدر على الأسدي
أ. سحر الجابري	د. ستارعايد العتابى	م.م. زينب نوري لعيوس
أ. صالح البدري	د. خلود محمود عبود	أ. أحمد سعدون البزونى
أ. يوسف عبود جويعد		

٧٣- "السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء الكويت "دراسات نقدية - بقلم نقاد المسرح في الكويت.

د. محمد المنصور	د. نرمين يوسف الحوطى	د. محمد مبارك الصوري
أ. آمال الغريب	أ. عبد الله عبد الرسول	أ. عماد منصور المنصور
أ. صالح الغريب	أ. عبد المحسن الشمري	أ. أحمد الرقعى
أ. فيصل السعد	أ. خليل الوادي	

٧٤- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب- الجزء الأول- إعداد : نجاة صادق الجشعمى

أ.د. مصطفى رمضانى	أ.د عبد الرحمن بن زيدان	د. شنايف الحبيب
أ. محمد السعيدى	أ. نصيرة يعقوبى	أ. عبد السلام بوسنينه
أ.د. عبد الكريم برشيد	أ. الهوارى بن يونس	أ. نعيمة عبد لاوى
أ. محمد المحراوى	أ. ثوريا ماجدولين	أ. سعاد درير

٧٥- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب- الجزء الثانى- إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ. صفاء درويش	أ.د. عبد العزيز خلوفه	أ. نزيهة بن طالب
د. نادية فضمى	أ. فاطمة حاجى	أ. سميرة أوبلهى
أ. سميرة لمسايح	أ. يمينة الراوي	أ. سعاد درير
أ. زروق أحمد	أ. أحمد مرزاق	أ. حميد حقون
أ. فاطمة زكاوى	أ. حليمة حقونى)	

٧٦- السيد حافظ فى عيون كتاب ونقاد وأدباء فلسطين - بقلم نقاد وأدباء فلسطين.

٧٧- الشخصيات ما بين المرئى واللامرئى والثابت والمتغير في السرد الروائى - السيد حافظ نموذجا
إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. فايزة محمد سعد	أ.د. سيد على إسماعيل	د. عايدي على جمعة
د. كاميليا عبد الفتاح	أ. إيمان الزيات	أ. رضوى جابر
أ. أحمد حنفى	أمل سالم	

٧٨- شرنعة العشق ما بين البراجماتية والدوجماطيقية - رواية " لو لم أعشقها" للسيد حافظ - إعداد / د. نجاة صادق الجشعمى.

٧٩- الصراع الدرامى في مسرح السيد حافظ التجريبى – مسرحية بوابة الميناء - د. محمد السيد عبد العاطى دحريجة – ٢٠٢٤ كلية الآداب- جامعة عين شمس – القاهرة – مصر.

٨٠- صورة المجتمع في نصوص مسرح الطفل المستلهمة من التراث عند السيد حافظ - د. هدى سعيد عبد العليم – مدرس بكلية التربية النوعية – جامعة كفر الشيخ – مصر.

٨١- صـورة المـرأة وأبعاد توظيفها في مسرحيات السيد حافظ "نماذج مختارة" اعداد : عفاف صغيري ونادية زوالى - تحت إشراف د. مفتاح خلوف - كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربى - جامعة محمد بوضياف - المسيلة – الجزائر.

٨٢- العتبات وبعثرة التيمات للسرد المهجن في المسرواية – نموذجًا رواية " ليالى دبى - شاى أخضر شاى بالياسمين " للكاتب السيد حافظ - د / نجاة صادق الجشعمى.

٨٣- العنونة ما بين الصورة والزمانكية في الرواية – رواية "ما أنا بكاتب" نموذجًا – د. نجاة صادق الجشعمى.

٨٤- غرائبية العتبات النصية في مسرواية حتى يطمئن قلبى - للكاتب السيد حافظ - مقاربة سيميائية – إعداد د. مروة محمد أبو اليزيد - قسم اللغة العربية (الأدب والنقد الحديث) كلية الآداب ، جامعة المنوفية - جمهورية مصر العربية.

٨٥- الفضاء الدرامى وآلية إنتاج المعنى في مسرح السيد حافظ - دراسة فنية – إعداد الباحثة / عليا علاء رمضان عباس – اشراف أ.د. ضيف عبد المنعم الفرجانى – كلية الآداب – جامعة المنيا – جمهورية مصر العربية.

٨٦- فنيات الكتابة المسرحية عند السيد حافظ فى مسرحية امرأتان – بقلم بسمة حرود – نورة حبيب – إعداد الدكتور محمد زعتري – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر.

٨٧- الكتابة المسرحية للأطفال بين الواقع والتجريب – أعمال السيد حافظ أنموذجًا – د. الويزة جبابلية – أستاذ الأدب المقارن والآداب العالمية – جامعة العربى التبسى – تبسة – الجزائر.

٨٨- مذكرات السيد حافظ بين توثيق الحقيقة والحقيقة الموازية – تحقيق وتصدير ودراسة د. ياسر جابر الجمال – أستاذ الأدب والنقد – الجزء الثانى.

٨٩- مذكرات السيد حافظ ومأساة المثقفين – دراسة في حفريات الثقافة – تحقيق وتصدير ودراسة د. ياسر جابر الجمال - أستاذ الأدب والنقد – الجزء الثالث.

٩٠- المرأة والبعد الاجتماعى والعقائدي في رواية "كل من عليها خان " للسيد حافظ – اعداد زهيرة حمريط – ايمان خلفة – اشراف د. محمد زعيتري – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر.

٩١- المسرح التجريبى بين المراوغة واضطراب المعرفة - دراسة – نقد – تحليل – د. نجاة صادق الجشعمى.

٩٢- مسرح السيد حافظ بين المسرح التجريبى والمسرح الطليعى – متابعة ومدخل جمالى للدراسات النقدية – د. محمد عزيز نظمى سالم.

٩٣- المسرح والتراث والتاريخ – تجربة السيد حافظ – الناقدة المغربية سميرة أوبلهى – تقديم أ.د. عبد الرحمن بن زيدان.

٩٤- معمارية البناء وجماليات السرد ما بين الزمانكية وعولمة النقد "رواية ما أنا بكاتب" للسيد حافظ نموذجا – د. نجاة صادق الجشعمى.
٩٥- مفهوم الثورة في مسرح الطفل في أعمال السيد حافظ – رشا دياب.
٩٦- مقامات التجريب وبنيات التشكيل في الرواية – دراسات نقدية – د. نجاة صادق الجشعمى.
٩٧- مملكة السرد – دراسات نقدية في سرديات السيد حافظ – د. إبراهيم بوخالفة - الجزائر.
٩٨- نظرية التداخلات الأجناسية في رواية "كل من عليها حان" للسيد حافظ – اعداد روباش عليمة – اشراف د. خلوف مفتاح – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر.
٩٩- الهجنة الأجناسية في أعمال السيد حافظ الإبداعية – د. نادية سعدونى – الجزائر.
١٠٠- هندسة الشخصيات في رواية ليالى دبى للكاتب الروائى السيد حافظ أنموذجًا – الباحثة فاطمة صغيري – اشراف أ.د. مفتاح خلوف – جامعة محمد بوضياف – كلية الآداب واللغات – الجزائر.
١٠١- القضايا السياسية في المسرح السكندري المعاصر – نموذجًا مسرحية "الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب) (والله زمان يا مصر) بقلم هدي جمال الدين رملى عنانى – قسم اللغة العربية – بقسم المسرح – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية.
١٠٢- الخطاب السياسى في مسرحية "بوابة الميناء" للسيد حافظ – اعداد ليندة زهير – اشراف د. محمد زعيترى. جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر.
١٠٣- آليات التجريب في رواية " لو لم أعشقها " عند السيد حافظ – اعداد الربيع سعدون - حسان بن الصيد – اشراف أ.د. محمد بن صالح - الجزائر.
١٠٤- خصوصية الكتاب الرواية لدى السيد حافظ "مسافرون بلا هوية" أنموذجًا – إعداد أمينة بوسيف – سعاد بن حميدة – إشراف د. عطى الله الناصر.
١٠٥- البنية الدرامية في مسرح الطفل مسرحية " الأميرة حب الرمان وخيزران" للسيد حافظ – اعداد زوليخة بساعد – هاجر عبدي – رئيسا د. بوزيد رحمون.
١٠٦- شخصية الساحر في مسرح الطفل – عند ألفريد فرج وسمير عبد الباقى والسيد حافظ – (دراسة فنية) – د. على خليفة – كلية الآداب – جامعة العريش - الكلية الجامعية بتربة – جامعة الطائف.
١٠٧- دينامية الفعل الدرامى في مسرح السيد حافظ – اعداد وتقديم د. مصطفى رمضانى.
١٠٨- إبداع السيد حافظ بين عشق الوطن وعطر النساء وهاجس التاريخ – قراءات في الرواية والمسرح – مصطفى بوخال. دار خيال للنشر والتوزيع.
١٠٩- شعرية الكتابة المسرحية عند السيد حافظ – (قراءة سوسيوثقافية) تأليف الدكتور : مفتاح خلوف – أستاذ النقد المسرحى والدراما – دار المجدد للنشر والتوزيع – الجزائر.
١١٠- اللغة الشعرية في رواية " كابتشينو " للسيد حافظ – إعداد وردة عطابى – إشراق عماري – اشراف د. مفتاح خلوف – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر – كلية الآداب واللغات – قسم اللغة والآدب العربى – ٢٠١٨-٢٠١٩م.
١١١- مسرحة التراث في التجارب المسرحية العربية - قراءة في مسرح السيد حافظ – إعداد ريمة بن عيسى – اشراف أ.د. ليلى بن عائشة - جامعة محمد لمين دباغين – سطيف ٢ – الجزائر – ٢٠٢٥.
١١٢- طرائق السرد وتداخل الأجناس الأدبية في روايات السيد حافظ – الباحثة / ريم يحيى عبد العظيم حسانين – أشراف / أ.د محمد عبد الله حسين – جامعة المنيا – كلية دار العلوم - جمهورية مصر العربية – ٢٠٢٤.
١١٣- مداخل أوليّة إلى عوالم السيد حافظ السرديّة – د. أمل درويش ٢٠٢٤.
١١٤- المسرح التجريبى بين المراوغة اضطراب المعرفة د. نجاة صادق الجشعمى – العراق.

١١٥- المشاكس د. نجاة صادق الجشعمى – العراق
١١٦- التأثيث المكانى في رواية ليالى دبى شاي بالياسمين – د. محمد زعيترى - الجزائر.
١١٧- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية – د. نجاة صادق الجشعمى – العراق ٢٠٢٠م
١١٨- السيد حافظ والذاكرة المسرحية في حوارات – إعداد الكاتب : أحمد حافظ - مصر - ط٢٠٢٠م
١١٩- الهجنة التجانسية في أعمال السيد حافظ الإبداعية - د. نادية سعدونى – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
١٢٠- معارك المسرح " دراسات في النقد المسرحى لنصوص السيد حافظ " د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر – ط٢٠٢٠م
١٢١- صور المرأة وأبعاد توظيفها في مسرحيات السيد حافظ – إعداد عفاف صغيرة ونادية زوالى – إشراف الدكتور / مفتاح خلوف – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
١٢٢- عمالقة على المقهى مع السيد حافظ – الكاتب والناقد أحمد حافظ – ط ٢٠٢١.
١٢٣- العنونة ما بين الصورة والزمانكية في الرواية – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب" - ط ٢٠٢١.
١٢٤- شرنعة العشق ما بين البراجماتية والدوجماطيقية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب". - ط ٢٠٢١.
١٢٥- السرد الروائى ما بين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الرابع - نموذجًا رواية "كل من عليها خان". - ط ٢٠٢١.
١٢٦- التمرد على نمطية السرد في بنية الرواية - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الثانى - نموذجًا رواية "كابتشينو". - ط ٢٠٢١.
١٢٧- تجليات التناص في رواية "أنا وفاطمة ومارك" – د. حنان حطاب – ط ٢٠٢١.
١٢٨- فنيات الكتابة المسرحية " مسرحية امرأتان نموذجًا " للكاتب السيد حافظ – دراسة بقلم بسمة حرود ـ نورة حبيب ـ تقديم الدكتور محمد زعيتري – الجزائر - طبعة ٢٠٢١م.
١٢٩- السيد حافظ في عيون نقاد وأدباء فلسطين - مجموعة نقاد من فلسطين

(د. إبراهيم طه	أ. عبد الله الشيتى	أ. حسن عبد الهادي	د. نادر القنة
أ. وليد أبو بكر	أ. عبد القادر كراجة	أ. ناصر العودة	أ. سليمان الشيخ
أ. ماجد الشيخ)			

١٣٠- البناء الفنى للحكاية الشعبية على بابا والأربعين حرامى بين المروث الشعبى أ. يوسف عبد الرحمن إسماعيل
١٣١- السيرة الشعبية في مسرح الطفل - السيد حافظ نموذجا - د. طارق الحصري.
١٣٢- الحاكم بأمر الله ما بين بن باكثير والسيد حافظ وسالم بن حميش - ا.د. محمد عبازة

١٣٣- السرد الروائى ما بين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة - د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. هاجر مباركى	د. وفاء كمالو	د. سعيدة خلف
د. داليا بدوي	أ. شيماء أحمد رُميح	أ. رضوى جابر شعبان
أ. حسن الجوخ	أ. بسنت حسين	أ. مى جمال الشربينى
أ. طايبى فضيلة	أ. خيتوس آسيا	

١٣٤- التجريب وانحرافات السرد في الرواية - السيد حافظ نموذجا إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى

د. نجاة صادق الجشعمى	أ.د. هاجر مباركى	د. أفكار أحمد زكى
د. سعيدة خلف	د. وفاء كمالو	د. كامليا عبد الفتاح
د. محمد مخيمر	د. داليا بدوي	د. رائدة العامري
أ. إيمان الزيات	أ. احمد محمد الشريف	أ. سحر الجابري
أ. بسنت حسين	أ. فاديا سلوم	أ. رضوى جابر

١٣٥- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب - الجزء الأول - إعداد : نجاة صادق الجشعمى

أ.د. مصطفى رمضانى	أ.د عبد الرحمن بن زيدان	د. شنايف الحبيب
أ. محمد السعيدى	أ. نصيرة يعقوبى	أ. عبد السلام بوسنينه
أ.د. عبد الكريم برشيد	أ. الهوارى بن يونس	أ. نعيمة عبد لاوى
أ. محمد المحراوى	أ. ثوريا ماجدولين	أ. سعاد درير

١٣٦- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب - الجزء الثانى - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ. صفاء درويش	أ.د. عبد العزيز خلوفه	أ. نزيهة بن طالب
د. نادية فضمى	أ. فاطمة حاجى	أ. سميرة أوبلهى
أ. سميرة لمسايح	أ. يمينة الراوي	أ. سعاد درير
أ. زروق أحمد	أ. أحمد مرزاق	أ. حميد حقون
أ. فاطمة زكاوى	أ. حليمة حقونى)	

١٣٧- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى في مسرح الطفل في الوطن العربى - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

١٣٨- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية - - الجزء الثانى إعداد : نجاة صادق الجشعمى.

١٣٩- إشكالية الحداثة والرؤي النقدية في المسرح التجريبى الجزء الثانى - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. سعد أردش مصر	أ. د. عبد الكريم برشيد المغرب	أ.د جميلة مصطفى الزقاي الجزائر
أ. بنيونس الهواري الجزائر	د. سميرة أوبلهى المغرب	أ. فاطمة زكاوى المغرب
د. أحمد العشري مصر	أ. عادل النادي مصر	د. مازن الماحى مصر
أ. أحمد غانم مصر	أ. حليمة حقونى المغرب	أ. عبد الغنى داود مصر
أ. نصيرة يعقوبى المغرب	أ. محمود قاسم مصر	أ. محمد يوسف مصر
أ. أحمد الشريف مصر	د. ليلى بن عائشة الجزائر	أ. جبارى عبد الرازق - الجزائر
أ. نادية فضمى المغرب	أ. أحمد فضل شبلول مصر	أ. شنايف الحبيب فلسطين
د. مصطفى عبد الغنى مصر	أ. محمد صدقى مصر)	

١٤٠- إشكالية ملامح الحب ما بين التمجيد بالمقدس والاستلحاق بالمدنس - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

١٤١- الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب - المعهد العالى للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربى

١٤٢- كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهى - مكناس المغرب ١٩٨٦- الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.

١٤٣- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ - موسكو - تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.

١٤٤- كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربى - صليحة حسنى - بحث - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٧.

١٤٥- كتاب الفلاح في المسرح العربى - نموذجا حكاية الفلاح عبد المطيع - للسيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول - المغرب الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.
١٤٦- كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبو الغفاري - منصورية مباركى - وجدة - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٩.
١٤٧- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ - نموذجا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٩٠.
١٤٨- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربى. السيد حافظ نموذجا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.
١٤٩- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنظر الطفل العجوز الغاضب - نموذجا - عائشة عابد - جامعة محمد الأول - ١٩٩١.
١٥٠- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجا على بابا - نزيهة بن طالب (الناشر - العربى للتوزيع).
١٥١- مسرح الطفل عن السيد حافظ –نموذجا "مسرحية الشاطر حسن" فاطمة حاجى - المغرب ١٩٩١.
١٥٢- التجريب والعبث في المسرح العربى من خلال مسرحية سيزيف للسيد حافظ - حليمة حقوقى ١٩٩٢.
١٥٣- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجا ١ " حبيبتى أنا مسافر و القطارانت و الرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)
١٥٤- المسرح السياسى عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول _ وجدة _ المغرب _ ١٩٩٦.
١٥٥- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦-١٩٩٧. (المغرب).
١٥٦- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا - بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).
١٥٧- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير وقميص السعادة" د. عبد العزيز خلوفه. - جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
١٥٨- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للسيد حافظ - نموذجا - فاطمة زكاي ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
١٥٩- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ " سناء جلال أحمد على – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي – مصر ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣.
١٦٠- اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ - د. مفتاح خلوف
١٦١- بنية الخطاب الروائى - دراسة لنص رواية قهوة سادة للسيد حافظ - رسالة ماستر – ٢٠٢٣ - إعداد سميرة معشاشة - جامعة محمد لامين دباغين - سطيف ٢ - كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربى. الجزائر.
١٦٢- التحليل العملى في النص الروائى ،دراسة لنص رواية نسكافيه – شهادة ماستر - ٢٠٢٣ - إعداد عبد الرحيم خضار - جامعة محمد لامين دباغين - سطيف ٢ - كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربى. الجزائر.
١٦٣- التجريب في الرواية العربية ، رواية لو لم أعشقها للسيد حافظ أنموذجا - رسالة ماستر - ٢٠٢٣ - إعداد بشيري فاطنة - جامعة زيان عاشور بالجلفة - كلية الآداب واللغات والفنون - قسم اللغة وآدابها. الجزائر.
١٦٤- تداولية الخطاب المسرحى للسيد حافظ ، مسرحية يوسف بن تاشفين أنموذجا - تمهيدي رسالة ماستر - ٢٠٢٣ - أعداد ماحى عفاف - المركز الجامعى نور البشير - البيض ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم الآداب واللغات - الجزائر.

١٦٥- المسافة الجمالية في رواية حتى يطمئن قلبى ، رسالة ماستر - ٢٠٢٣- إعداد : نهلة بركان ، سارة سكات- المركز الجامعى – تيبازة- معهد اللغة والأدب العربى - الجزائر.
١٦٦- مسرح السيد حافظ بين المسرح الطليعى والمسرح التجريبى - د. محمد عزيز نظمى سالم- مركز الوطن العربى للنشر والإعلام (رويا) - القاهرة- ٢٠٢٣.
١٦٧- اللغة الشعرية فى رواية كابتشينو ، رسالة ماستر- ٢٠١٩- إعداد: ورده عطابى واشراق العمرى إشراف الأستاذ الدكتور العبقري مفتاح خلوف - جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة. الجزائر.
١٦٨- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر - ج١ – ط ٢٠٢٣.
١٦٩- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر – ج٢ – ط ٢٠٢٣.
١٧٠- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر – ج٣ – ط ٢٠٢٣.
١٧١- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر – ج٤ – ط ٢٠٢٣.
١٧٢- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر – ج٥ – ط ٢٠٢٣.
١٧٣- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر - ج٦ - ط٢٠٢٣.
١٧٤- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء (١) - قام بتفريغ الحلقات التلفزيونية د. ياسر جابر الجمّال – ط ٢٠٢٣
١٧٥- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء (٢) - قام بتفريغ الحلقات التلفزيونية د. ياسر جابر الجمّال – ط ٢٠٢٣
١٧٦- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء (٣) - قام بتفريغ الحلقات التلفزيونية د. ياسر جابر الجمّال – ط ٢٠٢٣
١٧٧- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء (٤) - قام بتفريغ الحلقات التلفزيونية د. ياسر جابر الجمّال – ط ٢٠٢٣
١٧٨- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء (٥) - قام بتفريغ الحلقات التلفزيونية د. ياسر جابر الجمّال – ط ٢٠٢٤
١٧٩- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء (٦) - قام بتفريغ الحلقات التلفزيونية د. ياسر جابر الجمّال – ط ٢٠٢٥
١٨٠- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء (٧) - قام بتفريغ الحلقات التلفزيونية د. ياسر جابر الجمّال – ط ٢٠٢٦
١٨١- حكايات أحفادي (القصّة القصيرة والقصة القصيرة جدا) – السيد حافظ – ط ٢٠٢٤
١٨٢- المسرح التجريبى عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سيزيف" سميرة لمسايح ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
١٨٣- الخطاب السياسى في مسرحية بوابة الميناء للسيد حافظ – اعداد : ليندا زهير – اشراف د. محمد زعيترى – ط ٢٠٢٤ - الجزائر.
١٨٤- آليات التجريب في رواية لو لم أعشقها عند السيد حافظ - اعداد : الربيع سعدون - حسان بن الصيد – اشراف د. محمد بن صالح – ط ٢٠٢٤. جامعة محمد بوضياف – المسيلة - الجزائر - كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية.
١٨٥- خصوصية الكتابة الروائية لدى السيد حافظ مسافرون بلا هوية أنموذجًا – إعداد (أمينة بوسيف وسعاد بن حميدة - تحت إشراف : د. عطى الله الناصر) كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية جامعة ابن خلدون تيارت – الجزائر (٢٠٢٠ – ٢٠٢١)
١٨٦- البنية الدرامية في مسرح الطفل مسرحية الأميرة حب الرمان وخيزران للسيد حافظ - إعداد زوليخة بساعد وهاجر عبدي – برئاسة اللجنة د. بوزيد رحمون- كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية - جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر. (٢٠١٧-٢٠١٨)

دراسات أجنبية خارج الوطن العربى (أمريكا وأوروبا وأسيا)

١- "القضية الفلسطينية والمرأة في مسرح السيد حافظ" الرسالة المقدمة في إيرلندا تناولت موضوع القضية الفلسطينية والمرأة في مسرح السيد حافظ. الباحثة بريدجت ويلز قدمت هذا البحث كجزء من دراستها للماجستير. ركزت الرسالة على كيفية تصوير السيد حافظ للقضية الفلسطينية ودور المرأة في سياق هذه القضية ضمن أعماله المسرحية. (جامعة إيرلندا)

٢- "الأدب والحرب في مسرح السيد حافظ" كتبها الباحث حميد اسكندر مشهور. رسالة الدكتوراه التى قُدمت في الهند - جامعة شانداجار تناول العلاقة بين الأدب وتجارب الحرب من خلال مسرحيات السيد حافظ ،وكيف تعكس تلك الأعمال الآثار النفسية والاجتماعية للحرب على المجتمعات.

٣- بحث ماجستير حول مسرحية "الشاطر حسن" جامعة ميسوري - الولايات المتحدة

مشاركات

- شارك في مهرجان	قرطاج (تونس)
- مهرجان بغداد (العراق)	مهرجان مسرح الطفل – الأردن
- مهرجان أبو ظبى	مهرجان القاهرة
- مهرجان الإسكندرية	مهرجان مطروح
- مهرجان بيجاية (الجزائر)	مهرجان مدينة وجدة المسرحى (المغرب)
- مهرجان مسرح الطفل (الكويت)	مهرجان المونودراما الأول في البصرة – العراق.

التكريم والجوائز:

- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام١٩٨٠.
- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥
- حصل على جائزة علاء الجابر في المسرح كرائد من رواد مسرح الطفل ٢٠٢٣ بالقاهرة
- تكريم المهرجان القومى للمسرح المصري عام٢٠١٨

العنوان : ١٢ش طارق يحيى عبد الغنى – التعاون – الهرم – الجيزة
موبايل ٠٠٢٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨ – ٠١٠٦٥٣٣٠٢٩٩

E-mail
sayedhafez948@gmail.com
Justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com
http://sdhafez.blogspot.com
https://www.facebook.com/alsyd.hafz.7

الفهرس